

حمدي البطران

القَذَّافي..
الوَاقِعُ والأَسطُورَة

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م

رقم الإيداع
٢٠١٩/١٣٢٩٢

بطاقة فهرسة

البطران ، حمدي
القذافي.. الواقع والأسطورة: رواية/ حمدي البطران،
ط١ – القاهرة: دار غراب للنشر والتوزيع: ٢٠١٩
٢٩٦ صفحة؛ ١٤ x ٢٠ سم

تدمك: ٦-١٧٨-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

١- ليبيا – رؤساء الجمهورية

٢- القذافي، معمر محمد عبدالسلام، ١٩٤٢- ٢٠١١

أ- العنوان ٩٢٣,١٦١٢



دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عمارات الواحة – قطعة ١٠
مدينة نصر ـ القاهرة
ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠
info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف
محمد ضوه

التدقيق اللغوي
خالد رجب عواد

التنسيق الداخلي
أحمد البسيوني

القَذّافي..
الوَاقِعُ والأَسْطُورَة

تأليف:

حمدي البطران



إهداء

إلى أحفادي

سيف وآدم ومالك محمد حمدي البطران

وحسن ولين وياسين هشام حسن البطران



مقدمة

لم يحفل تاريخ الزعامات العربية– منذ عرف العرب فكرة الزعامة والحكم الديكتاتوري– بشخصيةٍ أثارت الجدل والتناقض، مثلما أثارتها شخصية العقيد القذافي. لقد قفز على القرن العشرين من القرون الوسطى فجأة.

كما أن التاريخ قد أتى به دون تمهيدٍ، أو حتى إرسال شبيهٍ له في العصور السابقة، كي لا تُصيبنا الدَّهشة، كأننا في فيلم طويل مُدَّتُه اثنتان وأربعون سنة، ولم يوجد في حقبة السنوات الأربعين الأَخيرة من كان متميزًا بالتقلُّب المُتسارِعِ والغرابة المدهشة، مثلما كان القذافي..

دمَّر بلاده، بالمعنى الحرفي للكلمة في حياته وبعد مماتِه، بمشروعاتٍ وهمية، ومُقترحاتٍ غريبة، كان يظنُّ أنه واحد من مفكري صحراء شمال أفريقيا، ابن رشد أو ابن خلدون، أو حتى مارتن لوثر الشرق.

عرفتِ البشريةُ، خلال تاريخها الطويل، أنواعًا متعددة وأشكالًا مُتباينة من نُظم الحكم والأفكار السياسية، تراوحت بين القمعية، والديمقراطية، والاشتراكية، والرأسمالية، إلى أن جاء القذافي بالجماهيرية، وتفاوتت تلك النُّظم فيما بينها بدرجات مختلفة، وتميَّز بعضها بالشطط، ولكنها لم تصبح ظواهر سياسية وسماتٍ ذات علاماتٍ بارزةٍ إلا في الشرق.

فلم يكن غريبًا أن تُصيب الثورة – التي أسميناها حين حلَّت بالدول العربية بالربيع العربي – في ديسمبر، ١٩٨٩ أول ما أصابت صديق القذافي نيكولاي تشاوشيسكو، أحد أبرز الطغاة في تاريخ أوروبا الحديث، الذي تعتبر فترة حكمه نقطة سوداء في تاريخ رومانيا، أطلق على نفسه ألقابًا لا نهاية لها، بداية من القائد العظيم، مرورًا بدانوب الفكر، والعبقري الذي يعرف كل شيء. كان شاوشيسكو أول من هبَّت عليه أعاصير الثورة، التي أسميناها، نحن العرب «الربيع العربي».

عندما بدأت الأزمة في بنغازي، كان نظام القذافي يبدو أقرب ما يكون إلى نظام رئيس رومانيا الأسبق نيكولاي شاوشيسكو الذي انهار في ديسمبر ١٩٨٩، والفارق هنا أن نظام شاوشيسكو انهار مباشرةً بعد خروج معارضيه إلى الشوارع، بل إن عناصر شرطته السرية وحرسه الشخصي تخلَّوا عنه.

أما القذافي فلم يترك ليبيا حُرةً بعد مماته، ولكنها سلَّمها إلى عصابات الجهل والتخلف والتطرف، وبقيت بعده حتى هذا التاريخ (٢٠١٩) يقاتل أبناؤها بعضهم بعضًا. ولا يبدو هناك أمل قريب لعودة الأمور إلى حالتها الطبيعية.

في رحلة صيد في رومانيا، أيام حكم الديكتاتور شاوشيسكو، اصطاد حراس القذافي غزالًا، وأحضروه أمامه، وفتحوا بطنه، فمدَّ القذافي كلتا يديه إلى بطن الغزال، وغسلَ يديه بدم الغزال، كان المنظر رهيبًا، فنظَرَ إليهم الزعيم وقال: أنتم تجهلون فوائد دم الغزال!

بالطبع يعرف البدو وحدهم فوائدَ دمِ الغزال، وبولِ البعير، وشَمِّ رَوَثِ الحمير، وغيرها من الأساطير الخيالية.

سُئل الرائد عبد السلام جلود. الرجل الثاني بعد القذافي في ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩: ما أبرزُ الجرائمِ التي ارتكبها القذافي؟

أجاب جلود: دمَّر ليبيا، ودمَّر الشعب الليبي أخلاقيًّا ونفسيًّا ومعنويًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، ودمَّر الروح الوطنية والنسيج الاجتماعي، وفَرَضَ على الليبيين القمع.

في الحقيقة، لم يُقدِّم لنا الباحثون في علوم الاجتماع والسياسة، أو حتى علم النفس بأنواعه، لماذا قامت ثورات الربيع العربي في دولٍ كانت لها الريادة في اعتناق فكرة التحرُّر القومي، وهي دول وأنظمة ذوات أصوات عالية في الحرية والكرامة في فترات الستينيات والسبعينيات، كالعراق، وتونس، ومصر، وليبيا، وسوريا، واليمن، والسودان، وأخيرًا الجزائر؟

كان العقيد – في تصرُّفاته، قائدًا أو رئيسًا – لا يملك الحد الأدنى من الوعي بالعلاقات الدولية القائمة، ولا بالأُصول المرعية في اللقاءات الرئاسية، ولم يتعرف على ما يحدث في العالم الخارجي.

لا أحد يُنكِر أنه شخصٌ له مُقوِّمات العبقرية كما وصفها العلَّامة الإيطالي لومبروزو، من حيث تفاصيله الجسدية كافةً، وقُوَّته، وطُوله الفارع،

وملامح وجْهِه التي شبّهها البعض بـ«أبي الهول»، والجيوب المنتفخة أسفل عينيه، وشعره الأسود الكثيف الأشعث المُتدلّي أعلى أذنيه. إضافةً إلى أزيائه الفولكلورية المُزركَشة بألوانها الصارخة التي عرّفته كأيقونةٍ في عالم الموضة، بما في ذلك قُبعات رأسه الفريدة، من الريش والفرو، التي كان يرتديها في بعض المناسبات، وكانت تَلْقَى – بدورها – جانبًا من سخريةِ رُواد مواقع التواصل الاجتماعي بعد أيِّ مناسبة يحضرها أو خطابٍ يُلقيه.

كما لا ينكر أحد أنه يتمتع بشخصية قويَّة، جعلته يترأس أقرانه وزملاءه من الضباط الأعلى منه رتبةً، والأكبر سنًّا، وعندما أعلن ثورته لم تهدأ القاهرة إلا عندما عرفت أن الملازم أول القذافي من مريدي عبد الناصر وأتباعه؛ لذا فالقنبلة الموقوتة لم تنفجر في مصر آنذاك، وكانت الوحدة والآمال القومية تحيط بالجميع وترفرف حولهم، إلا أن عبد الناصر رحل، فاعتبر القذافي نفسه خليفةً له، وما لبث الخليفةُ أن أصبح شيخًا لطريقة الزعامة الصوفية، المنتشرة في منطقتنا، وتقلَّد مقاليد الزعامة وسيوفها وأسواطها، ثم ارتدى مُسوح الحِكمة والثقافة، ومؤخرًا الأدب، وأصبح كاتبًا.

وكان من الطبيعي ألَّا يلتقي القذافي الساداتَ بسهولة، فكلٌّ منهما كان يسعى لتوطيد مركزه بعيدًا عن تُراث عبد الناصر، لكن كلًّا منهما في الوقت نفسه كان ما زال في أمسِّ الحاجة لهذا التراث ليستمدَّ منه شرعيته. لذلك فقد انهارت الوحدةُ، وما تلاها من مشروعات الانشقاق، وحلَّ الاختلاف محلَّ

الوفاق والوحدة، وهكذا وجد العقيد نفسه كما قال هو: (زعيمًا بلا شعب، وفي مصر شعب بلا زعيم).

كان القذافي يعتبر نفسه كلَّ شيء في البلاد، وزير الداخلية، ووزير الدفاع، ومسؤول الحدائق، ومسؤول إشارات المرور، ومدير الجمارك، والرياضي الأول.

وَصَفَه صديقُه في الثورة والحكم الرائد عبد المنعم الهوني بأنه يعتقد أنه مَبعوث العِناية الإلهية، وهي حقيقة راسخة بوجدانه، وأقواله تُؤكِّد هذا الجنوح الأُسطوري لديه.

القذافي شخصية سياسية مُعقَّدة، على مدى ٤٢ عامًا من الحكم في ليبيا استعدى الغرب، وقادة الكثير من الدول العربية عليه، خاصة الأنظمة الملكية، غير أن الشركات الأمريكية والإيطالية والفرنسية وقَّعت عُقودًا بمئات الملايين من الدولارات مع القيادة الليبية، وبعد عام ٢٠٠٤ رُفعت العقوبات عن ليبيا، التي اعترفت بمسؤوليتها عن حادثة لوكيربي، التي لم نعرف - حتى الآن - الدافع إلى ارتكابها، أو حتى التحريض عليها، ولا الفائدة التي عادت على الشعب الليبي من جرَّائها.

لقد حاولنا في كِتابِنا، هذا أن نوضِّح علاقته بعبد الناصر ومن بعده السادات، ونُبرز مساهمته في حرب أكتوبر ومساعدة مصر. ونُبرِز علاقته بمصر من الودِّ الشديد حتى نشوب حرب، وما فعله ببلده ليبيا، واهتماماته التي تنوَّعت ما بين النساء والثقافة، وتصرُّفاته مع زملائه الرؤساء في مؤتمرات القمة العربية، واستخفافه بالملوك والرؤساء.



الفصل الأول

ليبيا

قبل أن نتكلَّم عن القذافي لنلقِ نظرةً على تفاصيل البلد العربي، وموقعه الذي كان يُهيمن عليه الرجل، والذي تحكَّم في مصيره على مدى ٤٢ عامًا.

تقع ليبيا في شمال قارة أفريقيا، يحيط بها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب النيجر وتشاد، والسودان من الجنوب الشرقي، ومصر شرقًا، وتونس والجزائر من الغرب.

هذا الموقع جعلها همزةَ وصلٍ بين المغرب والشرق الأوسط، وبين أفريقيا البيضاء (شمال أفريقيا) وأفريقياً السوداء، وبين مُدن أوروبا وأفريقيا؛ بسبب شواطئها الممتدة على طول البحر المتوسِّط. تبلغ مساحتها ١،٧٥٩،٤٥٠ كيلومترًا مربعًا.

وقد جاء في موسوعة قصة وتاريخ الحضارة العربية، في التاريخ الحديث عن ليبيا في ظِل الحكم العثماني:

أنه قد قَدِمَ سنان باشا إلى ليبيا سنة ١٥٥١، وطرد فرسان القديس يوحنا منها، وجعلها قاعدة عثمانية في البحر المتوسط، وظل العثمانيون في ليبيا أسيادًا بلا مُنازِع لهم، حتى ظهر أحمد بك القرمانلي في طرابلس، وسيطر على الحكم

سنة ١٧١١، وأسَّس الدولة القرمانلية، وفي سنة ١٨٣٥ وجَّهت السلطنة العثمانية قُواتها بقيادة نجيب باشا إلى طرابلس، حيث شنَّت هجومًا على الدولة القرمانلية انتهى بسقوط دولتهم، واحتلال العثمانيين لها، وأصبحت ولايةً عثمانية، وكان الحكام يجنون أموالًا طائلة من الضرائب الظالمة التي فُرضت على السكان الفقراء، وأعمال القرصنة والنهب، وكان قد وقعَ خِلاف بين ورثة الدولة القرمانلية في الفترة بين عامي ١٧٩٨و ١٨٣٥، مما أفسحَ المجال أمام الدول الأوروبية للتدخُّل من أجل وَضْع خُططٍ مستقبليةٍ تهدفُ إلى أن تضع فرنسا وبريطانيا أيديهما على ليبيا.

قسَّمت الإدارة العثمانية ليبيا إلى قسمين: ولاية طرابلس، وعلى رأسها الوالي أو الباشا، ومتصرفية بنغازي، وعلى رأسها متصرف هو أدنى مستوى من والي طرابلس، وله حق الاتصال بالآستانة، مركز الحكم العثماني، وفي سنة ١٨٣٥ أدخلت الدولة العثمانية النظام القضائي العثماني إلى طرابلس، إلا أن تطبيق هذا القانون ظلَّ اسميًّا.

غير أن نفوذ السَّلطنة العثمانية لم يستطع الوصول إلى المناطق الداخلية من البلاد، مما جعلَ كُلًّا من الأعراف القَبَليَّة والتقاليد هي القوانين الوحيدة التي يخضع له السكان في تلك المناطق، وكان للدول الأجنبية امتيازات في طرابلس، فقد كانت أشبه بالقنصليات اليوم، حيث أُعفيَ الأجانب من الحضور أمام المحاكم العثمانية، ومن دفع الجزية وتفتيش منازلهم.

وبما أن الدولة العثمانية تعتبر نفسها حارسةً لدولة الإسلام، فقد شجَّعت على انتشار الفِرق الصوفية في مختلف البلاد، ومن بينها الرفاعية والعيسوية والسنوسية والعروسية والمدنية.

هاجَرَ الكثير من الليبيين بعائلاتهم وأُسرهم وسط معاناة حالكةٍ إلى الأقطار المجاورة، فانتشروا في مصر وتونس وتشاد، ووصلوا إلى الشام؛ «سوريا ولبنان» فرارًا من القمع الإيطالي الآخذ في الازدياد مثل الأورام الخبيثة، الذي أراد أن يجعل من بلادهم شاطئًا رابعًا لروما، وواصلت في تلك الأقطار مجموعاتٌ عديدة منهم - علاوة على نشاطها الاجتماعي والتجاري - نضالها النبيل وتنسيقها مع الداخل لإحداث ثغرة في جدار العدو، وتقريب يوم التحرير، وتحقيق الاستقلال الكامل لدولةٍ حُرة يعيشون فيها بعزةٍ وكرامة.. فكانت البدايات الوطنية في ديار الهجرة امتدادًا حقيقيًّا للمقاومة والنضال داخل الوطن الليبي اللذين كادا يتوقفان بإعدام رمزهما عمر المختار[1] في ١٦ سبتمبر ١٩٣١، ثم استشهاد خليفته يوسف

(١) عمر بن مختار بن عمر المنفي، وُلد في القرن التاسع عشر، وتحديدًا في عام ١٨٥٨م للميلاد في منطقة البطنان الواقعة في الجبل الأخضر التابع لمنطقة برقة، نشأ عمر المختار نشأةً طيبة، حيث سُقيت تربيته بماء العزة والكرامة والشهامة، وجُبلت نفسه على الصفات الحميدة المستمدَّة من هدي النبي المصطفى ﷺ، ومن كتابَ الله عزَّ وجل، تربى عمر المختار على يد الشيخ حسين الغرياني بعدما تُوفي والده في رحلة الحج، كان عمر المختار وقتها لم يزل فتىً صغيرًا، وعُرف عمر المختار منذ صغره بفِطنته وذكائه؛ مما جعله محط اهتمام الشيوخ في معهد الجغبوب الذي مكث فيه =

بورحيل[1] في آخر معارك النضال الوطني في زاوية « أم ركبة» قُرب الحدود الليبية – المصرية، مع نفرِ من رفاقه في ١٩ ديسمبر ١٩٣١.

=لمدّة ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المختلفة. سارعَ عمر المختار بالانضمام إلى تنظيم حركة التحرير والمقاومة منذ بداية الحرب الإيطالية على ليبيا في ٢٩ سبتمبر ١٩١١، واستطاع أسد الصحراء (وهو اللقب الذي حازه نتيجة نضاله الدؤوب ضد الغزو الإيطالي لبلاده)، أن يقف ندًّا لدولة عظمى مثل إيطاليا تملك إحدى الترسانات العسكرية الحديثة في ذلك الوقت، لكن قوة الطليان لم تُثْنِه عن تسطير أعظم المعاني لنَيْلِ الحرية، فلم يخضع للمساومات والمفاوضات، واستطاع أن يُنزل بعدوه خسائر فادَحة، وضربات مُوجِعة، وظلَّ على الدوام يقول كلمته المشهورة في وجه المُحتل: «لئن كَسَرَ المِدفع سيفيَ، فلن يَكسر الباطلُ حقي»، وقع الشيخ البطل أسيرًا في أيدي القوات الإيطالية في ١١ سبتمبَر من عام ١٩٣١م إثر محاصرته في منطقة وادي بوطاقة، وبعد محاكمةٍ وُصفت بالهزلية، حُكم على الشيخ عمر المختار بالإعدام شنقًا حتّى الموت، وفي صباح يوم الأربعاء الخامس عشر من الشهر نفسه نُفِّذ بحقِّه حُكم الإعدام، وصعدت روح ذلك البطل القائد الشيخ (عمر المختار) إلى بارئها عزّ وجل. https://mawdoo3.com/

(١) وُلد المجاهد يوسف بورحيل المُلقب بـ «بو خديدة» عام ١٨٦٦، في منطقة مدور الزيتون، واستُشهد في ١٩ ديسمبر عام ١٩٣١، أمُّه فاطمة الكريه من قبيلة القطعان. ويعتبر يوسف بورحيل الذراع اليمنى ونائب شيخ الشهداء عمر المختار في قيادة حركة الجهاد في إقليم برقة شرق ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي، وقد خلف عمر المختار في قيادة حركة الجهاد بترشيح من قادة الجهاد آنذاك، وبتوصية شيخ الشهداء. وخاض بورحيل حربه ضد الاحتلال الإيطالي وقاومه منذ بدايته سنة ١٩١١، إلى عام ١٩٣١، وبدأ حربه ضد القوات الإيطالية وهو في الـ ٣٨ من عُمره، واستُشهد بعد إحاطة دورية إيطالية به عن عمر يناهز الـ ٦٥ عامًا. موقع أجواء.
https://www.ajwa.net/news

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، رآها الليبيون فرصة يجب استغلالها من أجل تحرير البلاد، فلما دخلت إيطاليا الحرب سنة ١٩٤٠ انضمَّ الليبيون إلى صفوف الحلفاء، بعد أن تعهَّدت بريطانيا صراحةً بأنه عندما تضع الحرب أوزارها فإن ليبيا لن تعود بأي حال من الأحوال إلى سيطرة إيطاليا.

كانت الشكوك تُساوِر الليبيين في نيات بريطانيا بعد انتهاء الحرب، واتضحت هذه النيات بعد هزيمة إيطاليا الفاشية وسقوط كُلٍّ من بنغازي وطرابلس في أيدي القوات البريطانية. كان هدف بريطانيا المتماشي مع سياستها المعهودة «فرِّق تسُد»، فصلَ إقليمي برقة وطرابلس، ومَنْحَ فزان لفرنسا، والعمل على غرس بذور الفرقة بين أبناء ليبيا. وبينما رأى الليبيون أنه بهزيمة إيطاليا سنة ١٩٤٣ يجب أن تكون السيادة على ليبيا لأهلها، رفض الإنجليز والفرنسيون ذلك، وصمَّموا على حُكم ليبيا حتى تتم التسوية مع إيطاليا. أصبحت هاتان الدولتان تتحكمان في مصير ليبيا ضد رغبة الشعب الليبي، وبعد كثير من المفاوضات اتُّفِقَ على منح برقة استقلالها الذي اعترف به الإنجليز على الفور، كان ذلك في أول يونيو ١٩٤٩، لكن هذا الإجراء الذي كانت غايتُه تقسيم ليبيا، وتهدئة الليبيين، وإلهاءهم عن قضيتهم، لم يُسكت صوت أحرار ليبيا الذين استمروا في المطالبة بحقوقهم واستعادة حريتهم، هذا الإصرار من جانب الشعب الليبي ضَمِن للقضية الليبية مكانًا في جداول أعمال المؤتمرات التي عقدتها

الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، كما نَقَلَ الليبيون قضيتهم إلى هيئة الأمم المتحدة [١].

بدا واضحًا لليبيين أن هناك اتجاهًا تقوده الدول الكبرى المنتصرة في الحرب لفَرْضِ وصايةٍ دوليةٍ من خلال الأمم المتحدة، ثم تبلور هذا الاتجاه إلى تقسيم الوصاية بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا بوجهها الجديد بعد سقوط الحكم الفاشي نتيجةً للحرب العالمية الثانية. ثم تتطوَّر الصراع من أجل الوصاية على ليبيا، وشَمِلَ دولًا أخرى تطمح في الوصاية أيضًا على ليبيا، مثل مصر والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، كما هناك رأي بوضع الجامعة العربية وصايتَها على ليبيا.

في ١٠ مارس ١٩٤٩تقدَّمت بريطانيا وإيطاليا بمشروع بيفن – سيفورزا[٢]، الذي يقضي بتقسيم ليبيا بين بريطانيا وإيطاليا وفرنسا، بحيث

---

(١) ليبيا قبل ثورة الفاتح. موقع سفارة ليبيا في إسبانيا.
/http://www.embajadadelibia.com/ar/historia-de-libia

(٢) هو مشروع خطة وصاية جرى بين وزير خارجية إيطاليا كارلو سفورزا، ووزير خارجية بريطانيا أرنست بيفن، وفيه جرى الاتفاق بين الدولتين على أن تحصل ليبيا على استقلالها بعد عشر سنوات ـ على أن تُوضع أقاليم ليبيا الثلاثة خلال هذه الفترة تحت وصاية دولية، فتتولى بريطانيا الوصاية على برقة، وتتولى إيطاليا إدارة طرابلس، وتتولى فرنسا إدارة فزان. وقُدم المشروع إلى الأمم المتحدة للتصويت عليه أمام الجمعية العامة في ١٧ مايو ١٩٤٩، ولتمريره كان يتطلب موافقة ثلثي الأعضاء =

تستأثر إيطاليا بالوصاية على طرابلس، وبريطانيا على إقليم برقة، وفرنسا على ولاية فزان. وطُرح المشروع للتصويت عليه في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ولكن المشروع رُفض.

في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ ا وافقت الجمعية العامة للأم المتحدة على منح ليبيا استقلالها في موعدٍ لا يتجاوز الأول من يناير ١٩٥٢، وشُكلت لجنة لتعمل على تنفيذ قرار الأمم المتحدة، وبَذْلِ قُصارى جهدها من أجل تحقيق وحدة ليبيا، ونَقْلِ السلطة إلى حكومةٍ ليبيةٍ مستقلة.

وفي شهر أكتوبر ١٩٥٠ شُكِّلت جمعية تأسيسية من ستين عضوًا، يُمثِّل كلُّ عشرين منهم إقليماً من أقاليم ليبيا الثلاثة، وفي ٢٥ نوفمبر من السنة نفسها اجتمعت الجمعية التأسيسية برئاسة مفتي طرابلس لتُقرِّر شكل الدولة، وعلى الرغم من اعتراض ممثلي طرابلس على النظام الاتحادي فقد اتُّفِقَ عليه، وكلَّفت الجمعية التأسيسية لجنةً لصياغة الدستور، فدَرَسَتْ تلك اللجنة النُّظمَ الاتحادية المختلفة في العالم، وقدَّمت تقريرها إلى الجمعية التأسيسية في سبتمبر ١٩٥١، وكانت قد شُكِّلت حكوماتٌ إقليمية مؤقتة بليبيا.

=الحاضرين وعددهم ٥٨ دولة. ونجح أحد أعضاء الوفد الليبي (د. علي نور الدين العنيزي) في كسب تأييد ممثل دولة هايتي (إميل سان لو) لدى الأمم المتحدة، وكان صَوْتُه هو المُرجِّح لسقوط المشروع.

الموسوعة الحرة. https://ar.wikipedia.org/wikiمشروع_بيفن_سفورزا.

وفي ٢٩ مارس ١٩٥١ أعلنت الجمعية التأسيسية تشكيل حكومةٍ اتحادية مؤقتة لليبيا، مقرُّها طرابلس، برئاسة محمود المنتصر. وفي ١٢ أكتوبر ١٩٥١ تسلَّمت الحكومة الاتحادية والحكومات الإقليمية السُّلطة كاملة، عدا وزارات الدفاع والخارجية والمالية، وقد تسلَّمت حكومة ليبيا الاتحادية حقيبة المالية في ١٥ ديسمبر١٩٥١، وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أُعلن استقلال ليبيا، وبُويع إدريس السنوسي ملكًا على المملكة الليبية المتحدة، بنظام فيدرالي يضمُّ ثلاث ولاياتٍ؛ (طرابلس – برقة – فزان)، كما أُعلن الدستور الجديد للبلاد[1].

وقد نشأت الدولة الليبية الجديدة، وترعرعت في جو ديمقراطي طبقًا لبنود الدستور، وتعدَّدت بها الحريات، عدا حرية التحزُّبٍ، وقد شهد مجالا الإعلام والثقافة بروزًا ونضوجًا لم يُشهد لهما مثيل، إلا أن وقوع انقلاب سبتمبر قضى على كل ما أنجزته الدولة الليبية في عمر المملكة القصير.

توالت الاعترافات بالدولة الوليدة، وقُبلت عضوًا بالجامعة العربية، وهيئة الأمم المتحدة، وحضرت مؤتمر باندونج، وأسهمتْ بجهودها ودبلوماسيتها في محيطها العربي والإسلامي والأفريقي ودول عدم الانحياز، وشاركت في تأسيس الكثير من المنظمات والهيئات الدولية، وكانت سياستها ثابتةً وواضحة ومستقرة، تعتمد على مراعاة المصلحة العليا للوطن ومصالح جيرانها، وأُسِّس البرلمان الليبي بمجلسيه الشيوخ والنواب، وتكوَّن الجيش

---

(١) الموسوعة الحرة. https://ar.wikipedia.org/wikiمشروع_بيفن_سفورزا.

الليبي من نواة الجيش السنوسي الذي شارك في تحرير البلاد، ووُضعت القوانين والتشريعات التي تُنظِّم النواحي الاقتصادية والأمنية والعلاقات بين الأفراد وبين الدولة، وافتُتحت البنوك، وشجَّعت الدولة نشاط الشركات الخاصة والتجارة، وأصدرت عُملةً للبلاد، وأُسست الجامعة الليبية ثم الجامعة الإسلامية، وجرى التوسع في الاهتمام بالتعليم في كل مستوياته، وأُوفدت البعثات إلى الخارج للاستفادة من الانفتاح على العالم، وأُنشئت الكلية العسكرية الملكية وكلية ضباط البوليس، ولُوحِظ الاهتمام بالحركة الكشفية وتكوين الأندية الرياضية، وصَدَرَت العديدُ من الصحف الحكومية والمستقلة، وأُسست الإذاعة الليبية ثم التلفزيون الليبي، وجرى الاهتمامُ بالمرأة عنصرًا فاعلًا في المجتمع، وحماها الدستور، ومنحها في تعديلاته حقَّ الترشُّح، وبُنيت العديد من المدن والمرافق، وشُقت الطُّرق لربط البلاد الشاسعة بعضها ببعض، وكذا الموانئ والمطارات والمدن والملاعب الرياضية وغير ذلك، مما يجعل عهد دولة الاستقلال شيئًا مميزًا يفتخر به الليبيون حتى مع وجود العثرات والكبوات، وفي المُجمَل كان هناك براح وهامش من الحرية - في واقع الأمر - يشهد بهما الكثيرون.[1]



---

(١) سالم الكبتي، ليبيا. مسيرة الاستقلال. موقع شخصي.

http://elgazwi.blogspot.com/2012/02/blog-post_9253.html



الفصل الثاني

ثورة الفاتح من سبتمبر

عندما شرعتُ في الكتابة عن ثورة القذافي، وبدأت في البحث عن المصادر والمعلومات، وجدتُ أن هناك مصادر تصف ثورة القذافي بالانقلاب، وهي بالطبع لم تعترف بالثورة أو تبنَّت موقفًا معارِضًا لها.

وبعض المصادر أيَّدت الثورة، وأشادت بها وبإنجازاتها.

وهو أمر أصبح شائعًا الآن، خصوصًا بعد ثورات الربيع العربي التي بدأت بتونس وانتهت بالجزائر والسودان.

وبين هذا وذاك، كان يجب أن ألتزمَ الحياد، وأكتبَ ما وجدتُه بالمصادر كما هو. سواء كان ثورةً أو انقلابًا.

الذي حدث في الأوّل من سبتمبر ١٩٦٩م هو تحرّك معمّر القذّافي ورفاقهفي ظلام الليل، فاستولوا على السّلطة، بعد أن تنازل ولي العهد الليبي[١] عن العرش، بينما كان الملك نفسه في رحلةٍ علاجية بتركيا.

---

(١) وُلد الأمير الحسن الرضا السنوسي «ولي عهد الملك إدريس» في مدينة بنغازي عام ١٩٢٨م بمنطقة البركة. وتلقَّى تعليمه الابتدائي في ليبيا. كما تلقى علوم القرآن على أيدي شيوخ السنوسية، ثم التحق عام ١٩٤٤م بالأزهر الشريف. وقد توطَّدت علاقاته هناك مع نخبة من العلماء والأئمة والشيوخ الأفاضل من مختلف الأقطار الإسلامية،بما في ذلك علماء ليبيا.عُيِّن السيد الحسن الرضا، في منتصف ١٩٥٦م، وليًّا للعهد خلفًا=

ودعَّمت دولٌ عربية منها مصر وسوريا والعراق والسودان القذافي، حيث تم ضبط الأمور الداخلية في الدولة الليبية بعد وقت قليل من

=لوالده، وأُعلن عن ذلك رسميًّا في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦م. تزوَّج الأمير الحسن الرضا السنوسي في عام ١٩٥٩م بكريمة الشيخ الطاهر باكير من مدينة طرابلس، ورُزق بثلاث بنات وخمسة أبناء «المهدي ومحمد وخالد وأشرف وجلال». مثَّل السيد الرضا السنوسي ليبيا في مؤتمر قمة الدول العربية، الذي عُقد في عام ١٩٦٤م في القاهرة، وفي مؤتمر الدول العربية في الخرطوم، في أواخر ١٩٦٧م. كما التقى الرؤساء «جمال عبد الناصر» مصر،١٩٦٢م و«جون كينيدي» الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٦٢م، والإمبراطور «هيلا سيلاسي» الحبشة، ١٩٦٨م، و«الحبيب بورقيبة» تونس، ١٩٦٩م، و«هواري بومدين» الجزائر. كما كانت له علاقات طيبة مع العديد من قادة الأمم في العالم بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة. قُبض عليه وسُجن صباح يوم ١ سبتمبر ١٩٦٩م في السجن المركزي المعروف باسم الحصان الأسود، ثم نُقل وشقيقه السيد مصطفى الرضا السنوسي إلى معسكر باب العزيزية، حيث حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة سنوات. ثم وُضع بعد عام ونصف تقريبًا، تحت الإقامة الجبرية. وبعد أن سُمح له بالتجول، زار بعض مدن ليبيا وقراها، من بينها البيضاء والزهراء وصبراتة، كما أخذ يتردد إلى مساجد طرابلس، حيث تفرغ للعلم والعبادة. ولكنه مُنع من ارتياد أحد المساجد الذي كان يؤدي فيه صلاة الجمعة في مدينة طرابلس. وفي عام ١٩٨٤م اقتحم أعوان النظام منزله وطردوه منه، وحرقوا مكتبته وعاثوا في محتويات المنزل فسادًا، فانتقل إلى سكن آخر متواضع في تاجوراء، مع أهل السيدة الكريمة زوجته. أُصيب بجلطة في المخ سببت له شللًا نصفيًّا، بالإضافة إلى أمراض القلب، فسافر في أكتوبر ١٩٨٨م، مع ابنه «محمد» للعلاج في لندن. وتوفي يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل ١٩٩٢م عن عمر يناهز الثالثة والستين عامًا، ودُفن بمقبرة «البقيع»، حيث دُفن أيضًا، المجاهد «أحمد الشريف»، والملك «محمد إدريس السنوسي» و«الرضا السنوسي».. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

الانقلاب، وأُلغي العملُ بدستور البلاد الشرعي، ألقى هو ورفاقه بعد استيلائهم مباشرة على السّلطة في ١ سبتمبر ١٩٦٩م القبضَ على رجالات الدولة، وعلى كلّ شخص توقعوا أنّ يُعارِضهم أو يعمل ضدّهم، فاعتقلوه تحفظيًّا. كما أصدروا في اليوم الأوّل لاستيلائهم على السّلطة قرارًا حلُّوا بموجبه مؤسسات الدولة كافةً: البرلمان.. مجلس الوزراء.. المجالس الإداريّة العليا للدولة.. مجلس القضاء، ويعدُّ هذا القرار إشارة مبكرة دالَّة عن رغبة القذّافي في حُكم البلاد دون قانون أو دستور. هذا ما أكَّدوه في يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٩م حينما أصدروا قرارًا ألْغَوا بموجبه دستور البلاد، وأعلنوا الدستور المؤقَّت الذي وضع السّلطات التشريعيّة والتنفيذيّة كافةً تحت تصرف ما يُسمى بمجلس قيادة الثورة. وأصدروا قانونًا آخر سُمي بقانون (حمايّة الثورة)، والذي نصّ على إعدام أيّ شخصٍ يشترك في عملٍ مُناوِئ لأهداف الثورة.

قالت مصادر قريبة من أعضاء في مجلس قيادة الثورة الذي أطاح بالنظام الملكي في سبتمبر ١٩٦٩: إن عددًا من هؤلاء شعر بالمرارة؛ لأن القذافي أخفى عنهم أهدافه الخاصة، ومنها استمراره شخصيًّا على رأس السلطة، وأن جميع أعضاء المجلس تقريبًا، باستثناء العقيد، كانوا خلال السنوات الأولى للحكم حريصين على وضع دستور للبلاد، وتسليم السُّلطة إلى حكومة مدنية، والعودة إلى ثكناتهم، لكنهم فشلوا في ذلك، ولم تكن «الثورة الشعبية» التي أعلنها القذافي في نيسان / أبريل ١٩٧٣ سوى التفافٍ على ذلك المطلب.

وأوضحت المصادر أن المصير الذي واجهه أعضاء المجلس الذين خالفت وجهات نظرهم وجهة نظر القذافي تراوح بين الاستقالة والطرد والإقامة الجبرية والنفي والقتل كالآتي:

١ - الرائد محمد نجم[١].

٢- الرائد مختار القروي[٢].

٣- الرائد عوض حمزة[٣].

---

(١) محمد نجم: اعتزل في وقت مبكر وكان يدعو إلى قيام نظام ديمقراطي تعددي، ويعيش داخل ليبيا ويعمل في مجال الأعمال الحرة، وهو من منطقة سيدي خليفة. سودانيل يوم ٢٨ - ٠٣ - ٢٠١١.

(٢) اعتزل الحياة السياسية، ويعيش داخل ليبيا، ويعمل في مجال الأعمال الحرة، وهو من منطقة سوق الجمعة في طرابلس.
لم ينضم إلى مجلس قيادة الثورة على الرغم من أنه كان من المجموعة الأساسية التي نفذت الانقلاب، الذي تولى لفترة طويلة هيئة أركان حرب الجيش بعد قيام الثورة، وهو من منطقة الشاطئ في فزان. فُرضت عليه الإقامة الجبرية في بيته بعد اتهامه بالاشتراك في المحاولة الانقلابية ضد القذافي في آب / أغسطس ١٩٧٥.

(٣) يعد من المتشددين داخل مجلس قيادة الثورة، عُرف باعتراضه على آراء معمر القذافي، حيث نشبت الخلافات الدائمة بينهما مند عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٥، حيث وُضع تحت الإقامة الجبرية، وقد توارى عن الأنظار بعد حَلِّ المجلس، وعاش بقية حياته داخل ليبيا، وهو من منطقة غمنيس في برقة. وُلد عام ١٩٤٤ وهو من أصول مصراتية من قبيلة الرملة تحديدًا.. سودانيل يوم ٢٨ - ٠٣ - ٢٠١١.

٤-الرائد عبد المنعم الهوني[١].

٥-النقيب محمد أبو بكر المقريف[٢].

٦-النقيب عمر المحيشي[٣].

٧-الرائد بشير هوادي[٤].

٨-ولم يبق من أعضاء مجلس قيادة الثورة الـ١٢ بمن فيهم القذافي، منذ ١٩٧٥ إلا أربعة هم:

---

(١) من بين الذين اختلفوا في سنوات الثورة الأولى مع العقيد معمر القذافي، وعاش في المنفى متنقلًا بين الجزائر ومصر، وتعرَّض لمحاولة اغتيال فاشلة. تصالح مع القذافي قبل سنوات، وتولَّى منصب مندوب ليبيا في الجامعة العربية، ثم انضم إلى معارضي القذافي فيما بعد، وهو من منطقة زنزور في طرابلس.أ لجأ الي مصر وعاش فيها سودانيل يوم ٢٨ - ٠٣ - ٢٠١١.

(٢) توفي في حادث مروري في مطلع السبعينيات، وأشار القذافي فيما بعد أنه كان يخطط للإطاحة به، وهو من منطقة أجدابيا في برقة. موقع سودانيل يوم ٢٨ - ٠٣ - ٢٠١١.

(٣) من معارضي العقيد القذافي. نفَّذ محاولة انقلابية فاشلة، فرَّ على إثرها من البلاد، وعاش متنقلًا بين مصر والمغرب، عاد إلى ليبيا في منتصف الثمانينيات، بعد توقيع الاتحاد العربي الإفريقي بين المغرب وليبيا. ويكتنف الغموض الكيفية التي انتقل بها من المغرب إلى ليبيا. حيث ذُكر أنه طلب ذلك بعد أن تلقى تطمينات بعدم متابعته، في حين تقول أوساط المعارضة الليبية إنه «سُلم إلى ليبيا». اتُّهم بالاشتراك في الانقلاب الفاشل عام ١٩٧٥، وتمكن من الهروب إلى خارج ليبيا، ثم سلَّمته السلطات المغاربية إلى القذافي عام ١٩٨٣. ويتردد على نطاق واسع أنه عُذب، وتمَت تصفيته جسديًّا. والمحيشي من منطقة مصراتة في طرابلس. موقع سودانيل يوم ٢٨ - ٠٣ - ٢٠١١.

(٤) فُرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله بعد اتهامه بالاشتراك في محاولة الانقلاب الفاشلة عام ١٩٧٥.

٩-أبو بكر يونس جابر[١] .

١٠- العقيد مصطفى الخروبي[٢].

١١- العقيد الخويلدي الحميدي[٣].

١٢- عبد السلام جلود[٤].

وتجدر الإشارة إلى أن دور عدد من عناصر اللجان الثورية والأجهزة الأمنية وبعض القذاذفة فاق أهمية أعضاء مجلس قيادة الثورة منذ عام ١٩٧٧.[٥]

---

(١) خُفضت رتبته من عميد إلى عقيد عام ١٩٨٦، وفقد منصبه قائدًا عامًّا للقوات المسلحة عام ١٩٩٠، بعدما حلّها القذافي واستعاض عنها بكتائب الشعب المسلح»، وأصبحت مهماته قاصرة في غالبيتها على توطيد العلاقة مع السودان.

(٢) أُبعد عن رئاسة أمن الجماهيرية ومنصب معاون القائد، ويكاد عمله في السنوات الأخيرة يقتصر على إيفاده في مهمات خاصة إلى بعض الدول العربية. ويقال إنه تعرض لتحرشات من عناصر قبيلة القذاذفة، وفي مقدمها خليفة أحنيش والأخوان سيد وأحمد قذاف الدم. ويقال أيضًا إن طباخه السوداني وُجد مشنوقًا في منزله عام ١٩٨٣ على رغم من الحراسة المشددة حوله.

(٣) أُبعد عن منصب وزير الداخلية عام ١٩٧٧، وكلَّفه القذافي قبل الغارة الأمريكية على ليبيا عام ١٩٨٦ بمهمة الإشراف على الأجهزة الأمنية. وبرغم تكليفه بعدد من المهام الخاصة لدى دول المغرب العربي وبعض دول الخليج، فإنه لم يكن في موقع القرار.

(٤) كان يُعدُّ الرجل الثاني في مجلس قيادة الثورة إلى أن توارى عن الأنظار في التسعينيات، بعد خلاف مع العقيد القذافي، ولم يتولَّ أي منصب رسمي، وهو يعيش حاليًا داخل ليبيا، وينحدر جلود من منطقة الشاطئ في فزان.

(٥) صحيفة الحياة اللندنية. يوم ٢٦ يوليو ١٩٩٢.

http://www.alhayat.com/article/1874054

وقد سيطر القذافي كونه قائدًا لحركة الضباط الوحدويين في الجيش الليبي على الإذاعة الليبية في بنغازي، وحاصر الملك، ومن ثم استولى على السلطة في ليبيا. وأُعلنت الجمهورية في ليبيا.

رواية أخرى لما حدث

روى عبد الهادي بوطالب [1] تفاصيل أول ليلة في ثورة الفاتح من سبتمبر١٩٦٩.

وهو الرجل الذي قُدر له أن يحضر أول ليلة قامت فيها الثورة.

فقد قال: إنه أمضى ليلة لا تُنسى في طرابلس، ليلة وقوع الانقلاب، أي في الأول من سبتمبر. يتذكر بوطالب «عندما وصلتُ إلى طرابلس قيل لي:

---

(١) كاتب ومفكر مغربي تخرج في جامعة القرويين وحصل على إجازة ودكتوراه في الشريعة، وأصول الفقه، ودكتوراه في الحقوق. شارك في أول حكومة مغربية بعد الاستقلال وزيرًا للشغل والشؤون الاجتماعية. تقلب طوال الستينيات والسبعينيات في عدة وزارات منها: وزير الإعلام والشباب والرياضة، كان الوزير المكلف بالبرلمان، الناطق الرسمي باسم الحكومة، وزير العدل، وزير التربية الوطنية، وزير الدولة، وزير الخارجية. وعمل سفيرًا للمغرب بكل من بيروت، ودمشق، وواشنطن، والمكسيك، وترأس البرلمان سنة ١٩٧٠. كان أستاذًا للملك الراحل الحسن الثاني، وللملك محمد السادس بالمعهد الملكي بالرباط، وعمل مستشارًا للملك الحسن الثاني. له العديد من المؤلَّفات منها «بين القومية العربية والتضامن الإسلامي»، و«المرجع في القانون الدستوري والمؤسسات السياسية»، و«نصف قرن في السياسة»، و«العالم الإسلامي والنظام العالمي الجديد»، و«لكي نفهم الإسلام أحسن».

موقع https://www.hespress.com/politique/17381.html

إن الملك إدريس السنوسي كان موجودًا خارج البلاد، وأن الذي ينوب عنه هو ولي العهد الأمير الحسن الرضا، فسلَّمتُ له الرسالة في يوم وصولي نفسه إلى ليبيا، وقال لي: إن الملك إدريس سيحضر القمة تلبية لدعوة أخيه ملك المغرب، وتمنَّى التوفيق للمؤتمر، وكان عليّ أن أظلَّ في طرابلس حتى اليوم التالي، وأستقلَّ الطائرة المتوجهة إلى الدار البيضاء، كان معظم أعضاء الحكومة يوم وصولي موجودين في بنغازي باستثناء وزير الخارجية الذي عَلِمَ أنني سأصلُ إلى طرابلس لتسليم رسالة للملك إدريس، فعاد لاستقبالي بالمطار، ونظرًا لأنني سأمضي الليلة في طرابلس، وكنتُ أُقيم في فندق «الودان» في ضيافة الحكومة الليبية، دعاني وزير الخارجية لحضور مأدبة عشاء نُظمت على شرفي في الفندق نفسه، وحضرها بعض الوزراء، وقال: إنه سيرافقني في الصباح إلى المطار لتوديعي، وبعد انتهاء مأدبة العشاء ودَّعتُ الوزراء الليبيين، وكانوا خمسة، وتوجَّهت إلى غرفتي في الفندق، ونِمتُ بعض الوقت، وبعد فترة جاءني حارس الفندق الليلي، وأعطاني راديو وقال: «أنصِتْ، إن هناك موسيقا عسكرية تتردَّد بدون انقطاع»، ولم يزد على ذلك، وفعلًا، كانت هناك موسيقا عسكرية «مارشات العسكرية» وهي مجرد نبرات موسيقية أو نغمات، وبعد ذلك أُطفئت الأضواء، وانقطعت الأخبار. وفي الصباح الباكر استيقظتُ، وطلبتُ من الحارس أن يُحضِر لي الفطور، فقال: إنه لا يستطيع ذلك؛ لأن موظفي الفندق لم يأتوا بعد، ولم يكن في الفندق إلا عدد قليل من النزلاء. بقيتُ في غرفتي، وتناهى إلى أسماعي صوتُ بعضِ الطلقات النارية التي كانت تصلُ متقطعةً دون أن أستطيع معرفة مصدرها».

ظلَّ عبد الهادي بوطالب اليوم بأكمله ينتظر في الفندق، ويطلُّ من نافذة الغرفة التي تركها نصف مفتوحة على الشارع الخالي من المارة، ولم تهز تلك الطلقات طرابلس، إذ كان يبدو أنها طلقات لا تلقى مقاومة، وربما كانت طلقات لتأمين سير وحدات الجيش أو الشرطة، ووجد المبعوث المغربي نفسه وحيدًا معزولًا لا يجد أحدًا يُكلِّمه، وكان عاجزًا عن مغادرة الغرفة، أو بالأحرى مغادرة الفندق.

يستطرد بوطالب قائلاً: «كنتُ تركت طوال اليوم نافذة الغرفة نصف مفتوحة خشية أن تنفذ منها رصاصة طائشة، رأيتُ سيارةً عليها عَلَمٌ مغربي، وبعد لحظات قليلةٍ طَرَقَ باب غرفتي حسن المصمودي القائم بأعمال السفارة المغربية في طرابلس، وحمل المصمودي معه بعض الساندويتشات وزجاجات مياه، وقال لي: منذ الصباح وأنا أُكافِحُ من أجل الوصول إليك، البلاد كلها وُضعت في حالة طوارئ، وتخضع لنظام منع التجول، وكل من يخرج إلى الشارع يمكن أن يتعرض لإطلاق الرصاص، وأضاف المصمودي: إن الجيش والشرطة يضعان الحواجز في كل مكان، وكنتُ أقول لهم: إن وزيرًا مغربيًّا يوجد في الفندق ضيفًا على ليبيا».

هكذا كانت الأجواء في ليبيا خلال الأيام الأولى للانقلاب كما سمعتُها من شاهد عيان، وهو شخصية مرموقة، يُعتدُّ بروايتها.

بمناسبة مرور سنة على انقلاب ليبيا حضر عدد من القادة العرب إلى ليبيا احتفالًا بالذكرى الأولى لقيام «ثورة الفاتح من سبتمبر» كما أصبح اسمها الرسمي في ليبيا، وكانت تلك - في الواقع - أول مرة يطل فيها العقيد معمر القذافي على العالم الخارجي.

مِن أبرز مَن حضر ذلك الاحتفال الرئيس جمال عبد الناصر، والملك حُسين، والرئيس الحبيب بورقيبة. تابَعَ الجميع الحفل الخطابي، والعرض الاستعراضي للقوات المسلحة الليبية، واستمعوا إلى خطاب مُطوَّل ألقاه العقيد معمر القذافي تجاوز الساعة، استهله بالتوجُّه إلى الرئيس جمال عبد الناصر قائلًا: «أخي القائد الرائد الأكبر» معلنًا أن الثورة ستكون أكبر سندٍ لمصر الناصرية، ثم تحدث الرئيس جمال عبد الناصر حيث أعلن عن تأييد قويٍّ للثورة الليبية.

كانت تصرفات العقيد معمر القذافي آنذاك تلقائية، وتُعبِّر عن تواضُع شديد، ورُوح ثورية دافقة، لذلك حين عاد ضيوف ليبيا إلى الفندق وجد كل واحد منهم تحت باب غرفته ورقةً كُتب عليها:

«من معمر إلى أخيه فلان»، وعندما سأل الضيوف مكتب الاستقبال من يكون «معمر هذا»؟ قالوا لهم: «إنه القائد القذافي».

لم يكتب العقيد القذافي على الورقة إلى جانب اسم «معمر» صفته قائدًا للثورة، ولا رئيسًا لليبيا، ولا حتى اسم القذافي. وقال موظفو الاستقبال: إن العقيد القذافي جاء مساءً إلى الفندق، وطاف على رؤساء الوفود ليُسلِّم على مَن يلقاه منهم، ويضع تحت باب غرفة مَن لم يجده ورقةً تُفيد مُروره على الغُرف.[1]

---

(١) طلحة جبريل. صحيفة سوداننا. ١٤ مارس ٢٠١١. صحيفة إلكترونية سودانية.

ثورات مضادة للقذافي.

سنعرض بالتفصيل محاولات الثورات المضادة للعقيد القذافي، والتي تمكَّن من إخمادها.

خلال فترة حُكم القذافي وقعت عدةُ محاولاتٍ انقلابية، كان أبرزها:

المحاولة الأولى:

انقلاب المُقدم آدم حواز وزير الدفاع (الأسبق) والمُقدم موسى الحاسي وزير الداخلية في حكومة القذافي في ٧ ديسمبر ١٩٦٩، أي بعد ثلاثة أشهر من تربُّع القذافي على سُدَّة الحُكم، وهما من الضباط المشاركين في انقلاب القذافي.

وبدأت محاولة الانقلاب بالسعي للسيطرة على بعض المعسكرات المهمة، شرقي ليبيا، بسبب محاولة القذافي إقصاء الجميع، وتربُّعه على كرسي السلطة، لكن القذافي أعلن في اليوم نفسه عن «إحباطه»، واعتقال حواز والحاسي؛ حيث لقي الأول حتفه في السجن، بينما أُطلق سراحُ الآخر بعد عشرين سنة.

المحاولة الثانية:

محاولة عبد الله عابد السنوسي في مايو ١٩٧٠، وهو ابن عم ملك ليبيا الراحل إدريس السنوسي، وأحد أركان الأسرة السنوسية الحاكمة سابقًا،

والذي كان يُخطط من روما باتفاق مع ضباط منتمين لقبائل من سبها (جنوبي البلاد) مُقرَّبة من الأسرة السنوسية لقلب النظام، لكن نظام القذافي استبق هذا المُخطَّط بحملة اعتقالات في صفوف أنصار السنوسي في سبها (جنوب)، وزجَّ بهم في السجون، وأطلق سراحهم بعد سنوات، بينما ظلَّ السنوسي في المهجر بعد فشل محاولته.

المحاولة الثالثة:

محاولة الرائد عمر المحيشي في ١٣ أغسطس ١٩٧٥ شاركَ في الإعداد لهذه المحاوَلة ٢١ ضابطًا، منهم بشير هوادي، وعبد المنعم الهوني، وهما مع المحيشي من أهم رفاق القذافي في انقلابه، وتحمل المحاولة أسباب الفشل ذاتها كسابقتها، إضافة إلى معارضة المحيشي تعطيل الإطار الدستوري والقانوني للبلاد عام ١٩٧٥، وتمكَّن القذافي من القبض على هوادي والهوني، وإيداعهما السجن، بينما فر المحيشي إلى الخارج ليمارس نشاطًا مُعارِضًا من مصر، ثم من المغرب، التي سلَّمته للقذافي عام ١٩٨٣، وتضاربت الأنباء حول مصيره بين السجن أو القتل فور وصوله[(١)].

(١) طرابلس ـ أسامة بن هامل ـ الأناضول. نقلًا عن صحيفة رأي اليوم في ١٦ فبراير ٢٠١٤.

محاولات الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا (1).

كانت المحاولة الانقلابية الأولى للجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا في ٨ مايو ١٩٨٤، وهي من أبرز المحاولات الانقلابية، حيث نُفِّذت داخل معسكر باب العزيزية، معقل القذافي، بمهاجمته بالسلاح، وأفشلها الأخير خلال ساعات بعد محاصرته عناصرَ المحاولة، وقتلَ عددًا كبيرًا منهم، واعتقلَ آخرين، وكان أحد أفراد العملية، وهو أحمد حواس، قد اعتُقل في أثناء دخوله للبلاد، مما كشف أسرار المحاولة وسهَّل إفشالها.

---

(١) هي مجموعة سياسية معارضة، نشطتْ في أثناء حكم نظام القذافي في ليبيا، أُسست عام ١٩٨١ وكانت تدعو لإصلاحات ليبرالية كبرى، مثل الانتخابات الديمقراطية، الصحافة الحرة، والفصل بين السلطات، في الثمانينيات، شنَّت حملة مسلحة على نظام القذافي وقامت بعدة محاولات انقلابية، أشهرها الهجوم المسلح عام ١٩٨٤ على مجمع باب العزيزية في طرابلس. بعد فشل هذه المحاولة والعديد من المحاولات الأخرى تخلت الحركة بشكل كبير عن النضال المسلح، وعوضًا عن ذلك استخدمت التكتيكات السلمية لتعزيز الإصلاح في ليبيا؛ عام ٢٠٠٥، انضمت الحركة مع ستِّ جماعات أخرى لتأسيس المؤتمر الوطني للمعارضة الليبية، بعد سقوط نظام القذافي في أثناء الحرب الأهلية الليبية، كانت الحركة قد حققت هدفها الرئيسي طويل المدى. بعد انتهاء الحرب، حُلت الحركة، وخلفها حزب الجبهة الوطنية، الذي فاز بثلاثة مقاعد في انتخابات المؤتمر الوطني العام ٢٠١١. مؤسس الجبهة وزعيمها السابق، محمد المقريف، انتُخِب رئيسًا للمؤتمر الوطني الليبي العام، ورئيسًا مؤقتًا للدولة. موقع المعرفة. https://www.marefa.org .

وتكوَّنت الجبهة من عناصر من أركان نظام القذافي كانت قد هاجرت إلى الخارج لتُنظِّم نفسها ضمن مُسمَّى الجبهة الوطنية، وقادت معارضة حكم القذافي لأكثر من خمسة عشر عامًا، وكانت تُشرِف على معسكرات تدريب أفرادها في السودان قبل تنفيذها لمحاولة الانقلاب، ومن أهم قادتها محمد المقريف، أول رئيس للمؤتمر الوطني العام (البرلمان المؤقت) بعد انتهاء حكم القذافي، وعلي زيدان الذي رأسَ الحكومة الليبية المؤقتة في فترة سابقة (من ١٤ أكتوبر ٢٠١٢ إلى ١١ مارس ٢٠١٤).

المحاولة الانقلابية الثانية للجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا كانت في أكتوبر ١٩٩٣، وظهر فيها تخطيط جديد للجبهة باعتمادهم على ضباط من الداخل في صفوف جيش القذافي، من أبرزهم مفتاح قروم، قائد الانقلاب، وهي محاولة مجهولة التفاصيل باستثناء هجوم لجيش القذافي على معسكر بمدينة بني وليد وقصْفِه واعتقال عددٍ من الضباط، أبرزهم قروم، الذي نُفذ فيه حكم الإعدام ورفاقه بتهمة الخيانة العظمى، بحسب التلفزيون الرسمي الليبي حينها.

كما شاع الحديث خلال عام ٢٠٠٨ عن قيادة المعتصم، نجل القذافي، محاولة انقلابية عسكرية على حكم والده، باءت أيضًا بالفشل، وبسبب القبضة الأمنية للقذافي، وسيطرته على وسائل الإعلام، لا يُعرف تفاصيل ما جرى بدقة، لكن المعتصم كان يشغل حينها منصب مستشار الأمن القومي، وقائدًا لأحد أهم الكتائب الأمنية التابعة لوالده.

ويُعرف المعتصم بين إخوته بالصرامة، وحِدة الطَّبع، ويبدو أن سعي القذافي لتوريث السلطة لنجله الأكبر سيف الإسلام كان السبب الأكبر في سعي المعتصم - ذي الطموح السياسي - لمحاولة الانقلاب باستخدام كتيبته العسكرية، التي يُشرف عليها، ما دفع والده إلى إبعاده عن المشهد لمدة، وتقليص صلاحياته، قبل أن يعود إلى قيادة أحد أهم كتائب والده إبان اندلاع ثورة ١٧ فبراير عام ٢٠١١، وليُقتل بجانب والده في ٢٠ أكتوبر/ تشرين الأول من العام ذاته.

وأخيرًا أُعلن عن محاولة انقلابية مزعومة من جانب اللواء المتقاعد خليفة حفتر، الذي أُسر من قبل القوات التشادية نهاية الثمانينيات من القرن الماضي خلال الحرب بين البلدين، قبل أن ينتقل إلى أمريكا لينضم إلى صفوف الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا كونه معارضًا لحكم القذافي حتى اندلاع الثورة عام ٢٠١١، حيث عاد إلى ليبيا لينضم إلى صفوف الثوار متقلدًا منصب قائد القوات البرية في جيش المجلس الوطني الانتقالي، ثم أُحيل للتقاعد مع عدد من الضباط ممن بلغوا سن التقاعد بقرار من هيئة أركان الجيش الليبي العام الماضي، ليعود إلى الظهور مرة أخرى، معلنًا عن «انقلاب مزعوم»، لم يتجاوز أثره شاشة التليفزيون التي ظهر عليها.

ويعزو الكثيرون من المتابعين للشأن الليبي فشل جميع المحاولات الانقلابية إلى قوة الأجهزة الأمنية إبان حكم القذافي.





الفصل الثالث

عبد الناصر والقذافي

كانت ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ الليبية، مُفاجِئةً تمامًا لعبد الناصر، فلم يكن يتوقع أن تقوم ثورة في ليبيا، مع أن أحد زملاء القذافي، وأحد المشاركين فيها كان موجودًا في مصر، في رحلةٍ علاجية لمدة أربعين يومًا بدأت من ٢٧ مارس ١٩٦٩. هو عبد المنعم الهوني.

كانت رحلةَ علاجٍ واتصالٍ بالضباط الذين فرُّوا من الجيش الليبي وانضموا إلى القوات المسلحة المصرية، وشاركوا في حرب ١٩٦٧. تجمع حشدٌ من القوات الليبية على الحدود المصرية في إطار الدعوة إلى المشاركة في المواجهة مع اسرائيل في ٧ يونيو ١٩٦٧. كانت هناك وحدات مدرعات ومدفعية ومشاة. وراحت رئاسة الأركان الليبية تُماطِل وتقول لهم: إن التعليمات بالمشاركة لم تصدُرْ بعد. فاقتحم بعض العسكريين بآلياتهم بوابات الحدود، ودخلوا الأراضي المصرية وشاركوا في القتال، ومن بين هؤلاء ثلاثة ضباط كانوا معروفين جيدًا هم: عمر الواحدي، والثاني سليم الحجاجي، وخليفة عبد الله حفتر[1].

---

(١) وُلدَ ١٩٤٣ في (إجدابيا) هوَ عسكري ليبي، كان رفيق العقيد السابق معمر القذافي في الانقلاب على النظام الملكي الليبي عام ١٩٦٩، وكان قائدًا في الحرب=

قبل أن يذهب الهوني إلى مصر حصلَ على عناوينهم من أقربائهم. وحين وصل بدأ بالبحث عنهم. التقى عمر الواحدي، وهو من دفعة سابقة له، وأمضيا سنة في الكلية العسكرية، وكانا على اتصالٍ بعد التخرج.

كان معمر ضد فكرة تبليغ المصريين، لكن بعض الإخوة اعتبر أن عليهم القيام بذلك من باب العلم بالشيء، ولأن الحركة العسكرية مؤيِّدة لعبد الناصر. لم يكن مطلوبًا بحث التنسيق أو غيره، ولم تُحدَّد المواعيد. حتى آخر لحظة قال له معمر: لا تبلغ المصريين. التقى الهوني في مصر عمر الواحدي، وهو من الضباط الذين تمت دعوتهم للانضمام إلى التنظيم، ودار بينهم حديث. طلب في نهايته تبليغ المصريين؛ ولأن الواحدي كانت له علاقة بسكرتير عبد الناصر محمد أحمد .. اقترح أن يتصل به لترتيب اجتماع لإبلاغه بهذه المعلومات، أمضى الهوني نحو ٤٠ يومًا في مصر، وأخبر الواحدي أنه طلب تحديد موعد مع سكرتير الرئيس، وكان الموعد يُؤجَّل باستمرار، وهكذا لم يلتقِ أيَّ مسؤول مصري. وعندما عاد في الأسبوع الأول من مايو سئل عما

= على تشاد، فأسرَ هناك، ثمّ أعلن من سجنه انشقاقه عن نظام القذافي في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، فخرج من سجنه ليُقيم في الولايات المتحدة حتى عودته إلى ليبيا بعد انطلاق ثورة ١٧ فبراير سنة ٢٠١١، وشارك في العمل العسكري والسياسي لإسقاط القذافي، وتولَّى لمدة وجيزة قيادة «جيش التحرير» الذي أسَّسه الثوار. عيّنهُ مجلس النواب الليبي المُنعقد في طبرق قائدًا للجيش الوطني الليبي سنة ٢٠١٥، ووافق على ترقيته إلى رتبة فريق، ثم أصدر قرارًا بترقيته إلى رتبة مشير في ١٤ سبتمبر ٢٠١٦.

فعله في القاهرة. فروى لهم ما حصل. وارتاح معمر عندما أدرك أنه لم يحصل اتصال مباشر مع المصريين. ربما تولَّى هو الاتصال بهم عبر قنوات أخرى. وقتها كان مدير المركز الثقافي العربي في بنغازي، مصريًّا، وكان صديقًا لمعمر، وقد عمل لاحقًا في الاتحاد الاشتراكي في ليبيا.

والغريب، أن يقوم ضباط ليبيون في مصر باتصالات فيما بينهم، وتغفل عنهم أجهزة الأمن والمخابرات المصرية. وهو أمر لم يكن واردًا، وتفسيره أن الجهاز كان يترنَّح، عندما أُلقي القبضُ على رئيسه بتهمة استغلال النساء، وفي تلك الفترة كان عبد الناصر مشغولًا بإعادة بناء القوات المسلحة وإعداد البلاد للمعركة.

المهم أن الثورة الليبية نجحت، واتصل قادتها بعبد الناصر، وجلسوا معه، وفي إحدى المرات، وقبل رحيل عبد الناصر بأشهر، قال موجِّهًا حديثه إلى «قائد الثورة الليبية» الشاب معمر القذافي: «معمّر أنت تذكّرني بشبابي».

تلك الجملة التي قالها جمال عبد الناصر ربما مجاملة للضابط الشاب الذي قاد ثورةً، وخلعَ ملكًا، في بلد مجاور، مقتديًا به، وربما نسيها عبد الناصر ولم يتذكرها. أحدثت مفعولها في وجدان الضابط الشاب، وربما أفقدته توازنه فيما بعد.

تصرَّف القذافي باعتباره زعيمًا وثوريًّا ومفكرًا، بل مثقفًا ومنظِّرًا وفيلسوفًا ومؤلفًا روائيًّا كما سنوضِّح فيما بعد.

احتواء عبد الناصر لطموحات القذافي واندفاعاته هو وأقرانه من الضباط الأحرار الذين وصفهم محمد حسنين هيكل[1]. في كتابه « كلام في السياسة». بعدما

(١) ولد محمد حسنين هيكل في عام ١٩٢٣ في حي الحسين، بالقاهرة، وكان والده تاجر حبوب من ديروط، بمحافظة أسيوط بصعيد مصر. كان هيكل يطمح لأن يصبح طبيبًا، لكن ظروفه لم تسمح له بغير الدراسة في مدرسة التجارة المتوسطة. وقرر هيكل مواصلة دراسته في القسم الأوروبي بالجامعة الأمريكية، وخلال فترة دراسته تعرف إلى سكوت واطسون الصحفي المعروف وقتئذ بالإيجيبشان جازيت، والذي استطاع عن طريقه أن يلتحق بالجريدة في ٨ فبراير ١٩٤٢، صحفيًّا تحت التمرين بقسم المحليات وكانت مهمته جمع أخبار الحوادث، وكانت المطبوعة الأجنبية الأولى في مصر، وكان من يكتبون فيها ملء السمع والبصر، منهم مثلًا جورج أرويل ولورانس داريل وايف كوري ابنة مير كوري مكتشفة اليورانيوم، أما رئيس تحريرها فكان كاتبًا لا يقل قدرًا عن هؤلاء، هو هارولد إيرل. وقع عليه الاختيار ليذهب إلى العلمين التي شهدت أشرس معارك الحرب العالمية الثانية، ليصف بقلمه وقائع تلك المعارك. ومن الحرب في العلمين إلى الحرب في مالطا إلى استقلال باريس، تنقَّل هيكل لتُردِّد الألسنة اسمه، والتقى السيدة فاطمة اليوسف صاحبة مجلة روز اليوسف، وأصبح هيكل عام ١٩٤٤ صحفيًّا في مجلة روز اليوسف التي كانت بوابة تعارُفه إلى محمد التابعي، ومن ثم الانتقال للعمل معه في مجلة آخر ساعة التي عمل بها في آخر عامين للتابعي بها، قبل أن يشتريها منه مصطفى وعلي أمين، وعلى صفحات آخر ساعة كتب هيكل في ١٣ أغسطس ١٩٤٧ ما جعله حديث مصر كلها، ونقصد تحقيقه المصور عن «خُط الصعيد»، ولم ينته عام ١٩٤٧ حتى اخترق هيكل وباء الكوليرا ليكتب تحقيقًا عن قرية «القرين» التي لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منها، وهكذا كان طبيعيًّا أن يحصل الصحفي=

= الشاب محمد حسنين هيكل عـن جـدارة على جائـزة فـاروق، أرفـع الجوائز الصحفيـة بمصـر في ذلك الوقـت وكان انتقاله للعمل بجريدة أخبـار اليـوم التي شهـدت صفحاتها -بـدءًا من ١٩٤٧ ولمدة خمس سنوات تالية- انفرادات هيكل، من تغطيته لحرب فلسطين، إلى انقلابات سوريا، ومن ثورة محمد مصدق في إيران إلى صراع الويسكي والحبرة في تركيا، ومن اغتيال الملك عبدالله في القدس إلى اغتيال رياض الصلح في عمان واغتيال حسني الزعيم في دمشق. وفي ١٨ يونيو ١٩٥٢ فوجئ قراء مجلة آخر ساعة بعلي أمين -وكان وقتها رئيسًا لتحريرها- يخصص مقاله للحديث عن هيكل، ويُنهيه بأنه قرَّر أن يقدم استقالته، ويقدم للقراء في الوقت نفسه هيكل رئيسًا للتحرير، وهكذا أصبح هيكل رئيسًا لتحرير آخر ساعة، ولم يكن تجاوز بعد التاسعة والعشرين. بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٦ ازدادت العلاقة قُربًا بين جمال عبد الناصر وهيكل، ليصبح بعد فترة المتحدث الرسمي باسم حركة الضباط الأحرار، وليكون أحد صناع تاريخ مصر بعد ثورة يوليو، وصاحب البصمة الواضحة في تاريخ مصر، وفي تاريخ الصحافة المصرية والعربية، والذي أعطى صحيفة الأهرام شكلها الحالي، لتصبح أكبر المؤسسات الصحفية في العالم العربي..

ظهر أول مقال له في جريدة الأهرام تحت عنوان « بصراحة « يوم ١٠ أغسطس ١٩٥٧ بعنوان السر الحقيقي في مشكلة عُمان، وكان آخر مقال له في ١ فبراير ١٩٧٤ بعنوان الظلال.. والبريق. في عام ١٩٧٠م عُين وزيرًا للإرشاد القومي، ولأن الرئيس جمال عبد الناصر ـ وقد ربطت بينه وبين هيكل صداقة نادرة ما تحقق بين رجل دولة وبين صحفي ـ يعرف تمسكه بمهنة الصحافة، فإن المرسوم الذي عيَّنه وزيرًا للإرشاد القومي نصَّ في الوقـت نفسه على استمـراره في عمله الصحفي رئيسًا لتحريـر الأهرام، وقبل المنصب الوزاري بعد أن تكرر اعتذاره عنه عدة مرات، وكان ذلك تقديرًا لظرف =

التقاهم بأنهم «شباب بريء إلى درجة محرجة، وشباب رومانسي إلى درجة خطرة».

=سياسي وعسكري استثنائي في الظروف المحيطة بحرب الاستنزاف. وبعد وفاة ناصر وانتقال السلطة إلى أنور السادات سانده هيكل للتغلُّب على من أسماهم بمراكز القوى، رغم أن هيكل في النصف الثاني من السبعينيات كان خارج دوائر النفوذ؛ حيث أُبعد بقرار رئاسي عن الأهرام، فإنه لم ينته صحفيا كما توقَّع كثيرون وقتها، بل زادت نجوميته مخترقًا الحواجز والقيود التي فرضتها عليه القيادة السياسية، ليصبح واحدًا من أهم ١١ صحفيًّا في العالم، تُترجم كُتبه إلى ٣١ لغة .بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م اختلف مع الرئيس السادات حول التعامل مع النتائج السياسية لحرب أكتوبر، واتخذ الرئيس قرارًا بتعيينه مستشارًا، واعتذر عن قبول المنصب وتفرَّغ للكتابة، وكان كل ما يكتبه يُنشر خارج مصر وهو يعيش داخلها، وكان من نتيجة كتاباته أن اعتقله الرئيس السادات ضمن اعتقالات سبتمبر ١٩٨١م. منذ أن ترك رئاسة تحرير الأهرام كتب تحقيقات ومقالات لكُبريات صحف العالم، وفي مقدمتها «الصنداي تايمز»، والتميز» في بريطانيا، كذلك نشرَ أحد عشر كتابًا في مجال النشر الدولي بينها: «خريف الغضب» الذي ظهر في ٣١ لغة ـ و«عودة آية الله» و»الطريق إلى رمضان» و«أوهام القوة والنصر» وغيرها.... وكلها نشر في ٢٥ ـ ٣٠ لغة تمتد من اليابانية إلى الإسبانية. كذلك نشر باللغة العربية في هذه الفترة ٢٨ كتابًا أهمها حتى الآن مجموعة حرب الثلاثين سنة (٤ أجزاء)، والمفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل (٣ أجزاء). اعتزل الكتابة المنتظمة والعمل الصحفي في ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٣ بعد أن أتم عامه الثمانين. وقد ساهم في إلقاء الضوء بالتحليل والدراسة على تاريخ العرب المعاصر الوثيق الصلة بالواقع الراهن مستخدمًا منبرًا جديدًا غير الصحف والكُتب هو التلفاز، حيث عرضَ تجربة حياته في حلقات أسبوعية في قناة الجزيرة الفضائية. تُوفي يوم١٧ فبراير ٢٠١٦، بالقاهرة. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

وقتها كان جمال عبد الناصر ينصح القذافي في أول لقاء لهما، يبدو أن القذافي كان يسأل عبد الناصر عما يفعله. وأجابه عبد الناصر إجابات واضحة قائلًا:

– لا تقترب من امتيازات البترول الآن، ليس ذلك وقتًا مناسبًا.

– لا تحاول التسرع بإلغاء اتفاقيات القواعد في ليبيا، ذلك استفزاز لستم في حاجة إلى إثارته الآن، أنتم – الآن بمقتضى المعاهدات – على وشك التفاوض لتجديد الاتفاقات عام ١٩٧٠ – ابدؤوا التفاوض عندما تجيء المهلة المطلوبة للشروع فيه وهي ستة شهور قبل انتهاء الاتفاقات، وعندها اطلبوا ما تشاؤون.

– لا داعي لأي حديث عن الوحدة بين مصر وليبيا، تلك مسألة يُستحسن تأجيلها إلى ما بعد مواجهة مشكلة القواعد الأمريكية والبريطانية، وربما أُفضِّل إلى ما بعد المعركة.

– هناك الكثير تستطيعون المشاركة فيه ضمن الجهد العسكري العربي، ولكنني أُفضِّل أن تبحثوا أموركم في ليبيا، وأن تعطوا أنفسكم فرصة للاستقرار والتركيز على خدمة الشعب الليبي حتى يمشي معكم لأبعد من عواطفه القومية.

– لا تقلقوا من تأجيل إسهامكم العملي في الجهد العسكري، وتذكَّروا أن مجرد قيام ثورة في ليبيا في هذ الوقت بالذات إضافة استراتيجية كبرى إلى القوة العربية.[1]

(١) محمد حسنين هيكل. كلام في السياسة. كلام ورجال. دار الشروق. القاهرة ٢٠٠٨.

وبينما كان القذافي يعرض الوحدة بين مصر وليبيا، كان عبد الناصر يسايره بالقول: «المبدأ مقبول، لكن التنفيذ مؤجّل». وعندما طالَبَ العقيد الليبي بالمساهمة في المعركة ضد إسرائيل، لم يُرفض طلبه لكن اتُّفق على أن تُترك لعبد الناصر فرصة التفكير في طريقة مساهمة ليبيا. وهو ما حصل عندما طلب عبد الناصر من القذافي تمويل شراء قاذفات طائرات، لم يتردد حينها الزعيم الليبي في دفع ثمنها حيث كانت الثقة محور العلاقة بين الرجلين.

إلا أنّ حالة الوئام والتناغُم في العلاقات المصرية ـ الليبية، سرعان ما تبدّدت مع تولّي أنور السادات سُدّة الحكم عقب موت عبد الناصر، ما مثّل من وجهة نظر هيكل «هزة عنيفة للضابط الشاب الذي مشى من الخيمة إلى قمة السلطة في بلاده بغير تمهيد.

ظلَّ الزعيم الرئيس القذافي يفتخر بعلاقته بعبد الناصر طوال حياته التي انقضت بانقضاء حكمه في ليبيا على إثر الانتفاضة الشعبية التي أسقطت حكمه هناك في خضم ثورات الربيع العربي.

الحقيقة أن معظم أعضاء مجلس قادة الثورة الليبي، يتفقون حول حبهم واحترامهم واستلهامهم ما فعله جمال عبد الناصر.

آراء قادة ثورة ليبيا تبايَنت حول رأيهم في شخصية الرئيس جمال عبد الناصر.

يقول عبد السلام جلود، الرجل الثاني في ثورة الفاتح من سبتمبر، والذي يلي القذافي مباشرة في ترتيب الأقدمية والبرتوكول الليبي، إنه زار الرئيس جمال عبد الناصر، ويقول:

« كان عبد الناصر زعيماً كبيرًا، وكان مثالًا بالنسبة لنا، ولا يزال بالنسبة لي، وكنت أعتقد أنني حين أصل لمقرِّه، سأشاهد الحراسات والمراسم، وأنني سأنتظر في مكتب جانبي، قبل الدخول للسلام عليه، وفوجئتُ بأنهم أخذوني من المطار إلى منزله لأفاجأ به واقفًا عند السيارة التي أقلتني واحتضنني بحرارة لدرجة أن قُبعتي العسكرية وقعت.»

ويستطرد عبد السلام في روايته للكاتب والصحفي غسان شربل [1] وهو ما سجَّله الأخير في كتابه المعنون «في خيمة القذافي» المنشور عن دار الريس في لندن: «سألت عبد الناصر: ماذا نحتاج لتحرير فلسطين؟ فأجاب: قاذفة مقاتلة والسوفييت ليس لديهم ذلك. شرحتُ وجهة نظري بأن التوازن مع العدو لا يقوم على التوازن بين دبابة وصاروخ، بل هو قبل ذلك توازن على الصعيد الإنساني والاجتماعي، وأن تحرير الإنسان العربي هو الأساس».

---

(١) كاتب وصحفي لبناني. رئيس تحرير صحيفة «الحياة». بدأ عمله في صحيفة «النهار» محررًا ثم معلقًا في قسم الشؤون العربية والدولية. انتقل إلى وكالة الصحافة الفرنسية. عمل في صحيفة «الشرق الأوسط» في لندن. تولى رئاسة تحرير مجلة «الوسط». صدر له: «مسعود بارزاني يتذكر». «في عين العاصفة» (قصة رمضان شلح زعيم «الجهاد الإسلامي» في فلسطين). «جورج حاوي يتذكر»، (دار النهار). ذاكرة الاستخبارات – حوارات مع: جميل السيد، جوني عبده، غابي لحود ومحمود مطر – رياض الريّس للنشر – ٢٠٠٧... موقع أبجد. https://www.abjjad.com .

الحقيقة أن كلام جلود – إن صح – فهو كلام عبقري لا يصدر إلا عن فيلسوفٍ أدهشته الدنيا، فجلس يرتاح ليفكر في شئونها وليخرج بأحكامه الراقية، ولكن أن تصدر عن شاب في الثلاثينيات فهو أمر مشكوك فيه.

ولكن من ناحيتي الشخصية لا أستبعدُ ذلك، لأن كل أباطرة الشرق وحُكامه لديهم إلهامات وتجلِّيات غريبة، تتجلى في كُتبهم وخُطبهم وأقوالهم، ولم تظهر قط في أفعالهم.

إنهم لا يفعلون ما يقولون أبدًا.

وكان عبد السلام جلود في منتهى الصراحة عندما أخبرنا: «أنه أبلغ جمال عبد الناصر بأنه سيزور فرنسا لشراء طائرات الميراج، وأن عبد الناصر ابتسم وأخبره قائلًا: أنتم أولاد صغار ومتفهموش، الميراج لا يمكن أن تكون عندنا وعند إسرائيل، وكرر: أنتم أولاد صغار ومتفهموش في السياسة».

ولكن عندما تمت صفقة الميراج، أُهديت طائرات لمصر، سأل عبد السلام جلود جمال عبد الناصر عن رأيه في الصفقة فأجابه جمال عبد الناصر ضاحكًا « أنتم بتذلوني بقى ...».

وفي كتاب غسان شربل نفسه عن خيمة القذافي. يرى الرائد عبد المنعم الهوني زميل القذافي وشريكه في ثورة الفاتح من سبتمبر، أن عبد الناصر رجل بوليسي، يقصد أنه قمعي. ويستطرد قائلًا: « طلبنا من الجانب المصري إبرام

اتفاق حول وحدة عسكرية، وأننا نحتاج إلى تامين الثورة في ليبيا بانتظار إعداد الجيش الليبي وتكوينه، ونحتاج إلى قوات عسكرية ترابط في طرابلس وبنغازي، تجاوب عبد الناصر وأرسل فورًا قوات خاصة، طلبنا خبرات قانونية، فأرسل لنا محمد حسنين هيكل والدكتور جمال العطيفي[1]، وأعددنا إعلانًا دستوريًّا، ولم نستكمل شيئًا، لا دستور في ليبيا، هناك نص اسمه وثيقة الشعب، وهي وثيقة مبايعة القذافي، وطبعًا هناك الكتاب الأخضر.

ارتبط الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» بعلاقة قوية – أكبر بكثير من مفهوم الصداقة البروتوكولية – بالرئيس الليبي «معمر القذافي» الذي تأثر به، وأراد تقليده حينما رأى من «عبد الناصر» اهتمامًا ونشاطًا ملحوظين في المجالات السياسية والاقتصادية كافةً.

(١) وزير إعلام مصري سابق، ووزير الثقافة المصرية السابق. هو من أحد عائلات الأشراف بمركز أبوتيج، من مواليد محافظة أسيوط عام ١٩٢٥. نال الدكتوراه في القانون من جامعة القاهرة عام ١٩٦٤، سياسي وإعلامي شغل منصب وكيل نيابة الصحافة عام ١٩٤٤. عمل مستشارًا قانونيًّا للرقابة على النشر عام ١٩٤٩.عمل وكيل أول نيابة الصحافة عام ١٩٥٣.عمل مستشارًا قانونيًّا لمؤسسة الأهرام عام ١٩٦٢. عُين رئيسًا للجنة التشريعية عام ١٩٧٢. كلَّفه السادات برئاسة لجنة تقصي الحقائق في موضوع الفتنة الطائفية في الخانكة، وأعدَّ أخطر تقرير عنها في نوفمبر ١٩٧٢، تولى رئاسة وزارة الإعلام في الفترة من ١٩ مارس ١٩٧٦ وحتى ٢ فبراير ١٩٧٧ .وضع مشروع قانون دستور سنة ١٩٧١، حصل على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣. تُوفي عام ١٩٨٣.

فكان «القذافي» يرى في «عبد الناصر» البطل القومي الذي استطاع إشاعة الوحدة في العالم العربي، ورَفْض الاستعمار الغربي، والانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

قال عبد الناصر للقذافي: إننا نشعر بالقوة الكبرى، فقد قال أخي معمر القذافي: إن عبد الناصر يزداد قوة.. نعم يا أخي، فإننا نزداد قوة بكم، وبهذه الأمة، وبهذا الشعب العربي الثائر، وبهذا الشعب الذي صمَّم على الصمود حينما توالت علينا الهزائم بعد ٥ يونيو، وحينما أعلنا وَقْف إطلاق النار، وحينما أعلنتُ التنحي في يوم ٩ و ١٠ وخرج هذا الشعب يرفض الهزيمة، ويُصمم على الصمود، ويصمم على التحرير. وتابع: «إنني أيها الأخ «معمر» حينما أشعر بالقوة إنما أستمدُّ قُوَّتي من قُوَّتكم، أستمدُّ قُوَّتي من قوة الأحرار أمثال معمر القذافي، ومن قوة الشعب العربي الحر أمثال الموجودين هنا اليوم»[(١)] .

وهناك من يرى أن هناك رافدًا آخر، استمدَّ منه القذافي أفكاره.

فقد هبَّت موجتان على ليبيا التي لم تُطرح بها مسألة الهوية الوطنية.

الأولى. من الشرق، من مصر، الرئيس جمال عبد الناصر الذي رفع شعار القومية العربية، وهي هوية عابرة للحدود، والثانية. ومن الغرب

---

(١) مقطع فيديو أذيع بمناسبة الذكرى الـ ٤٦ لوفاة الزعيم جمال عبد الناصر.
Posted by INTERNATIONALIST 360° on SEPTEMBER 28, 2016 .

الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة[1] الذي قاد حملات إعلامية، كان شخصيًّا

---

(١) وُلد الحبيب بورقيبة في ٣ آب/ أغسطس عام ١٩٠٣، في بلدة المنستير، في عائلة متواضعة. أتمَّ دراسته الثانوية في مدينة تونس، وانتسب إلى حزب الدستور، أو الحزب الدستوري الحر. حصل عام ١٩٢٤ على منحةٍ دراسية لدراسة العلوم السياسية والحقوق في باريس. وفور عودته إلى تونس، انضم إلى المعارضة، وبدأ عمله السياسي عام ١٩٣٠ مناضلًا دستوريًّا. أسَّس صحيفة Tunisian Action، والتي حدد فيها أهدافه السياسية بتطوير قومية علمانية وثورية وحديثة. انضم بورقيبة إلى الحزب الحر الدستوري عام ١٩٣٣ واستقال منه في العام نفسه، ليؤسس بورقيبة في ٢ آذار/ مارس عام ١٩٣٤، حزب الدستور الجديد الراديكالي. ورافقه في التأسيس محمود الماطري والطاهر صفر والبحري قيقة. وقد أقضّ نشاطه مضجع القائم العام الفرنسي، فنُفي بورقيبة نحو الجنوب، حيث بقي لمدة عامين. وقد حُرر حين حاولت الجبهة الشعبية في فرنسا تحرير النظام الاستعماري وبدأت مفاوضات مع القوميين عام ١٩٣٦. وفشلت المحادثات في التوصل لأية نتائج، على الرغم من حداثة بورقيبة ورغبته في المساعدة في إصلاح النظام الاستعماري. ومن أهم إنجازاته في السنوات التي سبقت الحرب كان فصله الشغيلة التونسيين عن الاتحاد العمالي العام الذي تسيطر عليه الشيوعية وإنشاؤه اتحاد عمالي مستقل، الاتحاد العمالي التونسي للشغل المستقل. اعتُقل بورقيبة ثانيةً في ١٠ نيسان/ أبريل عام ١٩٣٨، إثر تظاهرةٍ شعبية قمعتها الشرطة الفرنسية بوحشية في ٨ و ٩ نيسان/ أبريل عام ١٩٣٨، ونُقل بورقيبة إلى مرسيليا وبقي فيها حتى ١٠ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٤٢، حيث نُقل بعدها إلى سجنٍ في ليون ثم إلى حصن سان نيكولا، حيث اكتشفته القوات الألمانية التي غزت فرنسا، فنقلتّه إلى نيس ثم إلى روما، ومن هناك أُعيد إلى تونس حرًّا طليقًا في ٧ نيسان/ أبريل عام ١٩٤٣. وإثر عودته أقنع مؤيدي حزب الدستور الجديد بدعم الحلفاء، على أمل الاستفادة منهم بعد أن تضع الحرب أوزارها. إلَّا أن فرنسا عادت إلى تونس عام ١٩٤٥، مُستعمِرةً. وقرر بورقيبة السفر إلى المنفى الاختياري في القاهرة في ٢٣ آذار/ مارس عام ١٩٤٥، بعد ذلك طلب بورقيبة الدعم الخارجي من البلدان العربية والولايات المتحدة وعدة دول أخرى. وبقيَ يأمل في اتخاذ فرنسا موقفًا=

خطيبها وإمامها المفوَّه، محورها الهوية الوطنية التونسية. مشروع الحداثة المرتكِز على اقتلاع العقلية القبلية التي كانت تُسمى في تونس «العروش»، وتكريس النمط الغربي، وتعليم اللغة الفرنسية إلى جانب العربية. رغم الاختلاف البيِّن والكبير بين الاثنين، جمال عبد الناصر والحبيب بورقيبة، فإنهما اشتركا في صفة الزعيم التي تُقدم الحاكم العربي الجديد لمرحلة دولة الاستقلال. في ليبيا الملكية غاب الخطاب الزعامي مع دخول جهاز الراديو الذي خلق عقلية «الأذن» الصانعة لبدايات الرأي العام الشعبي. الملك إدريس السنوسي الفقيه الزاهد في الكلام والسُّلطة، لم يخلق لغة تواصُل مباشر مع الشعب، بل اعتزل جزئيًّا الحياة السياسة، واكتفى بدور الأب الوطني الناصح والواعظ. كانت غالبية رؤساء الحكومات من الرعيل الذي ساهم في تأسيس دولة الاستقلال، لم تكن لهم صلاحية للحديث مباشرة إلى الناس، ولم تكن لهم قدرات تؤهِّل أغلبهم لذلك. بقيت ليبيا بين مطرقة عبد الناصر القومية العابرة للحدود، وسندان بورقيبة المتحصِّن بلغة التحديث الوطني داخل الحدود التونسية. أحس بعض رموز النخبة الليبية في دواليب الإدارة بقوة الموجتين الشرقية والغربية، لكن صوت جمال

=تصالحيًّا مع تونس وقبولها ببرنامجه المؤلف من سبع نقاط الذي وضعه لقيادة تونس بخطوات نحو حكم ذاتي داخلي حتى عام ١٩٥٠. عوضًا عن ذلك وجَّهت السلطات الفرنسيةُ الإصلاحات نحو اشتراكها في سيادة تونس. وكان ذلك بالنسبة لبورقيبة نذيرًا بالثورة. موقع اراجيك https://www.arageek.com/bio/habib-bourguiba .

عبدالناصر كان أقوى إيقاعًا في أذن العامة، بل النخب الليبية. عندما شرعت الإذاعة الليبية المسموعة ببث برامجها في وسط خمسينيات القرن الماضي، قرَّر القائمون عليها أن تُرسل البرامج إلى فرع الراديو ببنغازي، ليجري البث في الوقت ذاته تعبيرًا عن وحدة تلك الوسيلة الوطنية الجديدة[1].
ربما تشابهت ظروف الرجلين من حيث قيام كل منهما بطرد ملك البلاد في دولته، وتصرف في الحكم بمعرفته. ولكن وَرِثَ بلدًا مثقلًا بالديون وموارده محدودة، بينما ورث الزعيم الليبي دولة ثرية تعوم على بركة بترول وأموال طائلة تصرَّف فيها القذافي بمعرفته أيضًا.

تأثر القذافي كثيرًا بالرئيس المصري، واعتبر تلك العبارة القصيرة وصيةً معلنة من عبد الناصر ليكون «أمينًا على القومية العربية» من بعده. كان مستمعًا جيدًا لخطابات عبد الناصر التي يحملها أثير الراديو من القاهرة، يحفظها عن ظهر قلب ويرددها، حتى أنه تعرَّض للفصل من مدرسته بعدما نظَّم مسيرة لدعم الزعيم المصري.

ربما كانت تلك العبارة مدخلًا لعلاقة طويلة جمعت بين الأستاذ وتلميذه. في عالم الثورات. علاقة جعلت من الزعيم الليبي صورة طبق الأصل للرئيس جمال عبد الناصر، حتى في تصرفاته وعلاقاته برجاله الذين ساندوه وقاموا بالثورة معه، كان مصيرهم مثل مصير بعض زملاء عبد الناصر.

---

(١) عبد الرحمن شلقم، موقع جنوب العرب.

كان رجل المخابرات المصري فتحي الديب[1]، هو أول مصري ينقل ما حدث في ليبيا إلى الرئيس جمال عبد الناصر.

(١) فتحي الديب أحد أبرز معاوني الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر في قضايا الشئون العربية، يعدُّ الديب من مؤسسي جهاز المخابرات العامة المصرية عام ١٩٥٣، حيث كان ضمن ثمانية اختارهم عبد الناصر برئاسة عضو مجلس الثورة زكريا محيي الدين، تولوا مهمة إنشاء جهاز المخابرات، ومن خلال عمله كلَّفه عبد الناصر برئاسة دائرة الشئون العربية في جهاز الاستخبارات وأوكل إليه إعداد خطة لتحرير دول الوطن العربي من الاستعمار. وأنجز الديب هذه المهمة، ومن خلالها أسست إذاعة صوت العرب كأداة إعلامية لثورة يوليو ١٩٥٢ في معاركها ضد الاستعمار. عندما قام الزعيم الليبي معمر القذافي ورفاقه في مجلس قيادة الثورة الليبية بثورتهم ضد نظام الملك السنوسي في الأول من سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٩ اختار عبد الناصر الديب على رأس فريق مصري تم إيفاده بشكل عاجل إلى طرابلس لحماية الثورة الليبية وترسيخ علاقاتها مع القاهرة. ألف عدة كتب ضمَّنها تجربته السياسية والأمنية، أهمها «عبد الناصر وتحرير المشرق العربي»، الذي يتناول بالتفاصيل دور عبد الناصر في دعم حركات التحرر الوطني في شرق الوطن العربي، بالإضافة إلى كتاب بعنوان «عبد الناصر وثورة ليـبيا»، ونُشر عام ١٩٨٦ يروي فيه قصة الثورة الليبية من وجهة نظر المخابرات المصرية آنذاك، ودوره هو شخصيًّا ودور القيادة المصرية. اختاره عبد الناصر ليكون حلقة الوصل مع طرابلس لمعرفته بليبيا والليبيين، علماً بأنه اكتسب تلك المعرفة في أثناء تكليفه بتولي الإشراف على علاقات الثوار الجزائريين بمصر، مما جعله يتصل بالحكومـات الليبية المتعاقبة إبان العهد الملكي، وبالهيئات الشعبية التي كانت تعمل في مجال دعم الثورة الجزائرية. وقبيل موت عبد الناصر في سبتمبر عام ١٩٧٠ كُلف الديب برئاسة الأمانة العامة للقيادة السياسية الموحدة بين مصر وسورية وليبيا والسودان. وهو مشروع كان قد بدأه عبد الناصر ولم يستكمله بسبب وفاته، والتي لم تكن نهاية المشروع فحسب بل أدت إلى ابتعاد الديب عن مراكز صُنع القرار بسبب خلافاته مع الرئيس الراحل أنور السادات، ولعب الديب أيضا دورًا مؤثرًا في فتح قنوات اتصال سرية بين عبد الناصر وآية الله الخميني الذي سيقوم بقيادة الثورة على شاه إيران عام ١٩٧٩. بعد وفاة عبد الناصر استقال فتحي الديب من رئاسة الجمهورية، تُوفي في ٩ فبراير عام ٢٠٠٣ .صحيفة الشرق الأوسط اللندنية. ٩ فبراير ٢٠٠٣ العدد ٨٨٣٩.

فتحي الديب يمكن أن نقول عنه: إنه كان رجل عبد الناصر في العراق والجزائر وليبيا، وهو الرجل الذي نسَّق بين قادة تلك الدول والزعيم جمال عبد الناصر.

كان أول اتصال للثوار الليبيين بمصر، هو ذلك الاتصال الذي التقطته محطة الاتصال الرئيسية لشبكة الاتصالات اللاسلكية ببرج القاهرة، من فرع الشبكة ببني غازي. حيث قام عامل المحطة بالإبلاغ عن حضور أحد الضباط الليبيين إلى مبنى المحطة، ليطلب إرسال برقية عاجلة إلى الرئيس جمال عبد الناصر، باسم قائد الثورة الليبية بنجاحه هو وزملائه في الاستيلاء على السلطة، وإحكام سيطرتهم على امتداد الأراضي الليبية لصالح الشعب الليبي، وإنهم يطلبون من عبد الناصر الوقوف إلى جانبهم وتأييدهم.

كانت الرسالة غامضة، فقد كانت خالية من اسم قائد الثورة أو من قاموا بالثورة.

عندما عُرضت تلك الرسالة على عبد الناصر فضَّل التريُّث، ربما لعدم معرفته لا بالقائمين بتلك الثورة. ولا اتجاه تفكيرهم. ولا أهدافهم.

كانت هناك معلومات عن قيام العقيد عبد العزيز الشلحي[1] بانقلاب

(١) وُلد عام ١٩٣٧ بمنطقة (الحمام) بـالسّاحل الشّمالي بـالقرب من مدينة الإسكندريّة. حصل على الشهادة الإعداديّة والثانويّة من مدارس فكتوريا الإنجليزيّة بمدينة الإسكندريّة، ثمّ درس بـالكليّة الحربيّة المصريّة بالقاهرة وتخرج فيها عام ١٩٥٤م بتقدير ممتاز، وكان العقيد سعد الدّين بوشريب الذي أعلن انقلابيو سبتمبر ١٩٦٩م اسمه قائدًا لأركان الجيش اللّـيبي في ساعات الانقلاب الأولى رغم أنّه كان موجودًا في تونس ومستقيلًا من الجيش منذ ١٩٦٧م، عاد السّيّد عبد العزير الشلحى إلى ليبَيا بعد تخرجه فعمل في الجيش اللّـيبي، وتحصل على (الأركان) من الكليّة العراقيّة، ورُقِّيَ في رُتبه العسّكريّة حتى صار عقيد ركن بـالجيش اللّـيبيّ. رأس العقيد لجنة إعادة تنظيم الجَيش، وشغل منصب مدير التدريب بـالجيش وكان من بين معاونيه العقيد ركن عزيز عمر فائق شنيب الذي تُوفي في المهجر بمصر فجر يوم الخميس ٢ يناير/ كانون الثّاني ٢٠٠٣م. كلّفه الملك بنقل بعض رسائله إلى بعض ملوك العرب ورؤسائهم، ففي أثناء حرب ١٩٦٧م بعثه الملك إدريس السّنوسي إلى الرئيس المصري جمال عبد النّاصر، والملك حسين ملك الأردن، والرئيس السّوري نور الدّين الأتاسي.بعد أن نجح الملازم معمّر القذّافي في إزاحة الملك السنوسي في الأول من سبتمبر ١٩٦٩ وزجّ بالعقيد ركن عبد العزيز الشّلحي وقادة الجيش الكبار في السجون، ظلّ رهن الاعتقال من ساعة إلقاء القبض عليه في سبتمبر/ أيلول ١٩٦٩م إلى عام ١٩٧٦م ثمّ فُرضت عليه الإقامة الجبرية في بيته لمدة سنتين، بعدها قُيدت حركته داخل ليبيا، بحيث لا يتحرَّك إلَّا بإذن مسبق. وفي عام ١٩٨٨م، أُذَنَ له بالسفر عقب الإفراج عن بعض السجناء السياسيين بموجب ما عُرف بقرارات (أصبح الصُّبح) في مارس/ آذار ١٩٨٨م. وبعد خروجه من السّجن، استقر مع أسرته بـطرابلس في منزله الكائن بشارع عبد الرّحمن الكوكبي بجوار مركز شرطة الأوسط في الظهرة. تُوفي ظهر يوم الجمعة السّادس من مارس ٢٠٠٩م، الصادق شكري. موقع ليبيا المستقبل.
http://archive.libya-al-mostakbal.org/articles0309/assadeq_shukri_ashalhi_070309.html

لصالح الولايات المتحدة الأمريكية. وأرسلت سكرتارية الرئيس عبد الناصر، رسالة إلى سفارة مصر في بنغازي للوقوف على حقيقة الأوضاع، والتعرف إلى القائمين على الثورة ومعرفة المقصود بالتأييد.

وبعد ساعات أعلنت الإذاعة الليبية عن تعيين العقيد سعد الدين أبو شويرب[١] رئيسًا لأركان حرب الجيش الليبي .

---

(١) العقيد الركن سعد الدين محمود بوشويرب من مواليد مدينة طرابلس عام ١٩٣٤، التحق بالجيش الليبي في عام ١٩٥٣ وتخرج في الكلية العسكرية بمصر عام ١٩٥٦، والتحق بسلاح المشاة بالقوات المسلحة الليبية. ثم التحق بدورات تدريبية بالولايات المتحدة الأمريكية. كانت الدورة الأولى في قلعة بيننج Fort Benning بولاية جورجيا في الفترة ما بين مايو وأكتوبر ١٩٦٣ ثم التحق بدورة الأركان في قلعة ليفين ورث Fort Levenworth بولاية كانسس في الفترة ما بين أغسطس ١٩٦٤ ويونيه ١٩٦٥ . وقد كتب عنه مدرّبوه في الولايات المتحدة الأمريكية: «إنه يفتقد النشاط والحيوية والفطنة ». عيّن في أعقاب عودته من الولايات المتحدة الأمريكية مساعدًا لآمر العمليات والتدريب في برقة. وعُرف عنه أنه كان محسوبًا – لفترة ما، على جماعة العقيد عبد العزيز الشلحي – كما عُرف عنه أنه كان مناهضًا لاستمرار الملكية في ليبيا. استقال العقيد الركن أبو شويرب من الجيش الليبي في ٥/ ١١/ ١٩٦٧ وعمل مُحرِّرًا للعقود بمدينة طرابلس. وعندما وقع انقلاب الأول من سبتمبر كان موجودًا خارج البلاد. كان من بين البيانات المبكرة التي صدرت في اليوم الأول، بيان يقضي بتعيين العقيد الركن بوشويرب رئيسًا لأركان الجيش الليبي. ولأن اسم العقيد بوشويرب هو الاسم الوحيد الذي جرى الإعلان عنه خلال اليومين الأولين للانقلاب، فقد ساد الاعتقاد بأنه هو قائد الانقلاب، إلى أن أعلنت وكالة الأنباء المصرية « وكالة أنباء الشرق الأوسط MENA» في اليوم الثالث من سبتمبر أن العقيد بوشويرب هو مجرد رئيس لأركان الجيش وأن قادة الانقلاب الحقيقيين يفضّلون البقاء غير معروفين.

كان العقيد سعد الدين أبو شويرب قد أُبعِد عن الجيش الليبي في أعقاب أحد ٥ يونيو ١٩٦٧، لتعاطفه مع مصر.

تظاهَر هو ومجموعة من الضباط تضامنًا مع مصر في حربها مع الإسرائيليين، ولم يحتمل الهزيمة البشعة التي أحاقت بالجيش المصري.

وتُجمِع المصادر على أن العقيد أبو شويرب لم يلعب أي دور في التحضير للثورة، بل إنه لم يكن حتى على علم بها قبل وقوعها. ومع ذلك فإن ظهور اسمه خلال الأيام الحرجة الأولى للانقلاب رئيسًا لأركان الجيش لعب دورًا حاسمًا في نجاح الخطة من خلال الطمأنة والخداع اللذين أحدثتهما الثورة لدى كثير من ضباط القوات المسلحة، وبخاصة من ذوي الرُّتب المتوسطة والعالية، وانعكس في الغالب بصورة إيجابية على موقفهم تجاه ما حدث.

وفضلًا عن ذلك، فلا يخفى على أحد أن ظهور اسم العقيد أبو شويرب في تلك الساعات والأيام الحرجة، كان يعدُّ رسالة طمأنةٍ، فالرجل عرّض حياته للخطر في حالة فشل الثورة. وعلى ما يبدو فإن الثوار كانوا مصممين منذ البداية على أن يقتصر دور العقيد أبو شويرب على مجرد الاستفادة من اسمه فقط في عملية التمويه، وخداع الضباط غير المشاركين في الانقلاب، وحرصوا على ألا يمكّنوه من ممارسة أي صلاحيات كونه رئيسًا فعليًّا لهيئة أركان القوات المسلحة، حيث لم يسمحوا له، منذ عودته للبلاد إثر سماعه بالإعلان عن تعيينه في ذلك المنصب، بالتعامل إلا في القضايا الثانوية جدًّا

من شئون الجيش. ومنعوه حتى من استعمال المقر المخصص عادة لرئيس أركان الجيش بمعسكر باب العزيزية في طرابلس. وفي الواقع فإن المقام لم يدم طويلًا بالعقيد أبو شويرب على هذا الوضع، ففي ١٨ أكتوبر ١٩٦٩ أصدر الثوار قرارًا بتعيينه سفيرًا بوزارة الوحدة والخارجية، وأعقبه قرار آخر في ٢٣ أكتوبر ١٩٦٩ بتعيينه سفيرًا لليبيا لدى مصر.

وعلى ما يبدو فإن سوء حظ العقيد أبو شويرب مع الثوار لم يقف عند هذا الحد، حيث جرى الزجّ باسمه في التحقيقات التي أجرتها أجهزة النظام الأمنية مع المتهمين بالتورط في محاولة الانقلاب التي عُرفت «بمحاولة سبها»، وورد في تلك التحقيقات أن أحد هؤلاء المتهمين أقام بمنزل السفير أبو شويرب بالقاهرة مدة من الوقت.

كانت تلك المحاولة أول محاولة للانقلاب على ثورة الفاتح من سبتمبر، وقد قام بها الرائد صالح مراجع بوجلدين قائد معسكر «البركة» الموجود على مشارف مدينة بنغازي. وتتلخص الوقائع الخاصة بهذه المحاولة في أن الضابط المذكور قام يوم ٧ من سبتمبر ١٩٦٩، أي خلال أسبوع من وقوع ثورة الأول من سبتمبر بتحريك الكتيبة الموجودة تحت إمرته بمعسكر البركة إلى منطقة «البردية» إلى أقصى شمال شرق ليبيا ليُخلي المعسكر من أية قوات تمهيدًا لإطلاق سراح عدد من ضباط الجيش الذين كانت الثورة قد احتجزهم داخل ذلك المعسكر منذ الأول من سبتمبر. وكان هدف محاولة

الرائد بوجلدين – على ما يبدو – إلقاء القبض على أعضاء مجلس قيادة الثورة الموجودين في بنغازي، ومن ثم السيطرة على قوات الجيش والاستيلاء على الوضع. وقد جرى اكتشاف المحاولة عن طريق أحد ضباط الصف العاملين بالمعسكر الذي قام – فور إحساسه بتحرك الرائد بوجلدين – بالتسلُّل إلى خارج المعسكر وإبلاغ أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة الذي كان مسئولاً عن أمن منطقة بنغازي في تلك الفترة. ومن ثم أمكن إحباط تلك المحاولة الانقلابية الجريئة وإخمادها في مهدها[1].

ونرى أن دور العقيد أبو شويرب كان أشبه بل يتطابق مع دور الرئيس محمد نجيب في ثورة مصر، بعد انقلاب ثوار يوليو عليه بعد واقعة محاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر في المنشية عام ١٩٥٤، وتجريده من منصبه في أعقاب تلك المحاولة الفاشلة، واتهموه بأنه على علاقة بالإخوان المسلمين ١٩٥٦، وربما ما حدث مع العقيد أبو شويرب، كان بنصيحة من جمال عبد الناصر أو رجال ثورة يوليو بمصر. حيث تولوا فيها بعد توجيه الثوار الليبيين.

طلب الرئيس جمال عبد الناصر، أن يسافر فتحي الديب أمين الشئون العربية برئاسة الجمهورية إلى ليبيا، للبقاء هناك لتقديم أي مساعدة للثوار، وليكون حلقة الوصل بين الثوار وجمال عبد الناصر.

---

(١) صلاح الدين السعدني. مذكرات السفير المصري بليبيا. صحيفة « الرأي العام» الكويتية. الحلقة الثالثة أكتوبر ١٩٩٧.

بعد ثلاث ساعات من نجاح ثورة الفاتح ١٩٦٩ في ليبيا، كانت مصر أول دولة يتوجَّه إليها الثوار بطلب الدعم ليسافر إليها في اليوم الثالث بتوجيهٍ من عبد الناصر وفدٌ مكوَّن من فتحي الديب وأحمد رشدي وزير الداخلية فيما بعد ـ ومحمد حسنين هيكل والمقدم صلاح الدين السعدني مدير مكتب وزير التربية آنذاك الذي رُقِّي إلى رتبة لواء فيما بعد، ليبقى الأخير في ليبيا من يوم ٣ سبتمبر عام ١٩٦٩ إلى نهاية عام ١٩٧٦ (١).

كان اللقاء الأول برجال الثورة الليبيين يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٩ في مبنى فرع السفارة المصرية ببني غازي، وحضره المقدم آدم حواس والنقيب مصطفى الخروبي، استمر اللقاء من منتصف الليل حتى الرابعة إلا ربعًا صباحًا، عرض المقدم آدم حواس أسلوب تحرك مجلس قيادة الثورة في مواجهة النشاط الأمريكي والبريطاني والفرنسي باعتبارهم مصدر الخطر المباشر على الثورة، وركز حديثه على:

- محاول إقناع ممثلي الدول الثلاث بأن قيامهم بتفجير الثورة هدفه الأساسي القضاء على الفساد الداخلي والتخلف الاجتماعي الذي فرضته السلطة الحاكمة السابقة.
- طمأنة ممثلي الدول الثلاث على مصالحهم الاقتصادية ورعاياهم، وكانت استجابة ممثلي الدول الثلاث كاملة. إذ رحَّبوا بالتعاون مع مجلس قيادة الثورة، وأظهروا تفهُّمهم لحقيقة الوضع.

---

(١) أيمن السيسي، حوار مع أول سفير لمصر في ليبيا. بوابة الأهرام. ٢٢ يوليو ٢٠١١.

- أشاد آدم حواس بأثر توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر التي قدمها لهم خاصةً سرعة الاعتراف بالوضع الجديد، الأمر الذي وضع ممثلي الدول الأجنبية أمام الأمر الواقع، وفوَّت الفرصة على تلك الدول في تباطؤ الاعتراف بالثورة، أو استغلال موضوع الاعتراف وسيلةً لممارسة الضغوط على مجلس قيادة الثورة.
- كما عبَّر عن تقدير مجلس قيادة الثورة لوصول وفد الجمهورية العربية المتحدة في الوقت المناسب لمدِّ يد المعونة لهم حيث تنقصهم الخبرة والقدرة على تطوير الأمور بما يحقق للثورة الاستقرار والاستمرار.
- وأوضح حرصهم على سرية اسم قائد الثورة، وأعضاء المجلس تأمينًا للمجلس، ولتفادي حساسيات عديدة داخل الجيش وخارجه، الأمر الذي فهمنا منه أن رئيس مجلس قيادة الثورة - لا شك - يحمل رتبة صغيرة.
- كما أشار إلى أن ما نُشر في الخارج حول قيادة سعد الدين أبو شويرب للثورة خاطئ، وأن عملية تعيينه كانت ردَّ اعتبارٍ له ليس إلا، نظرًا لأنه سُرِّح من الجيش لموقفه من أحداث ٥ يونيه ١٩٦٧ً، وحينما أبلغته أنني أحمل رسالة شخصية من الرئيس عبد الناصر موجَّهة إلى رئيس مجلس قيادة الثورة، أبدى في البداية إمكانية تسلُّمه الرسالة باعتباره المتحدث الرسمي باسم المجلس. إلى أن تدخل النقيب مصطفى الخروبي ترتَّب عليه إشعارنا بأننا سنلتقي برئيس المجلس في اليوم التالي، وحدَّد لنا الخروبي موعد اللقاء في التاسعة صباحًا.

ثم أخذ النقيب مصطفى الخروبي في صدقٍ وانفتاح وبلا تحفُّظ في شرح حقيقة موقف الضباط الوحدويين الأحرار من بداية تشكيلهم حتى تنفيذهم لمخططهم والقيام بالثورة. وتلخَّص حديثه في الآتي:

- يقود المجموعة التي كوَّنت تشكيل الضباط الوحدويين الملازم أو معمر القذافي، الذي عانى طوال السنوات الأخيرة اضطهاد السلطة وقيادة الجيش له نتيجة وضوح ميوله القومية التحررية، وكررها ليقول: أعني الناصرية، الأمر الذي أدى إلى حرمانه من الترقية وزميله النقيب مصطفى الخروبي.
- ركَّز بصوة انفعالية على الارتباط الوثيق بينه وبين الملازم أول معمر القذافي، وشبَّه شخصيهما بالرئيس جمال والمشير عامر، من ناحية ارتباطهما الأخوي والعقائدي والمصيري وإيمانهما الذي لا يتزعزع بضرورة تحقيق الوحدة العربية في أقرب وقت ممكن.
- ثم انتقل إلى إيضاح كيف نشأ التنظيم الخاص بهم، ليشير إلى أن تنظيمهم بدأ في عام ١٩٦٤، ومَرَّ بمراحل متعددة مستندًا إلى اختيار عناصره على مبادئ أساسية انطلاقًا مما طرحه السيد الرئيس في مواصفات الضباط الأحرار في ج.م.ع وهي:

أ- الالتزام بالقيم الدينية، وألَّا يكونوا ممن يشربون الخمر.

ب- القدرة على الاحتفاظ بالسرية والأمن.

ت- الإيمان الكامل بالوحدة العربية والتضحية بالدم في سبيلها.

- أشار إلى أثر نكسة ٥ يونيو فيهم، وأثرها الكبير في نفسيته هو ومعمر القذافي. وتحركهما بقواتهما إلى الحدود المصرية للمساهمة في المعركة، إلا أن القوات البريطانية حاصرتهم، واضطرتهم للعودة.
- أمكنهم تشكيل نواة قادرة على القيام بالثورة، وحُدِّد لها شهر يوليو ١٩٦٨، إلا أن الظروف لم تُمكِّنهم من تفجير الثورة؛ نظرًا لانتقال الملك إدريس من طرابلس إلى بني غازي قبل موعد التفجير بأربع وعشرين ساعة.
- أُعيدت المحاولة ليلة ٢٢ مارس ١٩٦٩، إلا أن شعور قيادة الجيش بتحركات بعض الضباط دفعهم إلى إبعاد ٢٣ ضابطًا في بعثات تعليمية في إنجلترا، الأمر الذي أرغمهم على التأجيل للمرة الثانية.
- تم الإعداد للمحاولة الثالثة، وتحدَّد لها ليلة ٥ يونيو ١٩٦٩، إلا أن تردُد بعض الضباط نتيجة عدم تركيز معمر القذافي في اختيار الضباط الجُدد للتشكيل طبقًا المواصفات السابق ذكرها اضطرهم إلى التأجيل للمرة الثالثة.
- اتجه قائد الثورة إلى الانفتاح وتوسيع قاعدة الاختيار لعضوية التنظيم لتشمل ضباط الصف إلى جانب الضباط الصغار على حساب الانضباط العسكري علة حَدِّ قول النقيب مصطفى الخروبي، وعلى حساب السرية المطلقة، ومن ناحية أخرى بهدف الانتشار على قاعدة عريضة لقوات الجيش الليبي ضمانًا للمساهمة الإيجابية لجميع الوحدات.
- وبالفعل، حُدِّدت الساعة الثانية والنصف يوم الأول من سبتمبر لتنفيذ العملية، وجرت العملية في الساعة الرابعة ليتم اكتمال سيطرة جميع

الوحدات على جميع المواقع المحددة لها في الخطة. ثم بدأت الإذاعة في الصباح كما هو معروف في الإعلان عن قيام الثورة ونجاحها.

- أشار النقيب مصطفى الخروبي أن الثوار انطلقوا في ثورتهم من مبدأ المحافظة على الجمهورية العربية المتحدة، وإبعادها عن المشكلات والتورط فيها إذا ما قُدِّر للثورة أن تنتكس، وذلك تحقيقًا لالتزامهم المصيري بوضع كل قدرات ليبيا الاقتصادية في خدمة المعركة، إيمانًا منهم بأن الجمهورية العربية المتحدة ساهمت بكل إمكاناتها وتتحمل عبء المعركة الرئيسي، لذا فواجب كل عربي مُخلِص أن يضع كل قدراته وإمكاناته لتحقيق النصر.

وانتهت الجلسة عند هذا الحد، على موعد بلقاءٍ مع قائد الثورة في الساعة التاسعة صباحًا، أي بعد خمس ساعات من انتهاء الجلسة[١].

كان أول لقاء لفتحي الديب مع القذافي ظهر يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٩، أي بعد ثلاثة أيام من قيام الثورة، وفي هذا اللقاء بدا القذافي غامضًا، ولكن بمرور الوقت اكتشف رجل المخابرات فتحي الديب جوانب متناقضة من شخصيته، وأهمها عدم الالتزام والخلل النفسي، وهو ما سجَّله في تقاريره التي أرسلها إلى جمال عبد الناصر واصفًا القذافي بـ «د. جيكل ومستر هايد.»[٢].

---

(١) فتحي الديب. عبد الناصر وثورة ليبيا.. دار المستقبل العربي، ١٩٦٨. القاهرة.

(٢) دكتور جيكل ومستر هايد فيلم رعب أخذ عن رواية للأديب الإنجليزي الشهير=

يقول فتحي الديب عن هذا اللقاء: إنه في الساعة العاشرة والنصف تقريبًا (يُلاحظ أن الموعد كان محددًا له التاسعة صباحًا) من صباح ٤ سبتمبر ١٩٦٩، حضر إلى مبنى فرع السفارة النقيب مصطفى الخروبي، والمقدم آدم حواس يصحبهما ضابط برتبة الملازم أول، قدمه لي النقيب مصطفى باسم الملازم أول معمر القذافي، رئيس مجلس قيادة الثورة وقائدها، وكان يرتدي الأفرول الميداني، ويحمل في يده بندقية رشاشة، صافحته مهنئًا بنجاح الثورة، ومُقدِّمًا له باقي أعضاء الوفد المرافق لي، كما قدَّمتُ له العميد محمد عبد الحليم ممثل الرئيس السوداني الذي حضر معنا على متن الطائرة نفسها ليهنئ بنجاح الثورة، واجتمعنا في صالون السفارة .

- بدأتُ اللقاء بتسليم الملازم أول معمر القذافي – قائد الثورة – الخطاب الموجَّه إليه من الرئيس جمال، ثم أبلغتُه بالرسالة الشفوية التي كلَّفني الرئيس بتبليغها له، التي تتضمن استعدادنا لتقديم كل إمكانات الجمهورية في خدمة ثورتهم. موضحًا له أهمية ثورة ليبيا للوطن العربي عمومًا وقضية المصير. كما قدم العميد محمد عبد الحليم رسالة اللواء جعفر النميري التي كانت موجَّهة إلى العقيد سعد الدين أبو شويرب،

=روبرت لويس ستيفنسون. أَنتج عام ١٩٣١ ومثَّل فيه فريدريك مارج، وحصل من خلال هذا الفيلم على جائزة الأوسكار لأفضل ممثل عام ١٩٣٢، وهذه النسخة أُنتجت عام ١٩٤١ من بطولة سبنسر تريسي ولانا تيرنر وإنغريد بيرغمان. ويكيبيديا.

واعتذر عن توجيهها بذات الاسم، نتيجة لفهمه ما قد ينجم عن إعلان اسم رئيس مجلس قيادة الثورة الليبي.

- تناول حديث قائد الثورة شرح ظروف تشكيل الضباط الوحدويين، بما لم يخرج عما أورده النقيب مصطفى الخروبي في اللقاء السابق.

وزاد عليه الآتي.

- يتكون مجلس قيادة الثورة من صغار الضباط، وأنه بدأ مع زملائه التفكير في الثورة منذ دراستهم الإعدادية والثانوية. وأنه وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة يؤمنون بضرورة تقديم كل المساعدات للجمهورية العربية المتحدة وألَّا يأخذوا منها شيئًا.
- ركَّز على أهمية أن تكون الثورة الليبية كسبًا لكل العرب، وأن إمكانات ليبيا البترولية وموقعها الاستراتيجي لا بد أن يُساهما في حرب التحرير، وحتمية تحقيق الوحدة، وأن الحزبية تعني تفتيت العرب، وأن القواعد العسكرية ليست مشكلة صعبة، ولا بد من التخلص منها.
- أن الشعب الليبي يكره كلمة الاشتراكية لشكِّه في مفهومها، لكن الشيء المطمئن للشعب أن الثورة مبادئها ناصرية. والثورة على استعداد لمقاومة أي تدخل بريطاني مهما تكلف من تضحيات، وأن الوحدة العربية مطلب مُلِح، وإن كان الرئيس جمال عبد الناصر لا يرضى بالوحدة الفورية غير المدروسة، لكنه وزملاءه مصرون على ضرورة الوحدة مع الجمهورية

العربية المتحدة بغض النظر عن النتيجة، وأوضح أن الوحدة من الممكن أن تتم دون الإعلان الرسمي عن طريق توحيد منظومة التعليم وتعاون الأجهزة بين البلدين، وتبادُل الخبرات.

- ركَّز معمر القذافي طوال حديثه على أنه يطرح هذه الأسرار الخاصة بثورتهم، والتي قرروا عدم إعلانها أو نشرها انطلاقًا من إيمانه بأننا سنحافظ على سريتها باعتبارنا أصحاب قضية واحدة، وأنه يرى ضرورة إيضاح الصورة التفصيلية للموقف للرئيسين جمال عبد الناصر والنميري.

- جرى حديث طويل وتفصيلي عن أسلوب ممارسة السلطة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة من خلال مجلس الوزراء. مع ممارسة مجلس قيادة الثورة للسيادة الكاملة باعتباره المعبِّر عن إرادة الشعب. وشرحتُ له الأسلوب الذي انتهجته ثورة ٢٣ يوليو بعد تفجيرها.

اختُتِم اللقاء في الواحدة والنصف بعد الظهر تقريبًا، ليتوجَّه قائد الثورة لمكتبه لإعداد خطابين للرئيس جمال عبد الناصر واللواء جعفر النميري، ردًّا على خطابيهما.

وقد أعددتُ التقريرَ رقم (١) الذي ضمَّنته كل ما حدث منذ وصولنا إلى بني غازي، وقد اختتمته بانطباعاتي الأولية والتي تلخصت في الآتي:

- إن تشكيل الضباط الوحدويين يضم ضباطًا صغارًا، ليسوا على دراية بممارسة السلطة ومواجهة ظروف ما بعد الثورة لانشغالهم الكلي

بالتصدي لمشكلات الجيش، ومشكلات التأمين الداخلي في مجال الاحتياجات التموينية اليومية المتعلقة بمصالح الجماهير.

- السُّلطة كلها مُركَّزة في يد مجلس قيادة الثورة، ولم يتم توزيع الاختصاصات بعد، ليمارس كل مسئول عمله حسبَ اختصاصه.
- يتضح بشكل مؤكد أن الشخصية المتزنة الواعية بكل مشكلات ما بعد الثورة، ومتطلبات العمل في المرحلة القادمة، هو قائد الثورة شخصيًّا الملازم أول معمر القذافي، وإن كانت حاجته إلى المشورة والمساعدة في اتخاذ الخطوات الإيجابية لتأمين الثورة أمرًا حيويًّا وضروريًّا، وهو يشعر به ويفتقده في زملائه.
- رغم مُضي أربعة أيام على قيام الثورة، فإن القائمين بها ما زالوا في مرحلة تقييم لخطوط الحركة المستقبلية، ونحن في انتظار خطواتهم الإيجابية في مجال تخفيف القيود عن حركة الجماهير اليومية كيلا تشعر بمواجهتها لحركة كبت جديد.
- الموقف لا يزال غير مطمئن. ويحتاج إلى بذل جهود كبيرة في مجال التأمين الداخلي، وإن كان من الواضح أن قوات الجيش متماسكة ومسيطرة.
- حملتُ تقريرًا للسيد محمد حسنين هيكل هو خطاب الأخ معمر القذافي ليسلمه لسكرتير الرئيس، وسافر على متن الطائرة المصرية التي وصلنا بها، والتي غادرت بني غازي يوم ٤ سبتمبر، ومعها ممثل السودان، والسيد هيكل، وزكريا نيل، والمصور الصحفي[١].

---

(١) فتحي الديب. عبد الناصر وثورة ليبيا.. دار المستقبل العربي، ١٩٦٨. القاهرة.

وفي لقاء السفير صلاح الدين السعدني مع الصحفي أيمن السيسي المنشور في بوابة الأهرام يوم ٢٢ يوليو ٢٠١١. يقول السفير: اكتشفتُ جوانب متناقضة من شخصيته، أهمُّها عدم الاتزان والخلل النفسي، وهو ما سجَّلته في تقارير رُفعت إلى جمال عبد الناصر ووصفتُه بـد. جيكل ومستر هايد.[١].

وتحدث السفير صلاح الدين السعدني في حواره المذكور مع الصحفي أيمن السيسي عن عدد من المواقف التي كان شاهدًا عليها، وتؤكِّد تحليله، ومنها زواج القذافي بفتحية نوري، وكان قد وضع والدها العميد نوري قائد القوة المتحركة في العهد الملكي في السجن، وقلَّد شقيقها النقيب خيري نوري رئاسة الحرس الجمهوري، وهو ما جعله يتساءل: كيف يتزوج بامرأة فَعَلَ أفعالًا متناقضة مع والدها وأخيها؟ وبعد شهور ـ كانت قد حملت منه ـ فأسرَّ القذافي للسفير بأنه سيطلقها لأنه عاجز عن معاشرتها ـ كما قال له هو شخصيًّا ـ فاصطحبتُه إلى مصر ليكشف عليه الدكتور عبد الحليم العقبي الذي شخَّص عَجْزه بأنه نتيجة سوء حالته النفسية، وكتب له عددًا من الأدوية المهدئة. ويستطرد السفير: «كما كانت له تصرفات حادة ومتهورة،

---

(١) ما يدعيه السفير صلاح الدين السعدني، هو نفس الوصف الذي وصفه به فتحي الديب رجل المخابرات، في كتابه عبد الناصر وثورة ليبيا، ويُرجَّح أن التقرير كان مشتركًا، فقد كان صلاح الدين السعدني موجودًا في اللقاء نفسه الذي تم مع قائد الثورة، وقبله مع رجال ثورة ليبيا. وربما كان التقرير جماعيًّا. المؤلف.

ووصلت حالته إلى اعتقاده بأنه رسول الصحراء ـ كما كان يصف نفسه، وأن الوحي يأتيه في جبال الغريان عند اعتكافه.

وعندما سأله الصحفي: كيف ذلك؟

فأجابه السفير: سألت عن زملائه في أحد الأيام.

فقال لي مصطفى الخروبي: إنه يكثر من الاعتكاف في جبل الغريان، فسألته: ماذا؟ فقال: مستني الوحي ينزل له!!

- هل كان يعلن ذلك؟

كان يُسِرُّ به لزملائه ويدفعهم للقول به.

- وهل كانوا يصدقونه؟!

ـ كانوا يسخرون منه.

- أمامه؟

- بالطبع لا.. لأنهم أجبن من ذلك، لدرجة أنه صار يتحكم فيهم بشكل غريب، فمثلًا كان عندما يغضب من أحدهم يحرمه مُرتَّبه، فأقاموا بينهم حصَّالة يضع فيها كل واحد منهم٥٠ دينارًا شهريًّا حتي يُعوِّضوا ما يخصمه من المرتب، وكان يأمر المغضوب عليه أن يحبس نفسه في غرفة بمجلس القيادة خصَّصها لذلك، والعضو الذي يأمره لا بد أن ينفذ أمره

ولا يخرج منها ـ رغم عدم وجود حرس إلا متوجهًا للحمام فقط، وكان يشبههم بالأطفال، ويسبهم سبًّا لاذعًا، وأظنُّ أن هذه المرحلة كانت بداية جنونه.

- وهل ما أشيع عن حكاية أصول القذافي اليهودية حقيقة؟

- نعم، هذا ما سمعتُه من عبد المنعم الهوني، وملخص الحكاية أن رجلًا طليانيًّا كان يعمل في طاحونة في بنغازي، وكانت زوجته يهودية ومع الحرب العالمية الثانية، وما فعله هتلر باليهود في ألمانيا بثَّ في نفس الزوجة الرعب بعد دخول القوات الألمانية إلى ليبيا خوفًا من التنكيل باليهود، فهربت ضمن الهاربين، وقد تركت طفلها الوليد عام ١٩٤٢؛ لهذا الزوج الذي كان يعرف محمد عبد السلام أبو منيار الذي كان يجيء من سرت لطحن الغلال عنده. فسأله إن كان لديه ولد فقال عندي ثلاث بنات. فطلب منه أخذ الوليد فأخذه وأسماه معمرًا. وتعهَّده وتبنَّاه، وأصغر بنات أبو منيار تكبر معمرًا بـ١٤ عامًا، هذا الكلام كان يتردَّد بين أعضاء مجلس القيادة مع معمر في حدود ضيقة جدًّا، وقد كشفه عمر المحيشي بعد هروبه من معمر ولجوئه إلى مصر في الإذاعة المصرية عام ١٩٧٥، أما ما أكد لي ذلك بوضوح فهو الخطاب الذي أرسله كاردينال من الفاتيكان إلى معمر القذافي عام ١٩٧٣ عبر الخارجية الليبية، وكنتُ موجودًا بمكتبه ومعي عمر المحيشي عندما تسلَّم أحمد المقصبي سكرتير

معمر الخاص وقتها الخطاب الذي ما إن فتحه حتى علت وجهه علامات الدهشة والتعجُّب وهو يقرؤه علينا بصوت خفيض، ويلوم الكاردينال فيه القذافي، ويطالبه بتخفيف عُنفه عن اليهود وهجومه عليهم (مع أن أمك يهودية!!) حسب نص الخطاب، ولذلك فأنا أميل لتصديق هذه المعلومات.

انتهى كلام السفير مع أيمن السيسي في بوابة الأهرام.

يُلاحظ أن الحديث الذي أجراه الصحفي المذكور مع السفير صلاح الدين السعدني كان يوم ٢٣ يوليو ٢٠١١، أي بعد قيام الثورة على الرئيس الليبي، وقتها كانت الأجواء العربية - وفي مصر أيضًا - مشحونة بموجة هائلة من التسفيه والتقليل من شأن كل الرؤساء السابقين. وشطب كل إنجازاتهم. وهو الأمر الذي يقال في أعقاب كل الثورات العربية التي قامت على حكام سابقين، وخصوصًا ما أشاعته ثورة يوليو ١٩٥٢ على الملك فاروق الذي ثاروا عليه وخلعوه.

وإن كنتُ لا أميل إلى تصديق ما يُروى عن الرؤساء، وكبار المسئولين والقادة بعد وفاتهم، أو حتى بعد تقاعُدهم، وأراه نوعًا من التشفي الممقوت، وباختصار شديد، ما رواه السفير ما كان ينبغي له أن يرويه عن الرجل بعد زوال حُكمه، لأن الحاكم السابق أو المخلوع، لا يمتلك أي وسيلة للدفاع عن نفسه لنفي ما يدعيه المنتقدون، وإن استشهاده (السفير) بأشخاص

موتى، يعتبر نوعًا من الاستشهاد بمن لا يرد، وأنه متأكد أن أحدًا لن ينفي ما قاله أو ادَّعاه.

كان وجود رجل المخابرات فتحي الديب في ليبيا بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر سريًّا، وغير مُعلَن. ولا شك أن السرية في تلك اللحظات الأولى من ثورة القذافي كانت ضرورة حتى لا يُقال: إن مصر كانت وراء ما فعله القذافي.

وفي يوم ١٥ نوفمبر ١٩٦٩طلب الرئيس جمال عبد الناصر من فتحي الديب أن يكون بصفة علنية ضمن مستقبلي الرئيس السوداني جعفر نميري لدى وصوله إلى ليبيا ظهر اليوم التالي، وأثار ظهوره بالمطار تساؤلات كثيرة بين أعضاء السلك الدبلوماسي، خاصة سفراء بريطانيا والعراق والأردن ولبنان والمغرب وتونس، وحاول سفراء كل من العراق والأردن ولبنان التعرف على أسباب وجود فتحي الديب وطبيعته خلال دعوة الإفطار الرسمية، وأخبرهم بوجوده في زيارة سريعة لليبيا، وإن كان ردُّه لم يقنعهم كما بدا له من محاولاتهم طرح التساؤل نفسه على أعضاء مجلس الثورة الذين تهربوا من الإجابة.

في لقاء عُقِدَ في ٢٤ نوفمبر ١٩٦٩، نَقَل الديب إلى عبد الناصر كل ما تم التوصل إليه من معلومات عن صفقة طائرات الميراج التي قررت قيادة الثورة الليبية إبرامها مع فرنسا، وأبلغه أن القذافي أكَّد له أنه يترك للرئيس عبدا لناصر تحديد كيفية الاستفادة بها في المعركة المقبِلة مع إسرائيل.. يتذكر

«الديب» أن الرئيس جمال بدأ يستوضح منه تفاصيل تنفيذ العقد ومراحله والتاريخ المحدَّد لتسليم طائرات كل مرحلة، وطلب توضيح الصورة للفريق أول محمد فوزي وزير الحربية[1].

حتى ذلك الوقت، لم يتم أي لقاء بين قادة ثورة ليبيا والقيادة المصرية ممثَّلة في الرئيس جمال عبد الناصر. وحُدِّد يوم الأول من ديسمبر ١٩٦٩موعدًا لزيارة القذافي لمصر، ومعه كل من النقيب عبد المنعم الهوني، والملازم محمد المقريف، والنقيب بشير هوادي.

لم يكن القذافي قد التقى عبد الناصر، وكان هذا الموضوع هو القضية الثانية التي تحدث فيها «الديب» مع الرئيس.. يتذكر فتحي الديب قائلًا: «انتقلت إلى موضوع طلب العقيد معمر لقاء شخصي بسيادته (بالرئيس جمال عبد الناصر) في إطار سري وثنائي، فرحَّب على الفور، مطالبًا إيايَ بالتفاهُم مع سامي شرف لوضع خطة وصول العقيد للقاهرة في إطار من السرية الكاملة، مع مراعاة كل إجراءات الأمن بالنسبة لسفره من ليبيا إلى القاهرة، وحدَّد موعدًا أوليًّا للزيارة هو يوم أول ديسمبر ١٩٦٩.

كان أول شخصية يُتاح لها اللقاء بقادة الانقلاب هو الصحافي محمد حسنين هيكل الذي أوفده الرئيس جمال عبدالناصر على عجلٍ إلى طرابلس مع فتحي الديب والمقدم صلاح الدين السعدني الذي صار سفيرًا لليبيا

(١) سعيد الشحات. مقال، صحيفة اليوم السابع. في ٢٩ نوفمبر ٢٠١٨.

فيما بعد لاستطلاع الوضع هناك. عاد هيكل ليكتب في مقاله الأسبوعي «بصراحة» في صحيفة «الأهرام» عن قادة الانقلاب، بأنهم ضباط متحمسون من صِغار الرُّتب، وقائدهم الملازم أول معمر محمد عبد السلام أبو منيار القذافي. المصادفة وحدها جعلت شخصية مغربية مرموقة تحضر ذلك في أثناء قيام الثورة. إذ تصادف وجود عبد الهادي بوطالب [١] مستشار الملك الحسن الثاني في العاصمة الليبية في تلك الليلة، وكان يستعد لمغادرتها بعد أن نقل دعوة للملك إدريس السنوسي تسلَّمها نيابة عنه الأمير الحسن الرضا ولي عهد ليبيا لحضور مؤتمر القمة الإسلامي، الذي دعا إليه الملك الحسن

---

(١) كاتب ومفكر مغربي تخرج في جامعة القرويين وحصل على إجازة ودكتوراه في الشريعة وأصول الفقه ودكتوراه في الحقوق. شارك في أول حكومة مغربية بعد الاستقلال وزيرًا للشغل والشؤون الاجتماعية. تقلب طوال الستينيات والسبعينيات في عدة وزارات منها: وزير الإعلام والشباب والرياضة، الوزير المكلف بالبرلمان، الناطق الرسمي باسم الحكومة، وزير العدل، وزير التربية الوطنية، وزير الدولة، وزير الخارجية. وعمل سفيرًا للمغرب بكل من بيروت، ودمشق، وواشنطن، والمكسيك، وترأس البرلمان سنة ١٩٧٠. كان أستاذًا للملك الراحل الحسن الثاني وللملك محمد السادس بالمعهد الملكي بالرباط، وعمل مستشارًا للملك الحسن الثاني. له العديد من المؤلَّفات منها: «بين القومية العربية والتضامن الإسلامي»، و«المرجع في القانون الدستوري والمؤسسات السياسية»، و«نصف قرن في السياسة»، و«العالم الإسلامي والنظام العالمي الجديد»، و«لكي نفهم الإسلام أحسن».
موقع https://www.hespress.com/politique/17381.html

الثاني في الرباط عام ١٩٦٩، بعد حريق المسجد الأقصى، وهو المؤتمر الذي ستنبثق عنه منظمة المؤتمر الإسلامي. هذه الدعوة نفسها سيُعاد تسليمها إلى العقيد معمر القذافي عبر القنوات الدبلوماسية.

أما الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل فقد لخَّص رأيه في القذافي في مقال في صحيفة يوميوري شيبمون اليابانية الواسعة الانتشار ضمن باب ثابت هو (نظرات على العالم) وكان عنوان المقال: (القذافي وإعلان الجهاد)، قال فيه: إنه أول شخص التقى القذافي بعدما سُمي بثورة الفاتح في عام ١٩٦٩ مبعوثًا خاصًّا من الرئيس المصري حينذاك جمال عبد الناصر، وحينما سأله الأخير عن انطباعاته بعد اجتماع دام خمس ساعات مع العقيد وضباط آخرين، قال: إن الشاب البدوي الذي رأيته يُذكِّرني بمُهر عربي جميل وأصيل، لكنه ما زال بكل عذرية الصحراء أو البراري المفتوحة وبراءتها ونقائها وحيويتها، وهو يقدر، إذا روَّضته المسئولية الوطنية، أن يكون جوادًا قويًّا وقادرًا من نوع نادر، لكنه إذا لم يروَّض فسوف يظل شاردًا وقادرًا على إلحاق الأذى بنفسه وبكل الناس والأشياء من حوله. هذه الرؤية التي تعود إلى أكثر من أربعين عامًا من الزمن، نشهد ونلمس مصداقيتها الآن على أرض الواقع بصورة جلية وواضحة إلى أبعد الحدود[1].

كان آخر لقاء للقذافي بجمال عبد النصر في مؤتمر القمة العربي الذي عُقد في سبتمبر ١٩٧٠.

---

(١) عادل جبوري. موقع إيلاف في ١٨ مارس ٢٠١١.

ومنذ بداية المؤتمر كان هناك اتجاهان في الرأي: القذافي وجعفر النميري وغيرهما يرون اتخاذ موقف حاسم من الملك حسين، بينما آخرون من بينهم عبد الناصر، يرون أن الغرض من المؤتمر هو وقف المذبحة الحالية، وعلى ذلك فإن اتخاذ موقف التشدد ضد الملك حسين سيمنحه مبررًا لقطع اتصالاته بالحكومات العربية والمضي في مذبحته ضد المقاومة. وفي ٢٤ سبتمبر سافر إلى عمان وفد برئاسة جعفر النميري للوقوف على ما يجري، ومحاولة تهدئة الموقف، وعاد الوفد دون تحقيق نتيجة مرجوَّة، وأخذ الوفد يعرض نتائج مباحثاته على المؤتمر، حيث دار حوار بين بعض الرؤساء العرب نَقَلَه لنا محمد حسنين هيكل في كتابه «الطريق إلى رمضان»، والذي يُبيِّن فيه المواقف الحادة التي يلجأ إليها الرئيس القذافي تجاه القضايا العربية.

الملك فيصل: إني متفق مع فخامة الرئيس جمال عبد الناصر أن ذلك كله يبدو كأنه خُطة لتصفية المقاومة.

القذافي: إني غير متفق معكم في الجهود التي تبذلونها، وأعتقد أنه لا بد من إرسال قوات مسلحة إلى عمان ...قوات مسلحة من العراق وسوريا.

الملك فيصل: تريد أن ترسل قواتنا المسلحة للقتال في الأردن؟ هذا ليس عمليًّا.

عبد الناصر: أظن أن علينا أن نتحلى بالصبر.

فيصل: أظن أنه إذا كان لنا أن نرسل جيوشنا إلى أي مكان فلا بد أن نرسلها لتقاتل اليهود.

القذافي: إن ما يفعله حسين أبشع مما يفعله اليهود ...والمسألة كلها اختلاف في الأسماء.

عبد الناصر: الصعوبة هي أننا إذا أرسلنا جنودًا إلى الأردن فإن ذلك لن يؤدي إلا إلى تصفية بقية الفلسطينيين، وأريد منكم أن تستمعوا إلى رسالة تلقيتُها هذا الصباح من الاتحاد السوفييتي، إنهم يطلبون منا التمسك بأقصى قدرٍ من ضبط النفس؛ لأن الموقف الدولي أصبح دقيقًا للغاية، وأي خطأ في التقدير يمكن أن يؤدي إلى أن نفقد نحن العرب كل السمعة التي اكتسبناها خلال السنوات الثلاث الماضية.

القذافي: ما زلتُ معترضًا؛ فإننا إذا كنا نواجه مجنونًا كالملك حسين يريد أن يقتل شعبه، فلا بد أن نُرسل من يقبض عليه ويضع الأغلال في يديه، ويمنعه من أن يفعل ما يفعله، ويحمله إلى مستشفى المجانين.

فيصل: لا أظن أن من اللائق أن تصف ملكًا عربيًّا بأنه مجنون.

القذافي: لكن أسرته كلها مجانين.

فيصل: حسنًا. ربما كان كلانا مجنونين.

عبد الناصر: في بعض الأحيان حينما ترون جلالتكم ما يجري في العالم العربي، فإن ذلك ربما يصبح صحيحًا، وأقترح أن نُعيِّن طبيبًا ليكشف علينا بصورة منتظمة ليتبيَّن من هم المجانين بيننا.

فيصل: أريد أن يبدأ طبيبك بي؛ لأني أشكُّ بالنسبة لما أراه أني أستطيع الاحتفاظ بتعقُّلي.

عبد الناصر: على أية حال، دعونا نعُد إلى موضوعنا الأصلي، إني أقترح أن يصدر على الفور بيان باسم الرئيس النميري يقول: إن الملك حسين قطع للوفد عهدًا بإنهاء القتال.

القذافي: الملك حسين لن يتراجع ما لم يحس بخنجرٍ فوق عُنقه.

ولكن قناة اتصال القذافي بقيادة مصر قد تم اعتقالها. ونترك فتحي الديب في كتابه «عبد الناصر وثورة ليبيا» يحكي لنا ما حدث مع السادات.

في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم التاسع عشر من مايو، فوجئتُ بحضور ضابط مباحث عامة سبق له التعاون معي لمنزلي، ليطلب مني اصطحابه إلى مبنى مستشفى كلية الشرطة، وحينما استفسرتُ منه عن السبب، أخبرني والدموع في عينيه أنه صدرت إليه الأوامر باعتقالي، وتحديد إقامتي في مبنى مستشفى كلية الشرطة، وأنه حاول التنحي عن أداء هذا العمل الصعب والثقيل على نفسه، وقد كان للحقيقة في غاية الألم والأدب،

طلبتُ من الضابط التريُّث حتى أعدَّ حقيبتي، وصحبتُه إلى المبنى المذكور لأجد عددًا من رؤساء منظمة الشباب بالاتحاد الاشتراكي وأعضائها قد سبقوني ليُحتجزوا فيها، وخُصصت لي غرفة خاصة لأقيم فيها . وخلوتُ بنفسي لأستعرض تطور الأحداث، فاقتنعتُ بأن الهدف الرئيسي من اعتقالنا هو التخلُّص من كل من عاونَ جمال عبد الناصر بكل الصدق والوفاء، ولم تمضِ ثلاثة أيام على اعتقالي حتى فاجأتني الأزمة القلبية الثانية، فنُقلت إلى مستشفى المعادي تحت الحراسة لأقضي بها سبعة أشهر تحت العلاج والتحقيق خلالها؛ لإلصاق تهمة «بلبلة الأفكار ضد اتفاقية إقامة اتحاد الجمهوريات، كانت هذه التهمة موضع تندُّر كل من استمع إليها، متعجبين كيف أكون مُبلبِلًا للأفكار ضد الاتفاقية التي أعددتُها بنفسي وبقلمي.. وتمت المحاكمة لتبُرَّأَ ساحتي لعدم وجود أي دليل أو سند لما ادُّعي عليَّ به من أكاذيب».

يؤكد الديب: «عدتُ إلى منزلي مرفوع الكرامة، وتوافَدَ عليَّ العديد من الإخوة المناضلين من أنحاء الوطن العربي كافةً لتهنئتي، وإعلان سخطهم على ما تم من إجراءات تعسفية ضدي، وضد كل المخلصين المؤمنين من أعوان عبد الناصر»، ويكشف: «بادرتُ بتقديم استقالتي خطيًّا لرئيس الجمهورية، وحضرتُ مع من حضر من أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبي ليعرضوا عليَّ مصاحبتهم إلى ليبيا للإقامة بها والعمل مستشارًا لرئيس مجلس قيادة الثورة، واعتذرتُ موضحًا لهم أنني قررتُ ألَّا أعمل في أي ميدان له أي علاقة بالسادات من قريب أو بعيد مع استعدادي لمعاونتهم في كل ما يحتاجون إليه من منزلي

بالقاهرة، وفى يونيو ١٩٧٢ فوجئتُ باتصالٍ تليفوني من أشرف مروان سكرتير السادات يطلب مني السفر إلى ليبيا لحاجتهم لي، وأبلغتُه اعتذاري».

يضيف «الديب»: «عاود الاتصال بي حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي حينذاك طالبًا مني الاستجابة، وكان جوابي أنني على استعداد للسفر، بشرط قبول رئيس الجمهورية لاستقالتي التي أرسلتُها إليه ولم يبتّ فيها. كما أطالِبُ بجواز سفر جديد باسمي الشخصي، وبلا منصب حتى لا تُوجَّه إليَّ فيما بعد تُهمة التعاون مع جهات أجنبية، وتم إخطاري على لسان حافظ إسماعيل بقبول استقالتي، وسافرتُ إلى طرابلس»، ويؤكد الديب: «التقيتُ القذافي في اليوم التالي لسفري، وطلب مرافقته إلى بني غازي لمصالحتي على السادات الذي سيصل إلى ليبيا بعد ظهر اليوم نفسه، وكان ردي: «آسف يا أخي معمر، لست مستعدًّا لأُلدغ من الجُحر نفسه مرتين. وحاول إثنائي عن موقفي، ولكني أصررتُ، واستأذنتُ للسفر صباح اليوم التالي، لتتوقف صِلتي بأحداث ليبيا على المستوى الرسمي[١]».

في النهاية، هناك من يرى أن القذافي جاء بدعم أمريكي للقضاء على عبدالناصر، فكرًا وتيارًا، أخذ القذافي يطرح نفسه كامتدادٍ لعبد الناصر، وبدأ رحلة تسفيه عبد الناصر والناصرية. وبدأ القذافي يخطب في الجماهير كما كان يخطب جمال عبد الناصر، وذهب يهاجم أمريكا وإسرائيل كما كان عبدالناصر

---

(١) سعيد الشحات – مقال. اليوم السابع. ١٩ مايو ٢٠١٩.

يهاجمهما، وشرع يقدم كتابًا ووثيقة ورؤى مكتوبة كما كان يفعل عبد الناصر، وراح يدعم حركات ثورية خارج الحدود كما فعلَ عبد الناصر، لكن كل ذلك كان تدميرًا منظمًا لعبد الناصر، فمن الخطاب السياسي العالمي لمصر الثورة، راح القذافي يهذي في خطابه الكارثي، ومن معركة شريفة القصد والغاية ضد إسرائيل وأمريكا، راح القذافي يحوِّل رسالة النضال إلى حالةٍ نفسية مضطربة، أظهرت الفكر العربي كما لو أصابه الجنون، ومن أدبياتٍ جادة ورصينة، راح القذافي يُقدِّم للعالم مخلفات على ورق باسم الكتاب الأخضر، والنظرية العالمية الثالثة، ومن دعم مصري عظيم لحركات التحرر والنضال، راح القذافي يمُوِّل عصابات طائشة حول العالم بدَّد عليها ثورة شعبه وبلاده [1].



(١) أحمد المسلماني. مصر الكبرى، دار ليلى، القاهرة ٢٠١٢.



الفصل الرابع

القذافي والسادات

عندما مات الرئيس جمال عبد الناصر، لم يُشكِّل موته صدمة للرئيس القذافي. أظنُّ أنه لم يحزن كثيرًا. لأن القذافي كان يؤهِّل نفسه لتقلُّد وشاح الزعامة بدلًا منه، مثلما يحدث في الطُّرق الصوفية. عندما يموت شيخ الطريقة، فيتولى خليفتُه رئاسة المشيخة.

وما لبث الخليفة أن أصبح الزعيم نفسه، وتمسَّك بأردية الزعامة وتقاليدها من الحكمة وادِّعاء الفكر والثقافة والدخول في عالم الأدب، وكان من الطبيعي ألا يلتقي القذافي والسادات بسهولة، فكل منهما كان يسعى لتوطيد مركزه بعيدًا عن تراث عبد الناصر، لكن كلًّا منهما في الوقت نفسه كان ما زال في أمسِّ الحاجة لهذا التراث ليستمد منه شرعيته. لذلك فقد انهارت الوحدة التي طرحها القذافي، وما تلاها من مشروعات الانشقاق والاختلاف محل الوفاق والوحدة، وهكذا وجد العقيد نفسه كما قال هو: (زعيمًا بلا شعبٍ وفي مصر شعب بلا زعيم).

ومع ذلك فإن العلاقة بين السادات والعقيد ظلَّت مُلْتَبسةً، ويسيطر عليها الغموض، وتراوحت بين المَد والجذر.

ففي حالات المد، وصلت تلك العلاقة إلى الشروع في علاقة نسب ومصاهرة، لم تتم.

وفي حالات الجزر، وصلت إلى الحرب، وهو ما سنتحدث عنه في فصلٍ مستقلٍّ.

يقول السادات: إنه في جنازة الزعيم جمال عبد الناصر كان هناك صراع مكتوم حول من سيخلف الزعيم الراحل. وأنه من الطبيعي أن أظل رئيسًا للجمهورية بالنيابة إلى أن تنتهي مدة الرئاسة الثانية لجمال عبد الناصر في سنة ١٩٧١، وبعدها تُجرى الانتخابات عل منصب رئيس الجمهورية الجديد، وقد تحدَّثتُ في ذلك إلى الرئيسين بومدين وإلى القذافي، وكان من رأي بومدين أنه يجب ألَّا يكون في مصر أي نوع من عدم الاستقرار. وأنه يجب إجراء الانتخابات فورًا على منصب رئيس الجمهورية، واعترض على بقائي هكذا رئيسًا بالنيابة. وقد اعترض القذافي كذلك على بقاء السادات في منصب رئيس الجمهورية بالنيابة. أي إن موقف القذافي من تولية السادات، كان يتشابه مع موقف الرئيس الجزائري هواري بومدين، والذي يرى أن مصلحة مصر في إجراء انتخابات.

في بداية ولايته انزعج الرئيس السادات من الموقف الاقتصادي، وسأل حسن عباس زكي وزير الاقتصاد في ذلك الوقت، عن الحل. فأخبره الوزير بأن الحالة سيئة جدًّا. فطلب منه الرئيس السادات أن يتجه إلى ليبيا، فحالتها الاقتصادية أفضل من حالة مصر. فعدد سكَّانها يتجاوز المليون بقليل، بينما كان

عدد سكان مصر في ذلك الوقت ثلاثين مليونًا، وليبيا سند لمصر. هذا تقديري، أما جمال عبد الناصر فلم يطلب مليمًا واحدًا من ليبيا. فقد كان لنا جيش في ليبيا، وهذا الجيش يتقاضى أفراده مرتباتهم بالعملة الصعبة من مصر، ولم أشعر بأية حساسية أن أتجه إلى ليبيا.. ودفعتْ ليبيا عشرين مليونًا من الجنيهات[1].

نترك السيد أحمد قذاف الدم[2]، مُنسِّق العلاقات المصرية الليبية السابق،

---

(١) أنيس منصور. من أوراق السادات. دار المعارف. القاهرة ٢٠٠٩.

(٢) وُلد قذاف الدم عام ١٩٥٢ م في مرسى مطروح، وقيل في البحيرة بمصر، لأبٍ ليبي من القذاذفة وأمٍّ مصرية. أخواله يقطنون في محافظة البحيرة في مصر، وهم من قبائل أولاد علي، وهي قبائل موجودة تاريخيًّا قريبة من الحدود الليبية المصرية. كان قذاف الدم يدرس في مدرسة مدنية إلى أن أمر معمر القذافي بتحويله إلى الأكاديمية العسكرية. تخرج في الأكاديمية في بداية السبعينيات، وبعدها التحق بسلاح الحرس الجمهوري، وتدرج في المراتب العسكرية في فترة وجيزة. التحق بالفرع المدني لثورة الفاتح عندما كان طالبًا أواخر الستينيات، ثم كان ضمن أول دفعة ضباط تخرجت بعد الثورة في الكلية الحربية في مصر، حصلَ علي عدة دورات، ودرس في تركيا وباكستان ويوغسلافيا وبريطانيا في تخصصات مختلفة في العلوم العسكرية والسياسية وعلوم الطيران، وصل إلي رتبة عقيد في القوات المسلحة، كان ضمن القوات الليبية في حرب ١٩٧٣، كما كان أحد المتطوعين عند الاجتياح الصهيوني للبنان في مطلع الثمانينيات، كما شارك في معارك حرب تحرير أفريقيا؛ مما أكسبه احترامًا خاصًّا داخل القوات المسلحة. ثم انتقل إلى العمل السياسي، وكان سفيرًا في أكثر من بلد أهمها السعودية ومصر، وعمل مبعوثًا خاصًّا لدى كثير من دول العالم، وشارك في معظم القِمم العربية والإفريقية والمؤتمرات الدولية، ساهم في حل مشكلات، وكُلف=

= بمهام وساطة في أكثر من بلد وخاصة في إفريقيا، لـه الفضل في عــودة العلاقات الليبية مع مصر والسعودية والمغرب، وكذلك في حلحلة كثير من الملفات العالقة مع الدول الأوربية، وكان يُلقب برجل المهمات الصعبة، بعد تخرُّجه كُلف بملف المعارضة الليبية في الخارج هو ومدير المخابرات اللواء على كوسه. واتُّهم بالمشاركة في الضلوع ببعض العمليات لتصفية معارضين ليبيين في الخارج وتحديدًا أوروبا. ومن مهامه الأخرى التي كلَّفه بها معمر القذافي هي تعينه حاكمًا عسكريًّا لمنطقة طبرق عام ١٩٨٤ م، وأمينًا للمكتب الشعبي في السعودية عام ١٩٨٥ م. له علاقات واسعة مع كثير من رؤساء دول العالم، وقيادات سياسية ونقابية وإعلامية، وحصل علي العديد من الأوسمة والشهادات، كذلك له علاقات وثيقة مع زعماء المعارضة الليبية، ويحظى باحترام كبير ومكانة عند رجال القبائل في ليبيا والوطن العربي، عُرف عنه تميُّزه بأنه صاحب رأي مما عرَّضه للكثير من المشكلات والإشاعات والإقصاء والإبعاد في فترات مختلفة . أنشأ عدة مشروعات تجارية واسعة في مصر، لكن لا توجد معلومات أو تقديرات عن حجم هذه الاستثمارات. علمًا بأن حجم الاستثمارات الليبية في مصر وصل إلى عشرة مليارات عام ٢٠١١ م. في أثناء اندلاع ثورة ١٧ فبراير في ليبيا عام ٢٠١١ م قيل إن قذاف الدم حاول أن يُقنع قبائل بدوية لها جذور ليبية وتحديدًا قبائل أولاد علي بالعمل مرتزقة لمهاجمة قبائل الشرق وبني غازي مقابل حافز مادي. وقد أنكر قذاف الدم هذه التُّهم، وقال: إنها نوع من الدس الرخيص لبث الفرقة والفتنة. وقد طالب معارضون مصريون الجيش المصري باعتقال قذاف الدم بتهمة قتل الشعب الليبي، وخرج مئات المتظاهرين منددين به في مرسى مطروح، وقد أعلن يوم ٢٤/ ٠٢/ ٢٠١١ م عن تخليه عن نظام القذافي ولجوئه إلى مصر احتجاجًا على حملة القذافي ضد المتظاهرين. ألقت قوات الأمن المصرية القبض على قذاف الدم في ١٩ مارس ٢٠١٣، بأمر من الإنتربول.وقعت اشتباكات بين قوات الشرطة المصرية والحرس الخاص به، أسفرت عن إصابة ضابط واثنين من حراسه. قضت محكمة جنايات القاهرة برئاسة المستشار مصطفى حسن عبد الله ببراءة أحمد قذاف الدمنسق العلاقات المصرية الليبية السابق من تُهم الشروع في القتل، ومقاومة السلطات، وحيازة الأسلحة. ويكيبيديا. الموسوعة الحرة.

والرجل القريب جدًّا من الرئيس الليبي معمر القذافي ليحكي عن تلك المرحلة من العلاقات بين القذافي والسادات، عندما اندلعت حرب أكتوبر كان القذافي يستقبل وزير الدفاع في غينيا كوناكري حين أُبلغ باندلاع حرب ١٩٧٣، فسارع إلى القول: «بدأت المسرحية». كان القذافي مُطَّلعًا على وجود استعدادات للحرب، وقدَّمت ليبيا بعض المساعدات بما فيها قوارب استُخدمت في العبور، لكنه لم يكن مطلعًا على موعد الحرب، وكان لديه شعور بأنها مدبَّرة. على رغم ذلك انتقل القذافي إلى القاهرة وزار غرفة العمليات. استنتج معمر أن الجيش المصري لم يُهزم عسكريًّا بل هَزَمَه القرارُ السياسي المصري. ومن هنا بدأ التوتر في العلاقات، الذي بلغ لمرحلة الصدام على الحدود. أنا في الحقيقة كنت أرى القطيعة مع مصر مخاطرةً مهما تكن الخلافات مع النظام القائم فيها. بوساطة من الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري التقيتُ نائب رئيس الوزراء المصري حافظ غانم في كوناكري والتقيتُ الدكتور محمد رياض وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية بمبادرة من أياديما رئيس توجو. القطيعة العربية مع مصر كانت من القرارات المُكلِّفة. في أول قمة للصمود والتصدي صغتُ مع عبد العزيز بوتفليقة - وكان وزيرًا لخارجية الجزائر - بيانًا قلنا فيه: إن الأمة العربية ضعيفة بلا مصر، ومصر لا شيء بغير الأمة العربية.

بعد انتهاء حرب ١٩٧٣ وبدء مفاوضات الكيلو ١٠١، بين مصر وإسرائيل، بإشراف الأمم المتحدة، للوصول إلى تحديد خطوط وقف إطلاق

النار، بدأت نُذر الخلافات بين العقيد القذافي الذي كان عمره لا يتجاوز ٣١ عامًا، والرئيس السادات المخضرم في الحروب والثورات والسياسة. شعر القذافي أن الأمور يمكن أن تتفاقَم، وبدا من تصرفاته أنه لا يريد أن يخسر القاهرة، وفي الوقت نفسه كان موقفه أكثر ميلًا للموقف الرافض لطريقة التفاوض الذي يتبنَّاه الفريق سعد الدين الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في ذلك الوقت. وأخذ القذافي ينتقد أولًا إجراء مفاوضات الكيلو ١٠١ على الأرض المصرية.

ويستطرد أحمد قذاف الدم: ورغم غضب القذافي الشديد من السادات، فإن القذافي قد وافقَ على حضور حفل تكريم الجيش المصري الذي نظَّمه السادات عقب الحرب بنحو أربعة أشهر، أي في فبراير عام ١٩٧٤.

حصلت مشكلات بعد أن تقدَّم الفريق سعد الدين الشاذلي باستقالته. وكان التفكير الليبي أقرب إلى تفكير الفريق الشاذلي.. بل إن القذافي انحاز له بشكل أو بآخر، وبعدها تبنى الرئيس القذافي وجهة نظر الفريق سعد الدين الشاذلي وطلب منه أن يُقيم في ليبيا، ويهاجم السادات من ليبيا. بحكم أنه كان الأكثر فهمًا للأمور العسكرية على الأرض، وأيضًا كنا نتابع مع الإخوة السوريين على الجبهة السورية. كنا ضد إيقاف الحرب، وضد مفاوضات الكيلو ١٠١.. كنا نرى أنه إذا كان لا بد من هذه المفاوضات، فلتكن على أرض العدو، وليس على الأرض المصرية. اختلفنا في مثل هذه النقاط، وبدأت حملة إعلامية شرسة في مصر ضد ليبيا. وبدأت الخلافات تأخذ شكلًا متصاعدًا،

ورغم ذلك، عندما كرَّم الرئيس السادات الجيش المصري بعد الحرب، بعث بمبعوثًا إلى طرابلس، لدعوة معمر لحضور التكريم، وكان السادات يقول: «رغم خلافي مع معمر، ورغم أن معمرًّا عمل وعمل، ولكن نحن أوفياء، ولا يمكن أن ننسى ما قامت به ليبيا في هذه الحرب، ولا ينبغي أن يجري التكريم في غير حضور معمر القذافي».

من جانبه اشترط القذافي على السادات أن يوجه الدعوة لحضور بعض القادة الأفارقة، وقال للسادات: «أفريقيا ساهمت معنا، وقطعت علاقتها بإسرائيل، وأرجو، ما دمتَ قد قُمتَ بهذه الخطوة فإنه من باب الوفاء لأفريقيا أن ندعوها للمشاركة في الحفل». ورحَّب السادات بالفكرة، وجاء الرئيس الأفريقي موبوتو سيسيكو، وحضر معنا التكريم الذي جرت وقائعه في مقر مجلس الشعب المصري [1].

غير أنه حدثت واقعة، يجب أن نُشير إليها، رواها الرئيس السادات لأنيس منصور في كتابه من أوراق السادات، عند تحضير قصر الطاهرة ليكون غرفة عمليات للمعركة، في ذلك الوقت جاءني الرئيس القذافي في قصر الطاهرة، فعثرنا على ثمانين ميكروفونًا تعمل لصالح إدارة المخابرات. بعد أن صُفيت مراكز القوى في ١٩٧١. كانت الميكروفونات تتجسس على كل ما يقوله زُوار القصر ونزلاؤه وحتى حديث الرجال إلى زوجاتهم في غرف نومهم.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط. ٢١- سبتمبر ٢٠١٤ مـ العدد ١٣٠٨١.

في ذلك الوقت جاءني القذافي في قصر الطاهرة، وطلب أن نُطلعه على غرفة العمليات، ولم تكن هناك عمليات، فنحن في وقت نتابع فيه الثغرة، ولكنه غضب عندما لم يرَ شيئًا من ذلك، وراح يقول: إنه لم يكن يتوقع شيئًا من ذلك، خصوصًا أنه جاء لمصر طائرًا ومخاطرًا بحياته، لأن اليهود كانوا على مدى مائة كيلومتر من القاهرة، فكيف لا يرى غرفة العمليات؟ وكيف لا نُطلِعه على أدق أسرار القتال، لأنه ضحَّى بحياته عندما هبط أرض مصر؟ ولم يلاحظ أننا جميعًا في مصر وفي قلب القاهرة، وأن أولادي أنا يقيمون في الجيزة، وأننا جميعًا يجب أن نشارك شعبنا في كل شيء[١].

وهناك واقعة حدثت تُدلِّل على الطريقة التي كان يتعامل بها السادات مع القذافي. حدث بين السادات والقذافي عام ١٩٧٢ موقف أراده هيكل أن يكون معبرًا عن الاثنين. كان القذافي في زيارة مفاجِئة لمصر، وعرف من خلال ما كتبه هيكل في الأهرام أن المجمع الصناعي في المحلة يمرُّ بأزمة مالية. فسأل هيكل: هل مبلغ ٣٠٠ مليون جنيه إسترليني يحل المشكلة؟ وعلى عجلٍ تم ترتيب مفاوضات للاتفاق على خطوات تنفيذ المساعدة المالية الليبية في منزل السادات في الجيزة بين عبد السلام جلود، رئيس وزراء ليبيا، وعبد العزيز حجازي، وزير المالية المصري. كانت المفاوضات تجري في غرفة

(١) أنيس منصور. من أوراق السادات. دار المعارف. القاهرة ٢٠٠٩.

الطعام. وفي صالون المنزل المقابل جلس الثلاثة، السادات والقذافي وهيكل ينتظرون. هنا حدث التالي: اشتكى القذافي وجودَ أربع صفحات في الأهرام الصادر يومها عن «منجزات الشيخ زايد في الإمارات». قال هيكل: هذه مجرد صفحات إعلانية. فرد القذافي: «هذا تمجيد في الرجعية». وتدخَّل السادات بقوله: «معمر... هذا إعلان واضح، وليس فيه تمجيد. لم يقبل القذافي، ورد قائلًا: «اليوم يمجدون في الشيخ زايد، وغدًا يكون التمجيد في فيصل». عندها قال السادات: «معمر.. لا تغلط في حق فيصل... هو صديقي». فرد معمر بحدة: «لا هو صديقك ولا شيء. هو لا يحبك ولا يحب مصر». فقاطعه السادات: «معمر... الزم حدَّك... قلت لك هو صديقي». ومرة أخرى ردَّ القذافي: «ماذا جرى لك يا ريس أنور؟ هل فقدتَ ثوريتك؟» فقال السادات بغضب: «هل تُعلِّمني الثورية يا معمر؟ اسمع، إذا كنتَ تتصور أنك تشتري سياستي بأموالك، فأنا في غنًى عنها». ثم نادى حجازي طالبًا منه - بحسب الرواية - وقف المفاوضات؛ لأنه «لا يريد شيئًا ما دام معمر يتصور أنه بأمواله يستطيع شراء مصر». وعندها انتهى كل شيء[1].

وهناك واقعة تُبرِّر المواقف التي اتخذها الرئيس السادات بإبعاد الريس القذافي عن أي معلومات تخصُّ معركة العبور التي كان يتأهَّب لها الرئيس السادات.

---

(١) خالد الدخيل. مقال بعنوان. كيف يبدو القذافي في عيون صديقه القديم. صحيفة الحياة اللندنية ٢٦ فبراير ٢٠١١.

في يوم ١٧ أبريل ١٩٧٣، في أثناء استعداد السادات لمعركة العبور كما ورد في شهادة محمد حسنين هيكل في معمر القذافي: أن قائد غواصة مصرية راسية في ميناء طرابلس الليبي تلقَّى إشارة تطلب منه التوجُّه لمقابلة الرئيس الليبي معمر القذافي، وحسب محمد حسنين هيكل، في كتابه «الطريق إلى رمضان»: «ذهب الضابط وبسط القذافي أمام الضابط الشاب خريطة لمنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، وقال له في لهجةٍ بدا فيها الودُّ الشديد: «إني أتحدث إليك بصفتي مواطنًا عربيًّا وقائدًا للقوات المسلحة الليبية، أنت الآن تعمل هنا، معنا، فهل تستطيع أن تُحدِّد موقع الباخرة الإسرائيلية «كوين إليزابيث ٢» في البحر المتوسط؟ هل من الممكن ذلك بسهولة؟ رَّد الضابط المصري بأن ذلك سهل، فكان السؤال الثاني: «في مثل هذه الحالة، هل يمكنك أن توجَّه إلى الباخرة طوربيدين وتغرقها؟»

ردَّ الضابط بأن ذلك ممكن من الناحية النظرية، لكنه عمل خطير، ولا بد من أن يصدر أمر مباشر قبل التنفيذ، فقال القذافي: «حسنًا، إني أُصدر الأمر إليك، وإن شئتَ أن يكون أمرًا كتابيًّا، فأنا مستعد لأن أكتبه لك.

بعد أن طرح القذافي فكرته على الضابط المصري عاد الضابط إلى غواصته، وأصدر الأمر إلى رجاله بأن يكونوا على استعداد للإبحار في عملية عاجلة وسرية، وحسب هيكل: «بعث الضابط رسالةً مشفَّرة إلى قيادته في قاعدة الإسكندرية يبلغها الأمر الصادر إليه، وذُهل قائد البحرية في الإسكندرية لما سَمِعَ، واتصل بالفريق أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة، فاتصل

بدوره بالرئيس السادات الذي أصدر تعليماته بعودة الغواصة إلى الإسكندرية. يؤكِّد هيكل أنه تلقى اتصالًا من السادات، قال فيه: «يبدو أن القذافي يريد أن يضعنا في مأزق»، وقال: إنه لن يبلغ القذافي بالإجراء الذي اتخذه، بل سيقول له: إن قائد الغواصة لم يستطِع أن يحدد موقعها في البحر، ومن ثم لم يستطِع أن يُنفِّذ الأمر الصادر إليه بإغراقها.

يؤكد هيكل: «الرواية لم تنطلِ على القذافي، ولم يستطع أن يفهم كيف يُسمح لإسرائيل بأن تُسقط طائرة ليبية مدنية في رحلة بريئة، ويُمنع الرد عليها بالمثل؟ وكان شديد التأثُّر لما حدث.

ويضيف هيكل: «حاول الرئيس السادات تهدئته، وأوضح له أنه إذا قامت الطائرات الليبية بضرب حيفا «وكان هذا أحد اقتراحات القذافي»، فإن أكثر النتائج احتمالًا أن تقوم الطائرات الإسرائيلية بضرب آبار البترول الليبية، وأن ما قد يترتب على ذلك لا يمكن أن يساعد قضية العرب.

روى روبرت مكفرلين[1] مستشار الرئيس الأمريكي السابق لشؤون

---

(١) مستشار الرئيس الأمريكي السابق لشؤون الأمن القومي، بطل قضية فضيحة «إيران جيت» لعب دورًا، إلى جانب الدكتور هنري كيسنجر، خلال حرب تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣. وتجول في الشرق الأوسط مبعوثًا خاصًّا للرئيس ريجان، وقام بمهمات «خاصة وسرية» في عددٍ من دول المنطقة، وتولى معالجة الكثير من الملفات الحساسة والخطرة، كالملف اللبناني وملف الإرهاب في الشق الأوسط والملف الليبي، وقابل=

الأمن القومي في مذكراته التي نشرتها صحيفة الحياة اللندنية في ٢٩ يونيو ١٩٩٢ . وتناول في حديثه قيام تعاون مصري أمريكي بهدف الضغط على ليبيا، والعمل على الإطاحة بنظام العقيد معمر القذافي. ويقول: إنه في ربيع ١٩٨١، بعد بضعة أسابيع من دخول الرئيس رونالد ريجان إلى البيت الأبيض، زُرْتُ القاهرة، المحطة الأولى في جولة ستشمل لاحقًا دولًا أخرى في منطقة الشرق الأوسط وفي المناطق المحيطة بها. وكنتُ يومها مستشارًا لوزير الخارجية الأمريكي ألكسندر هيج برتبة مساعد وزير.

= مجموعة كبيرة من الزعماء والمسؤولين في المنطقة العربية وإسرائيل، وشارك في صياغة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط فترة من الزمان. وقد عمل مكفرلين في البيت الأبيض في عهد الرئيسين السابقين نيكسون وفورد بين ١٩٧٣ و١٩٧٧، ثم عمل في لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأمريكي قبل أن ينتقل في بداية عهد ريجان عام ١٩٨١ إلى وزارة الخارجية بصفة مستشار للوزير ألكسندر هيج. وانتقل مطلع ١٩٨٢ إلى البيت الأبيض مجددًا، حيث شغل منصب مساعد مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي. وفي تموز / يوليو ١٩٨٣ اختاره ريجان ليكون ممثله الشخصي في الشرق الأوسط ثم أصبح في أكتوبر ١٩٨٣ مستشار ريجان لشؤون الأمن القومي، وبقي في منصبه هذا حتى كانون الثاني / يناير ١٩٨٦. وبعد ذلك تولى منصب مستشار في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن، ثم أنشأ وترأس عام ١٩٨٩ «مؤسسة مكفرلين»، وهو لا يزال على رأسها حتى اليوم. ومهمة هذه المؤسسة تقديم استشارات إلى مسؤولين ورجال أعمال من دول عدة. عن صحيفة الحياة اللندنية. كابي طبراني. ٢٩ يونيو ١٩٩٢.

في القاهرة قابلتُ الرئيس أنور السادات في منزله شمال العاصمة المصرية، واستمر اللقاء معه ساعات عدة. ولاحظتُ أن موضوعين رئيسيين يسيطران على تفكير السادات؛ انتشار النفوذ السوفييتي في المنطقة، ومشكلة العقيد معمر القذافي. حرص السادات على أن يقدم لي توقُّعاته للسنوات العشر المقبلة في الشرق الأوسط – لأنقلها بدوري إلى المسؤولين في الإدارة الأمريكية الجديدة – فقال لي: إنه يرى أن السوفييت سيواصلون ضغوطهم على الشرق الأوسط عن طريق احتلالهم لأفغانستان، وحذَّرني من أن السوفييت ينوون توسيع نطاق نفوذهم إلى إيران نفسها؛ لجعل هذا البلد الذي كان آنذاك تحت زعامة آية الله الخميني، يقع ضمن دائرة سيطرتهم، وأضاف السادات خلال هذا اللقاء: إن النفوذ السوفييتي سيمتدُّ بعد ذلك ليشمل منطقة الخليج العربي. وبعد ذلك سيركز السوفييت جهودهم على مصر ويعملون للضغط عليها عن طريق ليبيا وبعض دول البحر الأحمر.

كان السادات يؤمن – وفقًا لما شرحه لي – بأن من الضروري أن تتحرك الولايات المتحدة لمواجهة «الطموحات الإمبريالية السوفييتية» في المنطقة العربية، وأن ذلك يتم عن طريق تجديد التعهدات والالتزامات الأمريكية بدعم مصر والدول العربية المعتدلة الأخرى إزاء الزحف المتنامي لنفوذ موسكو.

وانتقل الحديث بعد ذلك إلى الرئيس الليبي معمر القذافي، فقال لي السادات: إن القذافي يعمل لمصلحة الاتحاد السوفييتي، وأنه يقوم، بالنيابة عن موسكو، بالعمل على زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط، ومن ثم فلا بد من مجابهته. وهنا اقترح السادات قيام تعاون بين مصر والولايات المتحدة لقلب نظام الحكم في ليبيا والإطاحة بمعمر القذافي.

ويستطرد روبرت مكفرلين قائلًا: وقد قدَّم السادات اقتراحه هذا إليَّ على الشكل الآتي: قال لي: إنه سبق إن اقترح على الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر قيام تعاون مصري – أمريكي للضغط على القذافي والعمل على الإطاحة به، لكن كارتر رفض هذا الاقتراح. وأضاف السادات موجهًا كلامه إليَّ أنه يكرر العرض نفسه الذي قدمه لكارتر، ويقترح على إدارة الرئيس ريجان العمل مع مصر للإطاحة بالقذافي. وعدتُ إلى واشنطن، وقدَّمتُ تقريرًا إلى وزير الخارجية الأمريكي هيج حول ما سمعتُه من الرئيس المصري بالنسبة إلى النفوذ السوفييتي المتزايد والتصرفات الليبية، فأشار إليّ بالعمل مع وزارة الدفاع والمسؤولين العسكريين للبدء في تطوير علاقات عمل وثيقة مع الحكومة المصرية.

وبدأنا بدراسة أفكار عدة حول كيفية تركيز سياستنا على مصر في العالم العربي، من أجل الوصول إلى طريقة أفضل لنُجابِهَ معًا التهديدات السوفييتية المباشرة أو تلك الآتية من دول تتعاون مع موسكو مثل ليبيا. وبحلول صيف

١٩٨١ كنا قد انتهينا من إعداد مجموعة اقتراحات أمريكية سرية تتعلق بكيفية مواجهة السوفييت والقذافي.

وسافرتُ إلى القاهرة حاملًا معي هذه الاقتراحات برفقة السيد ويست من وزارة الدفاع، وقابلنا الرئيس السادات ونائبه السيد حسني مبارك، وحصلنا على موافقتهما للبدء بالتعاون العسكري بين الولايات المتحدة ومصر عن طريق إجراء مناورات عسكرية مشتركة. كان الهدف الأول من هذا التعاون المتطور الذي يتطلب انتقال طائرات قواتنا الجوية المسلحة إلى مصر للعمل مع طيرانها الحربي، رَدْعَ القذافي عن تهديده وتدخُّله في تشاد والسودان.

لكننا لم نكتفِ بالمناورات المشتركة. فقد أعددنا خُططًا عسكرية طارئة مع المسؤولين المصريين تقضي بتعاون مصر والولايات المتحدة لمواجهة أي هجوم تشنُّه ليبيا ضد السودان، أو أية أخطار وتهديدات ليبية موجَّهة ضد السودان وتشاد.

وتطور هذا التعاون المصري - الأمريكي خطوة خطوة، وتحوَّل إلى علاقة عمل وثيقة على الصعيد الاستراتيجي بين البلدين، لكنه ما لبث أن أُصيب بضربةٍ قاسية عندما اغتيل السادات في خريف ١٩٨١ . إلا أن الرئيس حسني مبارك عاد وتابع المسيرة ذاتها حتى يومنا هذا (١٩٩٢)، حيث هناك تعهُّد قوي من قبل الجانبين بتنسيق تعاونهما بالنسبة إلى سياسات المنطقة. والواقع أن الولايات المتحدة كانت تنظر دائمًا إلى مصر على أنها مركز الثقل الثقافي

والسياسي للعالم العربي، وقد عملت على تقوية علاقاتها معها بشكل وثيق وجيد منذ عهد السادات.[1]

في حديث للسيدة جيهان السادات خلال لقائها ببرنامج «العاشرة مساء»، قالت: إن «المادة ٧٧ من دستور ٧١، التي أعطت الحق لرئيس الجمهورية في الاستمرار في الحكم مدى الحياة، هي خطأ من أخطاء الرئيس الراحل، نافية ما يتردد عن أنها سبب تقديم النائبة فايدة كامل في مجلس الشعب طلبًا بتعديل المادة»، مؤكِّدة أن «السادات كان ينوي ترك الحكم بعد قضاء مدته، لأنه كان يرى أن دوره انتهى بعد تحرير أرض سيناء». وقالت زوجة الرئيس الراحل: إن «العقيد معمر القذافي طلب عقد اجتماع بعدد من ممثلي المرأة المصرية، وأمر السادات بعقد هذا الاجتماع، وبعدها فوجئ الجميع بأن القذافي طلب أن يكون هناك (تختة وطباشير)، وكتب عدة كلمات عن المرأة مثل (الحيض – الولادة – الحمل – البكارة)، وقال: إن المرأة لا تستطيع أن تعمل بسبب هذه الكلمات»، وأضافت جيهان: «إن جميع السيدات اللاتي حضرن هذا الاجتماع ضحكن بسخرية مما قاله القذافي، فيما ظلَّ الرئيس أنور السادات صامتًا، وانتقدت أمينة السعيد، الأديبة والكاتبة تصريحات القذافي»، وتابعت جيهان: «الرئيس السادات انهمر في الضحك عندما ركب سيارته في طريقه إلى استراحة القناطر، بسبب ما قاله معمر القذافي». وأشارت زوجة الرئيس

(١) عن صحيفة الحياة اللندنية. كابي طبراني. ٢٩ يونيو ١٩٩٢.

الراحل، إلى أن القذافي قال للسادات: إن أمينة السعيد ليست امرأة سوية لأنها «تشرب سجائر وخمرًا»، لافتة أنها قالت له: إن هذا أمر شخصي. ونوَّهت جيهان، بأن القذافي طلب منها يد ابنتها الصغيرة جيهان، وهي في الثانية عشرة من عمرها، لابن عمه أحمد قذاف الدم، مشيرة إلى أن القذافي جاء في زيارة مفاجئة مع زوجته، وطلب منها أن يتحدثا على انفراد؛ ليفاجئنا بهذا الطلب، وتابعت: «حتى لو كانت في العشرينيات مكنتش هوافق، ويبدو أنه كان زواجًا سياسيًّا يريد فيه تطويع رئيس مصر لصالحه».[1].

وعن هذه الواقعة يقول أحمد قذاف الدم: في أحد الأيام من رحلة القذافي للقاهرة، وفي أثناء حفل تكريم أبطال الجيش الثالث عام ١٩٧٤، توجَّه الأخ معمر للرئيس السادات كي يخطب لي ابنته جيهان. ولم أكن أدري عن هذا الموضوع شيئًا، كان القذافي يجلس مع السادات والسيدة جيهان زوجته في بهو قصر الطاهرة شرق القاهرة، بينما كنتُ أنا في أحد صالونات القصر، كانوا يتحدثون ولا أعلم عن حديثهم شيئًا، كما أنني لم أكن أفكِّر أصلًا في الزواج، وفي تلك اللحظة جرى استدعائي للحضور، جاءني أولًا سكرتير الرئيس القذافي للمعلومات المرحوم صالح بوفضل، وقال لي: مبارك، سنزوجك، فسألتُه: خيرًا إن شاء الله، فقال لي: لا، سيخبرك أخوك، يقصد الرئيس معمر القذافي، وحين وصلتُ قال لي الأخ معمر: سنتكلم مع الرئيس السادات

---

(١) محمد عاشور. مقال. صحيفة الوطن المصرية. في ١٨ سبتمبر٢٠١٣.

والسيدة جيهان، وسنخطب لك ابنتهما جيهان ونزوجك. وكانت جيهان صغيرة السن، وهو أمر معلوم بالفعل، وقال الرئيس السادات بلهجته المصرية المميزة: دي لسا صغيرة.. ما زالت صغيرة.. وكان القذافي على ما يبدو يريد زواجًا سياسيًّا. لكي يكسر هذا الحاجز الذي تكوَّن بين السادات والقذافي، بعد حرب ١٩٧٣، وأن نقترب من بعضنا البعض، لأن حالة من الشك بدأت تسود، ويسود معها الظنُّ أن معمرًا لديه موقف من السادات، وأن معمرًا يخوِّن السادات»[١].

كما كشف أحمد قذاف الدم، الذي عمل وتعامل مع العقيد الليبي الراحل، معمر القذافي، نحو نصف قرن من الزمان، ولأول مرة، عن أسرار المفاوضات في البيت الريفي للرئيس المصري الراحل أنور السادات[٢]، من أجل إنهاء الحرب المصرية الليبية التي وقعت عام ١٩٧٧. ويتطرق قذاف الدم في ١٠ حلقات مع «الشرق الأوسط» إلى العديد من المواقف والأسرار والملابسات، وذلك منذ أن استضافت أسرته التلميذ معمر القذافي، ابن عمه، للدراسة الابتدائية والإعدادية في مدرسة سبها المركزية في جنوب ليبيا، في أواخر خمسينيات القرن الماضي، وحتى العمل معه مبعوثًا خاصًّا ومنسقًا للعلاقات،

---

(١) عبد الستار حتيتة. قذاف الدم يتحدث. بعد نصف قرن مع القذافي، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٥.

(٢) في قرية ميت أبو الكوم. مركز تلا، محافظة المنوفية.

ومندوبًا لإطفاء الحرائق التي تشتعل أحيانًا هنا وهناك، وكان آخرها حريق «انتفاضة فبراير المسلحة» التي شارك فيها حلف «الناتو» وأنهى حكم معمر في مسقط رأسه في سرت في مشهد مأساوي في خريف ٢٠١١.(١)

الحقيقة لا يجب إهمال دور معمر القذافي في تشكيل جبهة الصمود والتصدي التي حاولت التصدي لمعادة الصلح التي أجراها السادات ووقَّعها مع الإسرائيليين، والمعروفة إعلاميًّا باسم معاهدة كامب ديفيد.

وقد روى عبد المنعم الهوني لغسان شربل في كتابه «في خيمة القذافي» أن القذافي استقال من قيادة مجلس الثورة الليبي عام ١٩٧٠ بعدما اختلفنا معه حول بعض المسائل الداخلية، وسافر بأسرته وزوجته إلى القاهرة. وأقام في القاهرة ١٥ يومًا، ولم نعرف إلا وهو في المطار، وقال للرئيس السادات: أنا جئتُ لأُقيم عندكم كمواطن عادي، فتح له السادات أبواب الاتحاد الاشتراكي، والوسط الثقافي، وهيئة تحرير الأهرام والأخبار وروز اليوسف، ومختلف المنابر، وأجرت تلك المنابر الإعلامية حواراتٍ معه، حاول القذافي أن يدرس أوضاع مصر، وكان السادات يريد أن يدرس أوضاع القذافي شخصيًّا.



(١) صحيفة الشرق الأوسط. ٢١-سبتمبر ٢٠١٤ مـ العدد ١٣٠٨١.



الفصل الخامس

القذافي في حرب أكتوبر

الحقيقة التي لا ينكرها أحد، أن مساعدة ليبيا لمصر بعد نكسة عام ١٩٦٧، بدأت في عهد الملك الراحل محمد السنوسي.

وبعد نكسة ١٩٦٧، ومع محاولة جمال عبد الناصر بناء القوات المسلحة، نُقلت بعضُ الوحدات العسكرية إلى ليبيا والسودان، كان ذلك في أيام الملك السنوسي.

وفي مؤتمر قمة الخرطوم الشهيرة، كانت ليبيا واحدة من دول ثلاث، (كانت الدولتان الأخريان الكويت والسعودية)، قد قررت دعم مصر بما يوازي دخل قناة السويس، ولم يكن جمال عبد الناصر يتوقَّع أو حتى يطمع في أكثر من خمسة ملايين أو عشرة ملايين من الجنيهات، فقد قرَّر الملك فيصل أن يدفع خمسين مليونًا من الجنيهات، وبروحه الرقيقة ومودَّته الغامرة طلب من الكويت أن تدفع خمسة وخمسين مليونًا، وأن تدفع ليبيا ثلاثين مليونًا.

المعروف أن القذافي ظهر في نهاية عام ١٩٦٩، تحديدًا في الأول من سبتمبر، كان وقتها جمال عبد الناصر منهمكًا في استعادة دور القوات المسلحة، وتسليح الجيش، وإعداد البلاد للمعركة، في تلك الفترة ظهر القذافي. وأبدى استعداده للمشاركة في المعركة.

احتاجت مصر إلى السلاح، وكان لا بد لها أن تشتريه من الاتحاد السوفييتي نقدًا وبالعملة الصعبة، ولم يجد جمال عبد النصر زعيمًا عربيًّا يتجه إليه سوى الملك إدريس السنوسي، وقرَّر السوفييت أن المبلغ المطلوب عشرون مليونًا، وأرسل الملك إدريس ناظر الخاصة الملكية شيكًا بمبلغ عشرة ملايين من الجنيهات كدفعة أولى، على أن يدفع باقي الثمن خلال ثلاثة شهور، أي بعد أن تدفع شركات البترول ما عليها من أقساط للجانب الليبي، ولم يتردد الملك السنوسي لحظة واحدة ولا فكَّر ولا تردَّد، بل استجاب فورًا [1].

ويقول الرئيس السادات: من الإنصاف أن أقول: إن الرجل الطيب الملك إدريس السنوسي، لم يلقَ ما يستحقه من التقدير والامتنان، فالرجل كان مَحسوبًا ضمن ذلك» التصنيف الملعون» [2]. أو ضمن المغضوب عليهم والضالين. فقط كان ملكًا؛ ولذلك كان رجعيًّا وخائنًا. إلخ.

---

(١) أنيس منصور، من أوراق السادات. دار المعارف. القاهرة ١٩٨١.

(٢) كان هناك تصنيف يقول: العرب إما تقدميون وإما رجعيون، وهي كلمات ليست واضحة في قواميس السياسة الحديثة، وهناك تصنيف آخر: ممالك وجمهوريات وإمارات ومشايخ، وهناك تصنيف ثالث: من يقفون وراء فلسطين، وهناك من يوقفون سيرها، ويجتهد هواة السياسة في إطلاق تلك التسميات على الدول العربية، ويجيء إطلاق التسميات على الدول العربية مثل إطلاق الرصاص مدوِّيًّا وداميًا وظالمًا أيضًا، دول النفط استحقت وحدها كل اللعنات؛ فهي الرجعية والمتخلِّفة المتجاهلة لقضية فلسطين، ولذلك نحذف من القوى والطاقات العربية جانبًا كبيرًا نحن في حاجة إليه، وكانت الكويت والسعودية وليبيا قد استحقت أن تكون قمة الرجعية، وكانت الحملات عليها قاسية. أنيس منصور، من أوراق السادات. دار المعارف. القاهرة ١٩٨١.

ولكن عندما اتجه إليه جمال عبد الناصر قبل حرب يونيو يطلب ثمن الدبابات الذي حدَّده الروس دفع عشرة ملايين على أن يدفع الباقي بعد ثلاثة شهور.

وقامت ثورة ليبيا قبل أن يَدْفَع، وكان مريضًا يُعالج باليونان.

في حقيقة الأمر لا يمكن إغفال فضل القيادة الليبية قبل الفاتح من سبتمبر في الاستعداد للمعركة. ولكن الملك السنوسي كان قد اتخذ موقفًا قوميًّا مناصرًا لثورة الجزائر، وكان دور مصر معروفًا في مساندة ثورة الجزائر، وما قدَّمته مصر للثورة الجزائرية، فقط كان هناك طريقان لتوصيل السلاح إلى الجزائر من مصر، إما بطريق البحر، وإما عن طريق الصحراء الليبية، وهو الطريق الأضمن، خصوصًا بعد أن ضُبطت سفينة «أوتس» التي كانت تحمل أسلحة للجزائر قيمتها مليونان من الدولارات، فقد تسربت أخبارها قبل خروجها من الإسكندرية، وكانت سفن كثيرة قبلها قد حملت السلاح، ووصلت به سالمة آمنة إلى ثوار الجزائر، ولذلك كان الطريق البري أفضل.

ولم يطلب جمال عبد الناصر مرة واحدة من ملك ليبيا أن يمرَّ السلاح عَبْرَ بلاده إلا ووجد ترحيبًا شديدًا وموافقة. ومرت الأسلحة عبر ليبيا بالرغم من وجود قوات أجنبية على الأرض الليبية، وبالرغم من أن بريطانيا وأمريكا عضوان في حلف الأطلنطي مع فرنسا التي يحاربها الجزائريون، وأكثر من ذلك أن جمال عبد الناصر طلب تخزين الأسلحة على الحدود الليبية

الجزائرية، جنوب تونس لكي تتمكن القوات الثورية في الجزائر من الحصول على العتاد في الوقت الذي تريد.

بدأت معركة البترول في نهاية عام ١٩٦٩، بمجرد وصول القذافي للحكم، وخلال عام نجحت القيادة الليبية في رفع سعر برميل البترول، وبذلك ضربت مثلًا لباقي الدول المنتجة.

في ليلة عيد الميلاد عام ١٩٧٠، وقع حادث في فرنسا، كان له تأثير مباشر في قيام الرئيس القذافي بإرسال أسلحة فرنسية.

بينما كان ميناء شربورج الفرنسي غارقًا في بهجة احتفالات عيد ميلاد المسيح، وبالتواطؤ على الأرجح مع سلطات المدينة والميناء، تسلَّلت خمسة زوارق صغيرة في هدوء، يقودها ضباط وبحارة من الأسطول الإسرائيلي إلى خارج الميناء، ثم اندفعت في طريقها إلى الأطلنطي. ثم دخلت البحر الأبيض المتوسط. حيث تولت سفن الأسطول الإسرائيلي حمايتها حتى وصلت إلى إسرائيل، كانت تلك الزوارق ضمن صفقة أسلحة تعاقدت عليها إسرائيل مع فرنسا قبل عام ١٩٦٧، وتمت صناعتها بعد الحرب بقليل، ولكن فرنسا رفضت تسليمها تنفيذًا لقرار حظر تصدير الأسلحة لإسرائيل الذي أصدره شارل ديجول رئيس الجمهورية. قبل فرار الزوارق الخمسة، كانت فرنسا قد باعت سبعة زوارق لإحدى شركات دول الشمال، اتضح فيما بعد أنها شركة كوَّنتها المخابرات الإسرائيلية، وتمكَّنت عن طريقها من استرداد الزوارق،

تواردت الأنباء عن الحادث صباح ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩، وشعرت فرنسا بالضغوط عليها. وفي يناير ١٩٧٠ قررت فرنسا أن تبيع مائة طائرة ميراج إلى ليبيا، التي لم تكن لاعتبارات عسكرية في حاجة إليها، كما لم تكن لليبيا مقوِّمات تشكيل قوة جوية ذات فعالية قتالية[١].

وهو ما ذكره أمين هويدي في كتابه: «أمين هويدي وعبد الناصر» عن تلك الواقعة فقال: ولكن تدخل الحظُّ فجأة وحدثت ثورة «الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ بقيادة الأخ «معمر القذافي»، وسعى الرجل في استماتة حتى تيسَّر له في أوائل عام ١٩٧٠ الحصولُ على صفقة فرنسية وافق عليها الرئيس الفرنسي بومبيدو، وتتعلق بشراء ليبيا مائة طائرة ميراج يتم توريدها على أربع سنوات، وتم الحصول على عددٍ من هذه الطائرات، وُضعت تحت تصرُّف القيادة المصرية ... وأصبح لدى مصر سلاح رادع في مقدروه ضرب إسرائيل في العمق، وكان هذا من أخطر التطورات الاستراتيجية في الصراع الدائر، وأصبحت مصر قادرة على «رد الفعل»، وبذلك كسرت القاهرة بفضل سياستها العربية الجناح الآخر من معادلة «الردع»، ويرجع الفضل في ذلك إلى «معمر القذافي،» وأقول هذا للتاريخ .

وقد تحدث هنري كيسنجر في كتابه: «سنوات البيت الأبيض» عن ذلك في أثناء حديثه عن زيارة الرئيس الفرنسي بومبيدو للولايات المتحدة في نهاية

(١) محمد حافظ غانم. أمن مصر القومي في عصر التحديات. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة ١٩٨٧.

فبراير ١٩٧٠، وكيف استُقبل الرجل هو وزوجته استقبالًا سيئًا من العناصر اليهودية لموافقته على عقد تلك الصفقة.

ويقول بالنص: ولم يكن لدى ليبيا الطيارون الذين يقودون هذه الطائرات، وأصبح من الواضح أنها اشترتها لصالح دولة أخرى من المحتمل أن تكون مصر، «ولم يغفر بومبيدو قط للولايات المتحدة استقبالها السيئ له؛ مما أثَّر في العلاقات بين البلدين.»

موضوع ميثاق طرابلس والوحدة التي عصفت بمراكز القوى.

في فبراير ١٩٧٣ أسقطت إسرائيل طائرة ليبية مدنية في صحراء سيناء، وهو الحادث الذي طالَبَ القذافي على أثره السادات بفصل اللواء حسني مبارك من منصبه قائدًا للقوات الجوية، بسبب الإهمال، الأمر الذي رفضه السادات آنذاك، مما لاقى قبولًا شعبيًّا واسعًا لدى المصريين، بسبب النبرة المتعالية التي وجَّه بها القذافي طلبه.[١]

في يونيو ١٩٧٣ زار العقيد القذافي مصر. وأبلغه الرئيس السادات أنه لا يمكنه السير في اتجاه الوحدة، فقدَّم القذافي استقالته، ليتيح لجماهير الشعب فرض الوحدة بالقوة، وخلال زيارته للقاهرة، واجتماعاته بمختلف أجهزة الدولة ومؤسساتها، عجز القذافي عن إقناع أحد بآرائه. وفي واحدة من تلك

---

(١) موقع المعرفة، العلاقات المصرية الليبية. www.marefa.org

اللقاءات قلت له: (محمد حافظ غانم) «إن الوحدة هي المستقبل، ولهذا تأتي بعد المعركة. وتقترن بإعادة بناء مصر بعد أن تُنهي نزاعها مع إسرائيل».

وعاد القذافي إلى ليبيا، لتنظيم مسيرة شعبية بالقاهرة لمطالبة الرئيس المصري بتقرير الوحدة، وفي القاهرة تقرَّر وقف تلك المسيرة عند مرسى مطروح، حيث تم استقبالها وإيواء عشرات الألوف الذين قبلوا إرسال ممثلين عنهم لمقابلة الرئيس في القاهرة[1] .

على الرغم من اختلاف المواقف بين الرئيس المصري أنور السادات والزعيم الليبي معمر القذافي، في أعقاب رحيل جمال عبد الناصر وما اعتبره القذافي يومها انحرافًا من السادات عن النهج الناصري سياسيًّا واقتصاديًّا، فإن القذافي قد شارك بقوة في الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣، وله من نصرها نصيب كبير.

وَضَعَ القذافي يومها، الإمكانات المالية الليبية الهائلة تحت تصرُّف الجيش المصري، وغطَّى كل النقائص اللوجستية والعسكرية لتأمين الحرب، وتأمين العبور نحو ضفة الانتصار خلف خطوط العدو.

كانت ليبيا بمساحاتها الشاسعة وإمكاناتها المادية والجغرافية الهائلة تعتبر عُمقًا استراتيجيًّا مهمًّا لجمهورية مصر العربية، وهذا ما تطابقت حوله

---

(١) محمد حافظ غانم. أمن مصر القومي في عصر التحديات. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة ١٩٨٧.

وجهات النظر بين القيادتين في البلدين، خصوصًا في عهد الثورة بالنسبة لليبيا، ومن هذا الأساس كانت ليبيا في مستوى المسؤولية التي وضعتها على عاتقها وعاتق شعبها، فساهمت بما تستطيع لدعم المجهود الحربي المصري، وبفعل الدعم العربي للمجهود الحربي في كل من مصر وسوريا تحقَّق النصر في حرب السادس من أكتوبر المجيدة التي سجلت أول انتصار على قوات العدو الصهيوني.

تمثَّل الدعم الليبي لملحمة العبور التاريخية في الآتي:

أولًا: القوات البرية:

٣٠٠ دبابة – ٤٧ ناقلة جنود مدرعة – ١١٠ سيارات شحن – ٣٣ مدرعة استطلاع – ٨ عربات مجنزرة خاصة بالإنقاذ–رافعات مختلفة – مستشفى ميداني كامل المعدات– ٨ مدافع ميدان ذاتية الحركة عيار ١٥٥ ملم – عربيتا قيادة– ١١ مدفعًا عيار ١٠٥ ملم.

ثانيًا: الدفاع الجوي:

٢٨ مدفعًا رباعيًّا شيلكا – ١٢ مدفعا عيار ٢٣ ملم (م ط) – ٢٤٠ صاروخ (استريلا) – سرية صواريخ كورتال فرنسية الصنع .

ثالثًا: السلاح الجوي:

٧٠ طائرة ميج ٢١ – ٥٤ طائرة ميراج ليكوِّنا سربين، أحدهما يقوده طيارون مصريون، والآخر يقوده طيارون ليبيون – قطع غيار للطائرات –

طائرات عمودية مع قطع غيارها – ذخيرة طائرات وصواريخ – معدات استطلاع جوي.

رابعًا: السلاح البحري:

معدات غواصات – أجهزة رادار بحرية – أجهزة إلكترونية بحرية.

خامسًا: سلاح الإشارة:

عدد ٥ محطات لا سلكية متحركة.

سادسًا: التسليح:

٦٣ مدفع هاون مختلفة الأعيرة بذخائرها – ٧٩ قاذفة للصواريخ مع ٥ آلاف صاروخ – ٩٣ مدفعًا رشاشًا – (٣٠٠٠) بندقية – عتاد بنادق ورشاشات – ٢٦ ألف قنبلة مدفعية.

وبخصوص الدعم الليبي لسلاح الجو المصري يقول سعد الدين الشاذلي، قائد أركان الجيش المصري وأحد مخططي معركة العبور، في مذكراته: «إنه عند قيام الحرب، كانت القوات الليبية المتمركزة في مصر عبارة عن سربي ميراج، أحدهما يقوده طيارون ليبيون، والآخر يقوده طيارون مصريون، ولواء مدرع.

وكذلك ساهمت ليبيا في دعم البحرية المصرية بمعدات، وأجهزة رادار بحرية، وأجهزة إلكترونية بحرية. وقد قامت ليبيا بشراء القوارب المطاطية

التي عَبَرَ بها الجنودُ المصريون قناة السويس من إيطاليا. وعدد ٥ محطات لا سلكية متحركة. ٦٣ مدفع هاون مختلفة الأعيرة بذخائرها، ٧٩ قاذفة للصواريخ مع ٥ آلاف صاروخ، ٩٣ مدفعًا رشاشًا، (٣٠٠٠) بندقية، عتاد بنادق ورشاشات، ٢٦ ألف قنبلة مدفعية.

وقد شاركت ليبيا بقوات عسكرية في الميدان كان يقودها، القائد العام الحالي للجيش الليبي، خليفة حفتر، الذي حاز في أعقاب الحرب نوط نجمة العبور المصرية، التي تُمنح للضباط الذين ساهموا في عبور قناة السويس. كما تكفَّلت ليبيا بتغطية احتياجات مصر التموينية طوال فترة الحرب[١].

قصة الميراج في مصر.

تلك القصة ذكرها موقع المجموعة «٧» مؤرخين.

بدأ الزعيم الليبي الجديد مُعمّر القذافي بناء قوّاته المُسَلَّحةِ فورًا استلامه الحكم في ليبيا، بعد انقلابٍ عسكري ضدّ الملكِ إدريس في سبتمبر ١٩٦٩، وفي خلال شهور قليلة فقط أجبر الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة على سَحْب قوَّاتها من البلادِ بحلول مارس ١٩٧٠؛ تاركتين بِضْعَ طائرات مقاتلة وطائرات للنقل، وتم بِيعُها إلى تركيا لاحقًا، وأصبحتْ ليبيا بلادًا مُصدِّرة للنفط أيضًا الذي ارتفع سعرُه بشكل ملحوظ.

(١) بوابة أفريقيا الإخبارية. ٦ أكتوبر ٢٠١٨. https://www.afrigatenews.net/article

كان القذافي قد بَدأَ مفاوضاتَ مَع فرنسا في نوفمبر ١٩٦٩ لشراء كميات كبيرة من الأسلحة الفرنسية المتقدمة، حيث كان يحلم بتكوين جيش ليبي قوي مزوَّد بأسلحة متقدمة وخاصة في مجال القوات الجوية.

وكان أكبر اتفاق بين ليبيا وفرنسا هو الاتفاق على تزويد ليبيا بأكثر من ٥٠ طائرة مقاتلة قاذفة من نوع ميراج ٥ الفرنسية الشهيرة المعروفة بقوَّتها وتقدُّمها وحُسن مناورتها الجوية، وهي بالطبع موجودة في سلاح الجوي الإسرائيلي، وأدار الصفقة وقتها طيار مصري أرسله الزعيم جمال عبد الناصر مع مجموعة طيارين مصريين آخرين لمساعدة ليبيا في التعاقد والتوقيع على الصفقة؛ نظرًا لعدم وجود كوادر ليبية وقتها للتعامل مع مثل هذه الأمور.

تَضمّنَ الطلبُ الليبيُّ أيضًا أجهزة مُحاكاة وكميةَ هائلة مِنْ قطع الغيار، وأجهزة ومعدات خدمة أرضية مُخْتَلِفة، وذخائر وصواريخ وقنابل للَطائرات الجديدة.

تسلَّمت ليبيا بمقتضى الصفقة طائرات ميراج ٥ المقاتلة القاذفة، وطُلب فيما بعد سرب آخر إضافي من المقاتلات الميراج ٥ الاعتراضية.

استعاضت إسرائيل عن هذه الطائرات بطائرات أمريكية من طرازي سكاي هوك وفانتوم.

بالرغم من أن طائراتِ الميراج الأولى لَمْ تَصلْ ليبيا قبل ١٩٧١ (حيث دخلت الخدمةَ فعليًّا) وقد حلَّقت طائراتِ الميراج في أوقاتِ سابقةِ بين ٢٨

أغسطس و٤ سبتمبر ١٩٧٠، فقد طار تشكيل من خمس طائرات فرنسية ثنائية المقاعد صُبِغتَ بالعلاماتِ الليبيةِ للعرض في الذكرى الأولى لنشأة الجمهوريةِ العربيةِ الليبية. وهذه الطائرات طارت بواسطة الأطقم المُخْتَلطةِ فوق طرابلس في هذه المناسبةِ، مَع كل طيار مصري في كابينة القيادة الأماميةِ طيار فرنسي في المؤخّرةِ.

السبب الرئيسي لظهورِ الطيارين المصريين في طائراتِ الميراج الليبيةِ أنّ هؤلاء الطيارين أُمِروا بذلك، حيث ذهب بعض الطيارين المصريين من القوات الجوية المصرية (١٠ طيارين ثم ٦ طيارين ثم ٤ طيارين في ما بعد) من أطقم القاذفات المصرية الميج ١٧ والسوخوي ٧ لفرنسا بأوراق سفر ليبية حتى يتم تدريبهم على طائرات الميراج، على أنهم طيارون ليبيون وليسوا مصريين، وباقي طياري مصر تم تدريبهم بعد ذلك في ليبيا، ولقد سافر الفوج الأول من الطيارين المصريين، إلى فرنسا في أواخر عام ١٩٧١، أما باقي الطيارين فقد سافروا إلى ليبيا في عام ١٩٧٢ (لحقت بهم أُسرهم بعد ذلك في ليبيا)، حيث إن القوات الجوية الليبية وقتها كانت في طور التكوين، وعدد أفرادها كان ٤٠٠ ضابطَ، وليسوا كلهم طيارين، فمن المؤكَّد أن الليبيين لم يكن عندهم طيارون بأعداد كافية للطيران بالميراج الجديدة.

بحلول صيفِ ١٩٧٣ أصبح معلومًا للجميع أن طائرات الميراج الليبية موجودة وعاملة في القوات الجوية المصرية، فاحتجَّت إسرائيل على

ذلك، وطالبت فرنسا أَنْ تَتوقّفَ عن تَصدير المقاتلات إلى ليبيا. وقد أعلن الفرنسيون رسميًّا احتجاجهم أيضًا، وهدَّدوا بتَوَقُّف تسليمِ الطائرات إلى ليبيا إذا أرسلت ليبيا أي طائرات ميراج إلى مصر.

في حديث مع إحدى الصحف الغربيةِ، ذَكرَ الزعيم الليبيُّ أنّ طائرات الميراج الخاصة بالقوة الجويةِ العربيةِ الليبيةِ كَانتْ تُستَعملُ لتَدريب طياري القوات الجويةِ المصريين، وكَانتْ تحت سيطرتِه الكاملة. والحقيقة المعروفة حاليًا ومن أول يوم لوصول الطائرات لمصر أن كُلّ طائرات الميراج الليبية كَانتْ تحت السيطرةِ الكاملةِ للقوات الجويةِ المصريةِ. ويبدو أن المشروعَ الكاملِ لشراء ليبيا للميراج كان بتدبير وإدارة مصرية كاملة من البداية، للحصول على سلاح غربي متقدِّم يوازي ما هو موجود عند إسرائيل، ولبناء القوات الجوية المصرية على أعلى مستوى للتجهيز لحرب أكتوبر. وبدلًا مِن الطيارين الليبيين ذَهبَ طيارون مصريون إلى فرنسا بجوازاتِ سفر لليبيةِ للتَدْريب على الميراج ٥ الجديدة وأكملَ الطيارونَ المصريونَ الأوائلُ تدريبهم في فرنسا في أكتوبر ١٩٧١. تم اختيار الطيارين من مصر على أساس الخبرة، والكفاءة الكبيرة، وعدد ساعات الطيران العالية (نحو ١٥٠٠ ساعة طيران في المتوسط لكل طيار مصري ذهب للتدريب على الميراج)، وتم اختيارهم من أطقم قتال المقاتلات القاذفات من نوع السوخوي ٧ والميج ١٧ نظرًا لأن الموديل الذي سيطيرون عليه كان موديل القاذفة من الميراج، ومن ثم تتوافر لديهم الخبرة الكبيرة في هذا المجال، ومن هؤلاء الطيارين مَن شارك

في حرب الاستنزاف ضد إسرائيل، واشتبك مع القوات الجوية الإسرائيلية، وقصف مواقع دفاع جوي إسرائيلية، مثل مواقع نظام هوك للدفاع الجوي، أي إن الطيارين المصريين كان عندهم خبرة قتالية كبيرة جدًّا، أيضًا سافرت إلى ليبيا أطقم المهندسين والفنيين المصريين للتدريب على طائرات الميراج الجديدة وإصلاحها وتسليحها وصيانتها.

تقول إحدى الروايات المثيرةِ: حين كان الطيارون المصريون يتدرّبون على طائراتِ الميراج في فرنسا كَانَت هناك مُناقشة مَع عِدّة طيارين منهم، والمفروض أنهم من ليبيا، وكان معهم مترجم فرنسي تكلَّم ببعض الكلمات الروسية، واثنان مِنْ طلابِه وَجدوا هذا مضحكًا جدًّا. المدرب الفرنسي فَطِنَ إلى هذا الأمر، ووَجدوا هذا لا يتماشى مع الليبيين الذين لا يُمْكِنُ أَنْ يَتكلّموا اللغة الروسية، فضلًا عن أنه في ذلك الوقت لم يكن هناك تعاون عسكري بين ليبيا والاتحاد السّوفييتي نهائيًّا، ولذلك سَألَ نفسه: ما الذي جعل هؤلاء الطيارين يَتعلّمونَ اللغة الروسية؟ على الأغلب عَرفَ المدرب الفرنسي بالضبط من كان يُدرِّب، فقد أيقنَ أنه يُدرِّب مصريين، ومع ذلك وَجدَ الفرنسيون أنفسهم تحت ضغطٍ لتسليمِ طائراتِ الميراج إلى ليبيا حسب الاتفاق والصفقة المبرمة، ومصر بعد ذلك، وسبحان الله مُصرِّف الأمور.

من الأمور الأخرى أنه حين كان يسأل الفرنسيون الطيارين المصريين في ليبيا عن عدد ساعات طيرانهم، كانت إجابتهم المتفق عليها بين الجميع

أنها لا تتعدى ٣٠٠ ساعة طيران في المتوسط، وهذا رقم ضعيف جدًّا للطيار، يدلُّ على أنه طيار مبتدئ. ولكن عند تدريب الطيارين الفرنسيين للطيارين المصريين، ثبت للفرنسيين أنهم أمام طيارين أقوياء، وأن عدد ساعات طيرانهم أعلى بكثير من ما يقولون، وأن لديهم خبرة كبيرة بالطيران بالقاذفات. واتضح لهم استيعاب الطيارين المصريين الكبير لكيفية استخدام الميراج بخلاف نظرائهم الليبيين، ولوحظ أيضًا أن الطيارين المصريين كانوا على علاقة وُدٍّ وتفاهُم وتقارُب كبير مع الفرنسيين، من جانب آخر كانت علاقتهم مع الطيارين الليبيين والباكستانيين تسودها علاقة الود والتفاهم والتقارب نفسها، والحقيقة أن الطيارين الفرنسيين كانوا في غاية التفاهُم والتعاون التام مع نظرائهم المصريين، وقدَّموا لهم كل المراجع والكُتب العلمية التي تتحدث عن طائرة الميراج وتشرح كيفية استخدامها بكل التفاصيل ، وقدَّم الفرنسيون الدعم الكامل والخبرة للمصريين في التدريب، وأسدوهم النصح والإرشاد لاتِّباع الأسلوب الأمثل لضرب الممرات والقواعد الجوية الخاصة بالعدو، وكيفية استخدام ذخائر الميراج وقنابلها الاستخدام الأمثل.
ولقد أخبر أحدُ الطيارين الفرنسيين الطيارين المصريين أن قنابل الميراج الحالية الموجودة في ليبيا غير مخصصة لضرب ممرات المطارات، ولن تكون مؤثرة جدًّا في هذه العملية العسكرية؛ فقد أحسَّ الطيار الفرنسي أن المصريين سيضربون المطارات الإسرائيلية، وكان عنده شعور كبير بهذا، نظرًا لأن المطارات أول ما يُضرب في بداية الحروب الحديثة[1].

---

(١)اللواء محمد عكاشة. مقابلة شخصية مع القائد الثاني للسرب ٦٩ في حرب أكتوبر.=

ولكن الغريب واللافت للنظر أن الزعيم الليبي معمر القذافي استدعى قُوَّاته في أول يوم لنشوب الحرب، وهو تصرُّف غير مُبرَّر. وقد كشفت الكاتبة الصحفية سكينة السادات[1] شقيقة الرئيس الراحل أنور السادات عن السبب الحقيقي الذي جعل القذافي يُقدِم على هذا التصرف الغريب، حيث قالت إنها كانت في المملكة العربية السعودية يوم الخامس من أكتوبر سنة ١٩٧٣، تلبية لدعوة وجَّهتها بعض دول جنوب شرق آسيا لبعض الصحافيين لزيارتها، وبعد أدائهم للعمرة هناك، عادوا إلى مصر عن طريق ليبيا، وفي أثناء وجودهم في ليبيا وجدت الزعيم الليبي قد سحب قواته من مصر اعتراضًا منه على عدم تشاوُر الرئيس الراحل السادات معه بشأن الحرب، مؤكِّدة أن السادات رفض إطلاع القذافي على أي خطوة يقوم بها كما كان يريد القذافي[2].

=موقع المجموعة ٧٣ مؤرخين. / حرب-أكتوبر/ ١٣٤.

http://group73historians.com

قصة-الميراج-في-مصر.

(١) كاتبة وصحفية مصرية.. عملت في دار الهلال ومجلة المصور (القاهرية)، وهي شقيقة الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات الذي كان هو نفسه صحافيًّا قبل ثورة ١٩٥٢ وبعد الثورة ترأس تحرير «جريدة الجمهورية».. تحمل شهادة الليسانس، قسم اللغة العربية من جامعة القاهرة، وقد تزوجت بالموسيقار عبد الحليم نويرة صديق شقيقها، وهي لم تزل طالبة.

(٢) أسماء ربيع. في أخبار مصر.

ربما حدث ذلك بعد أن مُنِعَ القذافي من دخول غرفة العمليات الرئيسية في أثناء اندلاع المعارك.

وزير خارجية ليبيا الدكتور علي عبد السلام التركي، ذكر في مقابلة صحفية أجراها معه غسان شربل في صحيفة الحياة اللندنية يوم ٢٣ يونيو ٢٠١٢، قال:

– كان القذافي يستقبل وزير الدفاع في غينيا كوناكري حين أُبلغ باندلاع حرب ١٩٧٣، فسارع إلى القول: «بدأت المسرحية». كان القذافي مطلعًا على وجود استعدادات للحرب، وقدَّمت ليبيا بعض المساعدات لمصر، بما فيها قوارب استُخدمت في العبور، لكنه لم يكن مطلعًا على موعد الحرب، وكان لديه شعور بأنها مُدبَّرة. على رغم ذلك انتقل القذافي إلى القاهرة وزار غرفة العمليات. استنتج معمر أن الجيش المصري لم يهزم عسكريًّا بل بسبب القرار السياسي المصري. حينها بدأ التوتر في العلاقات الليبية المصرية، وبلغ مرحلة الصِّدام على الحدود. أنا في الحقيقة كنت أرى القطيعة مع مصر مخاطرةً مهما تكن الخلافات مع النظام القائم فيها. بوساطة من الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري التقيتُ نائب رئيس الوزراء المصري حافظ غانم في كوناكري والتقيتُ الدكتور محمد رياض وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية بمبادرة من أياديها رئيس توجو. القطيعة العربية مع مصر كانت من القرارات المُكلِّفة. في أول قمة للصمود والتصدي صغتُ مع عبد العزيز

بوتفليقة - وكان وزيرًا لخارجية الجزائر - بيانًا قلنا فيه: إن الأمة العربية ضعيفة بلا مصر، ومصر لا شيء بلا الأمة العربية.

روى الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل أن القذافي في آخر لقاء بينهما في مكتبه بجريدة (الأهرام) ظُهر يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ جاءه غاضبًا مُعاتبًا؛ لأن المشير (الراحل) أحمد إسماعيل علي وزير الحربية، مَنَعَه من دخول غرفة العمليات ليعرف تفاصيل الموقف العسكري والأوضاع على الجبهة العسكرية في سيناء يوم ٢٢ أكتوبر، واشتكى الإهانة التي تعرَّض لها، والحرج الذي وجده لدى القائد العام، رغم أنه اتصل بالرئيس السادات لدى وصوله إلى القاهرة، وطلب منه السماح له بدخول غرفة العمليات.

وفي رأي هيكل، إن القذافي له الحق كونه صديقًا موثوقًا به وجارًا مباشرًا استُخدمت أرضه عُمقًا استراتيجيًّا للجهد العسكري، وفوق ذلك شريكًا في المعركة، حيث قدَّمت ليبيا قبل الحرب مباشرة وفي عام ١٩٧٣ مليار دولار ثمن أسلحة، من ضِمنها القوارب المطاطية التي عَبَرَت بها الموجةُ الأولى من القوات المصرية قناةَ السويس إلى سيناء. وروى هيكل أنه تحيَّن الفرصة ليخرج متعلِّلًا للقذافي بعمل عاجل يتطلب حضوره في صالة (الأهرام)، وخرج ليهاتف السادات الذي تمسَّك بموقفه لأن (معمرًا سوف يحكي لطوب الأرض عما يرى في غرفة العمليات...) بنص كلمات السادات كما رواه هيكل.[1] .

(١) صحيفة البيان الإماراتية. الأول من مايو ١٩٩٩.

والواقع أن خلافات السادات مع القذافي قد تصاعدت بعد انتهاء حرب ١٩٧٣ وبدء مفاوضات الكيلو ١٠١ بين مصر وإسرائيل، بإشراف الأمم المتحدة للوصول إلى تحديد خطوط وقف إطلاق النار، بدأت نُذُر الخلافات بين العقيد القذافي الذي كان عمره لا يتجاوز ٣١ عامًا، والرئيس السادات المخضرم في الحروب والثورات والسياسة. شَعرَ القذافي أن الأمور يمكن أن تتفاقَم، وبدا من تصرفاته أنه لا يريد أن يخسر القاهرة، وفي الوقت نفسه كان موقفه أكثر ميلًا للموقف الرافض لطريقة التفاوض الذي يتبنَّاه الفريق سعد الدين الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في ذلك الوقت.

وأخذ القذافي ينتقد أولًا إجراء مفاوضات الكيلو ١٠١ على الأرض المصرية. ورغم غضبه الشديد من السادات، فإنه وافق على حضور حفل تكريم الجيش المصري الذي نظَّمه السادات عقب الحرب بنحو أربعة أشهر، أي في فبراير عام ١٩٧٤ [١].

الواقع أن خُطط العمل العسكري كانت جاهزة لدى جهات الاختصاص، وهما وزارة الحربية والقيادة العامة.

وكانت هناك مجموعة من الشواغل لا تزال حائرة في فكر الرئيس السادات، وكان معظمها في مجال السياسة والإعلام، كان ضمن مجموعة الشواغل: كيف ومتى نُخطر إخواننا العرب؟ ومن هؤلاء العرب؟

---

(١) أحمد قذاف الدم. صحيفة الشرق الأوسط. ٢١- سبتمبر ٢٠١٤ مـ العدد ١٣٠٨١.

وأقد أوضح الرئيس السادات ذلك قائلًا: من بين إخواننا العرب، فإن الملك فيصل هو الوحيد الذي يتم إخطاره مُقدَّمًا بدون تحديد اليوم أو الساعة، وذلك لأن دور الملك فيصل حيوي في استعمال سلاح البترول في المعركة في مرحلة من مراحل تطورها، وكان ذلك ما تعهَّد به الملك صراحة. شريطة أن تطول المعركة بما يسمح بتعبئة عالمية. أما «معمر القذافي» فلا إخطار مسبق له، ويسمع من الإذاعات.. وهذا أضمن، وفي تلك النقطة كان السادات حاسمًا.[1]

وبعد نشوب القتال كان السادات لا يزال مُوزَّع المشاعر، وقد أبدى تبرُّمه من خطاب ألقاه معمر القذافي في جماهير حاشدة في طرابلس، خرجت على شكل مظاهرات تأييدًا وحماسة لتطورات القتال، وقد طرح العقيد القذافي في هذا الخطاب لأول مرة شعارًا تكَّرر كثيرًا في ما بعد عما إذا كانت المعركة «حرب تحرير » أم حربًا شاملة إلى النهاية أم حربًا لتحقيق هدف سياسي مُحدَّد، وهي قضية يطول فيها الحديث ويتشعَّب.

ويبدو أن العقيد القذافي، عرف بطريق غير مباشر أن الرئيس السادات لم يكن مرتاحًا لكلامه، وقد اتصل به تليفونيًّا، وعكس الحوار الذي طال

(١) محمد حسنين هيكل. أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

في هذه المحادثة شيئًا من سوء التفاهم بين الاثنين، وإن لم يشر إليه أحدهما صراحة[1].

وفي يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ كانت الضغوط شديدة على الرئيس السادات، ولم يكن الضغط مقصورًا فقط على ما يجري في ميادين القتال، ولا على «مناورات هنري كيسنجر» التي اختلفت فيها تصرفاته في واشنطن عن رسائله إلى القاهرة اختلافًا فادحًا، بل زادت على ذلك ضغوط من العالم العربي، ذلك أن الرأي العام العربي على امتداد المنطقة من المحيط إلى الخليج بدأ يستشعر أن انتصارًا عربيًّا هائلًا قد تحقَّق، أو هو على وشك التحقُّق، وفي تلك الساعات كان الرئيس السادات في وضع يسمح له بأن يطلب ما يشاء ممن يشاء في العالم العربي، بدون أن يملك أحد غيرَ الاستجابة الكاملة راضيًا أو مضطرًّا، وربما عبَّرت عن ذلك بوضوح برقية مشفَّرة تلقَّاها الرئيس السادات ظُهر ذلك اليوم من العقيد معمر القذافي، يستجيب فيها لبعض طلبات الرئيس، وفي نهاية الرسالة يقول القذافي: سمعتُ أنك مُستاء من بعض كلامي، أنا قلتُ حتى لو تغيَّرت نتيجة القتال في غير صالحنا لا سمح الله فذلك إذا حصل يرجع لتطور الأسلحة، وليس لمعدن الرجال، يكفي أن الجندي الإسرائيلي يفرُّ الآن أمام الجندي المصري، إن هذا الكلام له معانٍ بعيدة خارج مصر، وفيه إطراء لمصر، ولا يمكن أن أقصد غير ذلك في مثل تلك الظروف. إن شعبنا

---

(١) محمد حسنين هيكل. أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

يا سيادة الرئيس مستاء أيضًا من تجاهُل دوره السياسي، والإشادة بفيصل في كل نشرة من نشرات القاهرة دون ذِكْرِ ليبيا، وليس خافيًا ما يجري في أفريقيا وأوروبا. آسف يا سيدي الرئيس لإبداء هذه الملحوظة، المهم تصميمنا على القتال، ووفقك الله في مثل هذه الظروف[1].

في تقديرنا أن عبد الناصر والسادات من بعده، كانا يستخفَّان بالقادة الليبيين، وأفكارهم السطحية، ولكنهم كانوا يُقرِّبونهم من بلاطهما باعتبار أن أموال النفط تحيط بخصورهم، وتملأ جيوبهم، لأجل هذا لم تجِدْ أقوالهم ولا اقتراحاتهم قبولًا لدى القادة المصريين.

ولكن المفاجأة أنه كانت لدى معمر القذافي خُطة ليس لتحرير سيناء فقط، ولكن لتحرير كل فلسطين!

فقد أخبرنا عبد السلام جلود، الرجل الثاني في ثورة الفتاح من سبتمبر، أنه كان يشارك في اجتماعات القادة حين كانت تقتصر عليهم فقط، «كان معمر يحرص على إشراكي في كل اللقاءات حتى ولو طلب الرؤساء الآخرون من نُوَّابهم الخروج من قاعة الاجتماع أو عدم المشاركة، وفي أحد اجتماعات مجلس الرئاسة، تقدَّمنا نحن (الليبيين) بخطة عسكرية لتحرير كل الأراضي المحتلة في ١٩٦٧ وحتى فلسطين. تقترح الخطة أن توضع بجبهة سيناء أكبر قوة تثبيت لاستدراج أكبر قوة لدى العدو، على أن يكون الهجوم الرئيسي من

(١) محمد حسنين هيكل. أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص ٤١٣.

سوريا والأردن، بحيث تدور المعارك على الأرض الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، مع مساندة من البحر، وقد علَّق السادات: يا معمر وعبد السلام، جرى إيه؟ نحن نعرف أنكما تعرفان بالثورة، لكن الخطة التي نتحدث عنها أعدتها أكاديمية ناصر العسكرية.»

ويستطرد عبد السلام جلود في السخرية من الخطط العسكرية قائلًا «رفضوا خطتنا على أساس أننا نفهم في الثورة لا في العسكرية، وإن خطتهم كانت من صُنع جنرالات محترفين. وكان ردُّنا « سمَّيتُم حرب ١٩٦٧ نكسة، إذا طبَّقتم خطتكم فابحثوا عن اسم جديد لتغطية النتائج، نحن لا نريد المشاركة في ادعاء النصر ولا في الهزيمة» [١] .

كما سرد لنا الكاتب الصحفي عبده مباشر[٢] في كتابه: «أنا وعبد الناصر

---

(١) غسان شربل. في خيمة القذافي. رفاق العقيد يكشفون عهده. دار الريس للكتب والنشر، لندن ٢٠١٣.

(٢) مؤلف وصحفي مصري. من مواليد ١٩ سبتمبر ١٩٣٧ بمحافظة الشرقية . اشتُهر بمؤلفاته العسكرية، وعمل محررًا عسكريًّا بالعديد من الصحف. حصل على ليسانس الحقوق بجامعة القاهرة، ودبلوم معهد البحوث والدراسات العربية، ودبلوم الصحافة من كلية التضامن ببرلين، وماجستير في العلوم السياسية ودرجة الزمالة من كلية الدفاع الوطني بأكاديمية ناصر العسكرية العليا. شغل وظيفة محرر عسكري بمؤسسة أخبار اليوم خلال الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٨، شغل وظيفة محرر عسكري بمؤسسة الأهرام خلال الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٦٩، ورئيس القسم العسكري بجريدة الأهرام والجمعية العمومية بها خلال الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٥، ومساعد مدير مركز الدراسات الصحفية خلال الفترة من ١٩٨٤=

والسادات» تفاصيل أول معرفة القائد الليبي بالموقف العسكري على الجبهة في اللحظات الأولى لوصوله إلى القاهرة.

قبل أن يصل معمر القذافي إلى القاهرة، بعد نجاح الانقلاب العسكري الذي قاده في سبتمبر ١٩٦٩ لاستكمال بناء الجسور مع جمال عبد الناصر، والتعرف إليه وجهًا لوجه، والحديث معه والإنصات إليه باعتباره المُلهَم والزعيم القومي الذي لا مُنازِع له رغم هزيمة ١٩٦٧. لم يشأ عبد الناصر أن يلتقيه فور وصوله، كان عبد الناصر في حاجة إلى المزيد من المعلومات عن هذا النقيب أو الملازم أول، كان يريد أن يقرأ خريطة أفكاره وتطلعاته، وكانت خبرات عبد الناصر الانقلابية ماثلة وحاضرة في ذاكرته، ولا شك أن

=إلى ١٩٨٥، ورئيس تحرير جريدة شباب بلادي خلال الفترة من ١٩٨٥ إلى ١٩٨٩، وعمل كاتبًا بجريدة المساء منذ ١٩٨٧، وكان عضوًا مجلس نقابة الصحفيين ووكيل مجلس النقابة حتى ١٩٨٩. وعضو اتحاد الكتاب، وعضوًا بشعبة الإعلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامي، وعضو الجمعية المصرية للعلوم السياسية، وعضو شعبة الإعلام بالمجالس القومية المتخصصة، ومحاضرًا بكليات الإعلام المصرية والعربية. حصل على نوط التعبئة من الدرجة الثالثة عام ١٩٥٤. حصل على نوط الشجاعة العسكرية من الطبقة الأولى عام ١٩٧١. حصل على وسام العلم اليوغسلافي عام ١٩٧٢. مؤلفاته: رجال أكتوبر. يوميات أكتوبر في سيناء والجولان. المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. سيناء، الموقع والتاريخ. البحرية المصرية من محمد علي للسادات ١٨٠٥ - ١٩٧٣. إغراق المدمرة إيلات. الحرب الإلكترونية. الحرب العراقية الإيرانية. السلام والمتغيرات في الوضع العسكري الإسرائيلي. حوار مع أبي عمار. جاسوسية وجواسيس. ويكيبيديا. الموسوعة الحرة.

القذافي كان يعتبر أن ما قام به هو في ليبيا هو امتداد طبيعي ومنطقي لما جرى في مصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وقد وصلت تقارير عن رحلة القذافي إلى لندن قبل الانخراط بشكل حاد في التحضير للانقلاب على الملك السنوسي، وبعد نجاح الانقلاب أوفدَ عبد الناصر محمد حسنين هيكل إلى ليبيا، وعاد ليكتب لقراء الأهرام تقريرًا متميزًا، ويكتب للرئيس تقريرًا مختلفًا، حيث تضمن الأسرار التي لا يمكن نشرُها وقراءته الشخصية للمجموعة الانقلابية الشابة، كان مع هيكل في رحلته المصور الصحفي محمد يوسف، وكانت الصور التي نشرها المصور في الأهرام هي أول صورة تنشر عن القذافي تطالعها دول العالم كله.

قرأ عبد الناصر التقرير، واستمع إلى انطباع هيكل وتقييمه للموقف، كما أمضى وقتًا طويلًا في تأمُّل الصور، ورأى عبد الناصر تأجيل لقاء القذافي، فقد وقع اختياره على الفريق محمد الصادق رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية، ليكون الشخص الذي يُقدِّم له المعلومات عن القذافي، وقد قدَّر جمال عبد الناصر أن قُدرات الفريق صادق كونه ملحقًا عسكريًّا سابقًا متألقًا في ألمانيا، ومدير المخابرات الحربية تجعله أنسب مَن يتولى تلك المهمة.

وأُبلغ القذافي أن ارتباطات الرئيس عبد الناصر تحول دون استقباله فور وصوله، وأن الرئيس يقترح عليه أن يزور الجبهة، خاصة وأن معارك الاستنزاف تتواصل بنجاح، وليتعرف عن قُرب على حقيقة الموقف العسكري

والضغوط التي سيلمسها من خلال اللقاء المباشر مع القادة والضباط والجنود، وأُبلغ أن الفريق محمد صادق رئيس الأركان سيصحبه خلال تلك الزيارة، وطلب عبد الناصر من الفريق صادق أن يحاول معرفة الكثير عنه، وعن نياته ومخططاته وأسلوبه في التفكير وتأثيره في المجموعة الثورية وموقفهم منه، وأسرار الانقلاب والقوى التي يستند إليها داخليًّا وخارجيًّا، وقوة التأثير القبلي، وماذا يتوقع من القاهرة، ومستقبل علاقات ليبيا بدول الجوار وباقي الدول العربية والدول الأوروبية، وخاصة إيطاليا والقوتين العظميين؛ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي . واتَّجه القذافي بصحبة الفريق صادق إلى قيادة الجيش الثاني في الإسماعيلية، واستقل أعضاء الوفد الليبي عددًا من السيارات بصحبة مجموعة من القادة، اختارهم صادق بعناية لتشاركه المهمة كما أرادها عبد الناصر، وبعد انتهاء اللقاء والاستماع إلى اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني الميداني كانت هناك دعوة لتناول الشاي، وفي أثناء ذلك طاف الفريق صادق مع معمر القذافي، وبدأ في تقديم القادة له، وعندما وصل إلى المكان الذي أقف فيه مع عددٍ من مساعدي رئيس الأركان قال له: سأُقدِّم لك الصحفي والمدني الوحيد الذي يشارك في عمليات الكوماندوز خلف خطوط العدو. وتساءل القذافي: كيف يشارك وهو مدني؟ فقال له الفريق صادق: دي حكاية طويلة، يمكن أن تسمعها منه، وقال القذافي: نلتقي في المساء.

وبعد التأكد أن إجراءات تأمين الوصول الى المواقع الأمامية كان على ما يُرام، تمت الزيارة بعدد محدود حتى لا تتكرر مأساة الشهيد الفريق عبد المنعم

رياض، واستمع القذافي إلى قصة استشهاده، وعرف بشكلٍ عملي صعوبة اقتحام القناة كونها مانعًا مائيًّا محصنًا ومُدافَعًا عنها جيدًا بخطٍّ دفاعي شديد التحصين.

وتطرق حديثه إلى احتمالات الحرب، أكَّد له الفريق صادق أن مصر ستُحارب لتحرير أرضها المحتلة، ولكنها في حاجة إلى استكمال احتياجاتها من الأسلحة والذخائر والمعدات والأجهزة، وسأل القذافي ببراءة عن العوائق التي تعوق ذلك، وباختصار أوضح له رئيس الأركان أن مماطلة الاتحاد السوفييتي في الوفاء بالتعاقدات وعدم القدرة على شراء السلاح من مصادر أخرى وذلك راجع لنقص التمويل أو لرفض بعض المصادر بيع السلاح لمصر. وبغضب صاحَبَه انفعال قال القذافي: لماذا لا تدفع الدول الغنية ثمن هذا السلاح؟ واستطرد قائلًا: إن ليبيا ستقوم بدورها، وستطالب باقي الدول العربية بتحمُّل التزاماتها.

خلال الاجتماع العسكري، سأل القذافي واستفسر عن عمليات التخطيط والاستعداد للحرب، فرد عليه القادة مؤكدين أن الحرب قادمة، وأن معارك الاستنزاف مرحلة ضرورية من مراحل الاستعداد للحرب. وبجديةٍ كاملة اقترح القذافي نقل ثلاث فرق من المدرعات والمشاة الميكانيكية إلى الجبهة السورية، وبدء حرب التحرير من هناك. وقال: إذا كانت القناة باعتبارها مانعًا مائيًّا تحول بين مصر وبدء الحرب، فإن الجبهة السورية ليس لديها هذا المانع، ويمكن للقوات السورية مهاجمة إسرائيل من هناك وتحقيق الانتصار

وتحرير الأرض، ووجد القذافي استحسانًا وتأييدًا من باقي أعضاء الوفد المرافق له.

وأمسك الفريق صادق بأول الخيط وتساءل: وكيف سيجري نقل تلك القوات إلى سوريا؟ وهل سيجري ذلك برًّا أم جوًّا أم بحرًا؟ وأضاف: إن مصر لا تملك الأسطول الجوي القادر على نقل تلك القوات جوًّا. كما أنها لا تملك سُفنًا حربية تكفي لمثل هذه العملية.

كان رئيس الأركان جادًّا وهو يحكي هذه العقبات للقذافي، وباقي أعضاء الوفد المرافق له، وفي الوقت نفسه كان واضحًا وبسيطًا، وكان هدفه إقناع الجميع حتى لا يعودوا لطرح مثل هذه الاقتراحات. ولكن الوفد الليبي لم يصل إلى مرحلة الاقتناع، فقد سمعوا ولم تكن لديهم المعلومات أو الحقائق العسكرية التي يردُّون بها على ما سمعوه[1].

ونرى أن هذا اللقاء رسَّخ لدى القذافي انطباعًا بعدم الاقتناع بما يقوم به الجيش المصري، ولا بالمجهودات التي قامت بها القيادة العسكرية للتغلُّب على مشكلات المانع المائي، وهو ما جعله دائم التشكيك في قُدرات الجيش المصري في ما بعد.



(١) عبده مباشر، أنا وعبد الناصر والسادات، دار المعارف، ٢٠١٢.

الفصل السادس

الحرب بين ليبيا ومصر

كانت العلاقات المصرية الليبية على ما يُرام، قبل حرب أكتوبر وفي أثنائها، إلا أن هذه العلاقات الطيبة لم تدُم طويلًا .

كان القذافي يريد ثمنًا مقابل مساهمات ليبيا في الحرب على إسرائيل. ولكن السادات كان عنيدًا، ولم يسمح بأي دور للقذافي في الحرب يتخطى المساعدة.

كان السادات قد قرَّر التقارب مع الأمريكيين، وبدأت الاتصالات الرسمية تجري عبر قنوات شرعية معلومة. وهو ما أثار حفيظة بقايا رجال عبد الناصر في الشارع المصري ضِدَّه، وكان القذافي - كما أوضحنا - واحدًا من رجال عبد الناصر وتلاميذه ومُريديه.

ولما بدأت اتصالات السادات مع الولايات المتحدة، من أجل السلام مع إسرائيل، تأخذ طريقها إلى العلانية والتحقق الفعلي، بدأ القذافي في التحرش بمصر والسادات.

وفي مارس ١٩٧٧ . أصدر الرئيس القذافي تعليماته بطرد نحو ٢٢٥,٠٠٠ مصري يعملون في ليبيا من أعمالهم، بل أمرهم بمغادرة البلاد، وإلَّا واجهوا الاعتقال.

وفي يوم ٢٠ يوليو ١٩٧٧، انطلقت «مسيرة نحو القاهرة» قوامها آلاف المتظاهرين الليبيين تجاه الحدود المصرية، وذلك بإيعاز من الرئيس الليبي معمر القذافي، الذي لم يعجبه التقارب الدبلوماسي بين مصر وإسرائيل، فكانت دعوة الرئيس الليبي معمر القذافي، الجماهير الشعبية المتحمسة، إلى مسيرة لإسقاط الحدود بين مصر وليبيا، والتي يرى القذافي أنها تعوق نهضة الشعوب العربية ووحدتها، من أجل وحدة شعبية عروبية بين البلدين، على نهج جمال عبدالناصر، وقد رأى القذافي أن الرئيس المصري أنور السادات قد ابتعد وحاد عن نَهْجِه. كان القذافي يعتقد أن الشعب المصري سيستجيب بدوره، للطرح الذي طرحه الرئيس القذافي، كان القذافي يظنُّ أن هناك تذمُّرًا شعبيًّا في شوارع مصر وقُراها ومُدنها، بسبب عزم السادات على التصالح مع إسرائيل.

وفور تحرُّك المسيرة، ووصول الحشود الليبية إلى الحدود المصرية الليبية قُرب السلوم تصدَّت قوات حرس الحدود المصرية للمظاهرة ومنعتها من العبور إلى الأراضي المصرية، كانت قوات حرس الحدود المصرية جاهزة ومستعدة، فأوقفت المسيرة والمتظاهرين، فأطلقت وحدات المدفعية الليبية طلقات حية على مدينة السلوم الحدودية.

في يوم ٢١ يوليو ١٩٧٧ بدأت معركة بأسلحة نارية بين القوات الموجودة على الحدود بين البلدين، تبعتها هجماتٌ برية وجوية على الجانبين.

لكن الردود الليبية كانت أكثر عنفًا. كما قذفت وحداتٌ من المدفعية الليبية الحُدود المصرية عند السلوم، وبعد ذلك بدأت محاولة لغزو السلوم عن طريق الكتيبة التاسعة المدرعة الليبية مدعومة بطائرات الميراج ٥.

أصدر الرئيس السادات على الفور أوامره لثلاث فرق عسكرية مصرية تَتْبَعُ الجيش الأول المركزي بالتقدُّم نحو الحدود المصرية الليبية. وتمكَّنت القوات المصرية من هزيمة جميع القوات الليبية المعتدية «الموجودة على الأراضي المصرية» وتدمير جميع معداتها تقريبًا في معركة السلوم البرية.

بعد ذلك انتقلت المعركة للمرحلة الثانية، وهي التعامل مع ثلاثة لواءات ليبية جرى تجهيزها لإكمال احتلال السلوم، وهو الأمر الذي أجبرها على الانسحاب والتقهقر بسرعةٍ كبيرة داخل الأراضي الليبية.

بعد ذلك بدأت مصر في تنفيذ هجومها المضاد على ليبيا، وبدأت العملية الهجومية كالآتي:

١-عَبَرَت القوات المصرية الحدود الليبية، واحتلت جميع القرى الحدودية الليبية.

٢-أغارَت ثلاثة أسراب جوية مصرية إغارة شاملة على أغلب القواعد الجوية شرق ليبيا، وهي الأديم والكفري وأم عليان.

٣-أغارت القوات الجوية المصرية على أغلب قواعد الرادار شرق ليبيا، وهو ما تسبَّب في قتل ٣ خبراء روس كانوا موجودين في إحداها.

٤-أجرت القوات الخاصة المصرية عملية إنزال جوي بالهليكوبتر فوق معسكر تدريب ليبي للإرهابيين بالقرب من منطقة ليبية تسمى AlJaghbub «الجغبوب» وقد صفَّت المُدرِّبين والعناصر الإرهابية المُتدرِّبة جسديًّا.

خسائر المعركة من الجانبين

أولًا- ليبيا

٤٠٠ جندي ما بين قتيل وجريح على الأقل.

٣ خبراء روس.

٦٠ دبابة.

٤٠ مدرعة نقل جنود.

٢١ طائرة حربية مقاتلة.

ثانيًا- مصر.

١٠٠ جندي ما بين قتيل وجريح على الأكثر.

٦ طائرات حربية.

على أثر ذلك أقنع العديد من قادة الدول العربية، وعلى رأسهم الرئيس الجزائري والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، السادات بوقف عملياته العسكرية، وبالفعل أوقف تنفيذ عملية غزو ليبيا التي تم وضع الخطة الخاصة بها على مكتبه يوم ٢٦ يوليو ١٩٧٧.[١]

---

(١) - المنتدى العربي للدفاع والتسليح. ٧ مارس ٢٠١٣. http://www.historyguy.com/egypt_libya_war_1977.htm .

أثمرت وساطة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، والرئيس الجزائري هواري بومدين عن وقف إطلاق النار يوم ٢٤ يوليو ١٩٧٧، ثم وقف القتال فعليًّا يوم ٢٥ يوليو١٩٧٧. ورغم توقُّف القتال بين الدولتين، فإن الخلاف بينهما ظلَّ قائمًا، ثم خفَّف تبادُل الأسرى الذي جرى في أغسطس ١٩٧٧ من تأزُّم الموقف بين البلدين.

كانت مواقف الدول العربية منقسمة ما بين دول محافظةٍ مؤيدة لمصر في الدفاع عما رأته تجاوزًا لسيادتها، ودول ذات نزعة قومية تقدمية أيَّدت موقف ليبيا، ولم تتعاطف مع تحرُّكات مصر نحو إسرائيل، وهو ما تبلوَر لاحقًا في إعلان أغلب الدول العربية مقاطعة مصر، وتجميد عضويتها في جامعة الدول العربية بعد زيارة السادات لإسرائيل، وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد للسلام بينهما.

كان لأحمد قذاف الدم - ابن عم الرئيس الليبي معمر القذافي، والمنسق العام للعلاقات المصرية الليبية أيام حكم القذافي، والذي حَلَّ ضيفًا على الرئيس السادات في مقرِّه الريفي في قرية ميت أبو الكوم، إبان تلك الحرب - دورٌ في ما عُرفَ بـ«مفاوضات الشوربة المغربية» في بيت السادات الريفي - وجهة نظر أخرى في تلك الحرب ومقدماتها وظروفها. فيقول:

- مع اقتراب مصر من توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل، جرت مناوشات عسكرية على الحدود المصرية الليبية عام ١٩٧٧، كان لها العديد من

التداعيات والتفسيرات، لكن يبدو أن السبب الرئيس كان الشحن والتوتر وتبادُل الاتهامات. المصريون يتهمون القذافي أنه كان يُجهِّز لضرب السد العالي وتنفيذ تفجيرات داخل البلاد وتحريض المصريين ضد السادات، بينما كان لليبيين فَهْمٌ مختلف يتعلق بوجود مؤامرة غربيَّة ضدها. وكان هناك مخطط لترحيل الجيش المصري من المنطقة الشرقية إلى المنطقة الغربية، لأن المساحة ضاقت، وأصبح الجيش يُشكِّل خطرًا حتى على القاهرة، فكان لا بد من إيجاد مُبرِّر لنقله إلى الصحراء الغربية. فافتعلت مصر هذه المشكلة.

ويضيف أحمد قذاف الدم: المهم كانت هناك رغبة في خَلْق مُبرِّرات حتى لو كانت واهية.. ولم تكن منطقية في نهاية المطاف. وقد يكون جزء منها معلوماتٍ مُضلِّلة كانت تأتي للرئيس السادات لتدمير ما تبقى من الجيش المصري من خلال توريطه في حرب في ليبيا. أنا لا أستبعد أن الأمريكيين والغرب كانوا يمرِّرون معلوماتٍ غير صحيحة للسادات تقول: إن معمرًا سيدمر السد العالي، ويريد أن يحارب مصر أو يغزو مصر.. ومثل هذا الكلام لا أساس له.. معمر رجل وحدوي ورجل قومي، ولا يمكن أن يحارب الجيش الذي بناه عبد الناصر، ولا يمكن أن يهدم السد العالي الذي بناه عبد الناصر.

وحين بدأت المواجهات بين الجيش المصري والليبي، كان قذاف الدم يستكمل دراساته العسكرية في بريطانيا. ويوضح قائلًا: «سمعتُ بالأحداث التي تجري على الحدود.. وجرى استدعائي، ورجعتُ إلى ليبيا. وطلبتُ أن أنتقل

إلى طبرق، لأن الموضوع بالنسبة لي كان خارج دائرة التصديق. أفكِّر في أن الجيش المصري على الحدود الليبية.. الحقيقة، رغم وجود الخلافات بين الجانبين فإن اشتعال المواجهة بين الجانبين مثَّل صدمةً لي. وذهبتُ مع زملائي، واستطلعنا الحدود، ورأينا فعلًا أن القوات المصرية هناك، وأن بعضًا منها داخل الأراضي الليبية. كانت وحدات استطلاع.. ورجعنا، وبدأنا اتصالات مع الرئيس السادات ومع آخرين من المصريين، وأنا كنت طرفًا في هذه الاتصالات.

وعندما سأل الصحفي عبد السلام حتيتة أحمد قذاف الدم عن رد فعل السادات نفسه حول مشكلة الحشد العسكري على الحدود. أجاب أحمد قذاف الدم: والله هو كان معبَّأ.. ويرى أن معمرًا، يريد أن يغزو مصر. وتحدثنا مع السادات في الهاتف في المرات الأولى.. ثم توصَّلنا – من خلال اللقاءات المستمرة، والسرية طبعًا، مع أجهزة المخابرات المصرية، ومع قوات الاستطلاع المصري – إلى امتصاص توتر هذه المرحلة. والحقيقة، فإن الرئيس الجزائري هواري بومدين والفلسطيني عرفات، قد أدَّيا دورًا مهمًّا في توضيح هذه الصورة للسادات». كما جرت لقاءات مباشرة سرية كثيرة، في مصر وفي باريس، وفي المغرب وفي أكثر من مكان.

وأضاف قذاف الدم قائلًا: إن أهم لقاء أدى لحسم هذه القصة وإنهائها نهائيًّا، كان من خلال لقاء مباشر، وليس عن طريق الهاتف مع الرئيس السادات، الذي وجدتُه في الحقيقة رجلًا قرويًّا وثوريًّا في الوقت نفسه.. «أقصد أنه كانت توجد لغة مشتركة بيننا رغم الخلاف».

وفي ذلك الوقت، ورغم ما هو ظاهر من العداء بين معمر القذافي والسادات، فإن هذا لم يكن هو الواقع.. معمر كان لديه احترام للسادات، وتاريخه ومواقفه.. وأيضًا الرئيس السادات كان يقول معمر هذا ابني. ويضيف قذاف الدم قائلًا: حتى حين كنتُ أزورُ السادات في بيته الريفي في ميت أبو الكوم، كان يقول لي: إن هذه النخلة أتى بها القذافي، وهذه الشجرة زرعها القذافي، والشاي الأخضر علَّمني شربه معمر القذافي.. والشوربة المغربية علَّمها لي القذافي، مشيرًا إلى أن السادات كان يحب الشوربة الليبية كثيرًا.. «أنا أعني إجمالًا أن هناك نوعًا من الود. وكان يهدأ قليلًا ثم يبدأ في توجيه اللوم للقذافي وأنا جالس معه في بيته، ويقول: كيف يعمل هذا معمر؟ في إشارة إلى ما كان يُشاع عن عزم ليبيا غزو مصر وضرب السد العالي. كما قال السادات أيضًا: (معمر عاوز يستولي على الأراضي المصرية لغاية العامرية).

كان قذاف الدم يريد أن يصل إلى نتائج تُنهي حالة الاحتقان على الحدود بين البلدين سريعًا، ويقول: إنه كان لا بد من الحديث صراحة مع السادات، لأنه كان مصممًا ولا يريد أن يقتنع بما أقوله له عن وجود مؤامرات غربية لتوريط الجيش المصري في ليبيا، وإبعاده عن سيناء وعن إسرائيل، وهنا طرحتُ على الرئيس في بيته بميت أبو الكوم أيضًا، تفاصيل الخطة التي حصلنا على معلومات بشأنها بواسطة أجهزة الاستخبارات الليبية، وتهدف لغزو مصر لليبيا من الشرق وغزو تونس لليبيا من الشمال، على أن يتصدى

الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط لأي محاولة للتدخل من جانب الاتحاد السوفييتي. لكن السادات أشعل غليونه، ودار حول نفسه، ثم أخذ يتطلَّع إلى الأشجار والنخيل من حوله، وظننتُ أنه سيتفهم ما قلتُه له، لكن فجأة نفثَ دخان الغليون، وعاد لسيرته الأولى، وهو غاضب أكثر من ذي قبل وقال: «لا.. أنتم لديكم صواريخ في الجغبوب (قرب حدود مصر) تريد أن تدمر السد العالي». وأخذ يشير إلى خرائط مُصوَّرة بالأقمار الصناعية التي بدا أنها أمريكية. فقلت له: «تعني أن الخرائط تقول: إنه توجد صواريخ في الجغبوب.. حسنًا، أستطيع أن أذهب الآن أنا وعسكريون مصريون بطائرة عمودية إلى هذا المكان لترى أنه لا يوجد مثل هذا الكلام. وبعد أن كان مغتاظًا بشكل كبير، بدأ يجنح ناحية الهدوء، فقلتُ له مباشرة، وأظن أنني فاجأته: «أنتم سيادة الرئيس مَنْ لديكم مخطط ضد ليبيا». وعرضتُ عليه المخطط الأمريكي لضرب ليبيا، فقال لي: «هذا كلام غير صحيح»، وأخذ يُحدِّق مجددًا إلى خرائط الأقمار الصناعية التي كانت أمامه. فأخرجتُ أوراقًا تُثبت صحة كلامي، وقلت له: «لا.. إنه كلام صحيح سيادة الرئيس. وهذه المعلومات من داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وحصلتْ عليها المخابراتُ الليبية».

وقال أحمد قذاف الدم.: قلتُ للسادات: شوف أنا جئت دون إذن.. إما أن نصل إلى حل، أو احجز لي مكانًا عندك لكي أمكث في مصر، لأن القذافي لا يعلم بهذه الزيارة ولم آخذ إذنه، ولا أستطيع أن أعود إليه بعد هذا دون نتيجة مريحة، فسألني السادات وقد بدا أنه متعاطف معي: ماذا تريد؟ فأجبته إجابة مُطوَّلة: أريد أن تأخذ خُطوة. وكان يستمع حين

قاطعني ليأمر بتحضير طعام الغداء، على أن تكون الشوربة المغربية على السفرة. واستكملتُ حديثي وقلت له: سيادة الرئيس.. أنا جئت لأؤكد أننا في ليبيا ليست لدينا أي أمور عدائية تجاهكم. بينما أنتم جئتم بقواتكم على حدودنا. اسحب على الأقل جزءًا من هذه القوات، وبَرْهِنْ على حُسن النيات. وأعطِنا أسبوعًا.. إذا لم يأتِ ردٌّ من ليبيا في خلال الأسبوع، فأعِد القوات مرة أخرى. فقال لي: خلاص.. سأسحبُ القوات لمدة أسبوع.

ويقول قذاف الدم: شعرتُ مرة أخرى، وأنا أتطلع إلى الأجواء الريفية المحيطة ببيته، أن الرئيس السادات إنسان بسيط ومتواضع. على أية حال قدَّم الشوربة وكان هناك بط أيضًا. وفي آخر النهار أكلنا فطيرًا مشلتتًا (نوع من المخبوزات في الريف المصري). لقد بدأ اللقاء عاصفًا وانتهى بعد ساعات طويلة بتفاهُم. وكان الرجل ودودًا، لكن كانت لديه همومه ومخاوفه تجاه بلده، ويريد أن يستعيد سيناء بعد أن تخلى عنه الجميع.[١]

ومع فناجين الشاي الأخضر - بينما كانت زقزقة الطيور تتزايد مع اقتراب المساء - كان الحديث مع الرئيس السادات يسير بهدوء، وكان كل من قذاف الدم والسادات لديهما استعداد للاستماع أطول فترة ممكنة كلٌّ إلى الآخر. وعَرَضَ عليه قذاف الدم بالتفصيل معلومات المخابرات الليبية التي قال إنها

---

(١) عبد الستار حتيتة، موقع بوابة أفريقيا الإخبارية، في ١٤ سبتمبر ٢٠١٤.

ttps://www.afrigatenews.net/.../ قذاف-الدم-يروي-بداية-التوتر-بين-السادات-والقذافي.

موثَّقة وجاءت بها من أمريكا.. «والتي تشير إلى أن هذا المخطط ضد ليبيا بدأ منذ أواخر السبعينيات عندما دخلت قواتنا إلى تشاد، ووصلت إلى مشارف العاصمة إنجمينا.»

ويضيف: «الخطة تقضي بجرِّ مصر وتونس للتدخل في ليبيا بمساعدة أمريكية وفرنسية، لإسقاط النظام في ليبيا حين كانت معظم القوات الليبية تحارب في تشاد.. من تونس تدخل القوات الفرنسية وتستولي على طرابلس بزعم أن ليبيا تريد أن تهاجم تونس.. وتتولى مصر الدخول من الغرب حتى بنغازي للسيطرة عليها، ثم يقوم الأسطولان السادس والسابع بمحاصرة شواطئنا من الشمال حتى لا يتحرك الاتحاد السوفييتي لنجدة القوات الليبية».
وانتهت زيارة قذاف الدم لبيت السادات، ومن هناك انطلق عائدًا إلى ليبيا.
ويقول: ذهبتُ للأخ معمر الذي كان وقتها موجودًا في خيمة في منطقة الكُفرة الحدودية، وقلت له: إنني كنتُ عند السادات.. طبعًا فوجئ، وقال لي: لماذا لم تستأذني؟ فقلت له: لو كنتُ قد استأذنتُك لقلتَ لي: لا تذهب، ولقلتَ لي: إنه اتفق مع الأمريكان وأصبحوا جبهة واحدة. فسألني: لماذا اخترتَ الذهاب للسادات؟ فأجبته: لأنه الحلقة الأضعف.. رجل من طينتنا، ولديه مشاعرنا نفسها، ورجل ثوري وعاش معنا ويعرفنا جيدًا. أما الغرب فهو عدو يريد أن يقتصَّ منا. وبالنسبة لتونس، إذا أقنعهم الفرنسيون أن معمرًا يريد أن يهجم عليهم، فسيطلبون بشكل آلي الحماية الفرنسية. وحكيتُ له ما حدثَ في بيت ميت أبو الكوم بالتفصيل، ووجد أنني متأثر بكلام السادات،

وأظنُّ أنه قال بينه وبين نفسه: إن السادات «أكل بعقلي حلاوة»، كما يقول المصريون، خاصة أنني كنتُ شابًّا صغيرًا. ولم يكن القذافي مقتنعًا بكل ما حدث، أو بالأحرى كان مترددًا. قال: خلاص.. لكن الكلام الذي سمعته من السادات لا يوثق به.. هذه مناورة منه وضحك عليك، وقال لك: إنه سيسحب القوات، ولن يسحبها.

وبينما شعر قذاف الدم أن جهوده مع السادات ذهبت هباء، وأن الأمور تزداد تعقيدًا، وجد الفرج وكأنه هَبَطَ عليه من حيث لا يدري. يقول: تشاء الظروف في تلك اللحظة، ونحن نهمُّ بالخروج من الخيمة، أن يأتي قلم القائد (سكرتير القذافي) حاملًا الملفات والبرقيات والبريد، وهنا ابتعدتُ عن الأخ معمر، على أساس أن أتركه يفحص ما لديه من أوراق، لكنه أخذ ينادي عليَّ، وحين اقتربت قال: «تعال هنا.. تعال. يبدو أن صاحبك جاد»، في إشارة إلى السادات، لأنه لم يكن يريد للسكرتير، أو غيره، أن يعرف أنني كنتُ عند الرئيس المصري.

ومَدَّ لي برقية واردة من استطلاع الجيش الليبي، تقول: إن بعض الوحدات المصرية انسحبت من الجبهة. فقلتُ للقذافي وقد شعرتُ بعودة النبض إلى عروقي: خلاص.. إذن الكُرة أصبحت في ملعبنا نحن، وعلينا أن نتخذ الخطوة التالية، فوافقَ، وأعلن في خطاب عام أنه لن يحارب جيش عبد الناصر، ولن يُدمِّر السد العالي. وقال أيضًا: لا بد أن نُحوِّل هذه المنطقة

إلى منطقة رخاء وتعاون بين البلدين، وأنه مهما تكن خلافاتنا السياسية فلا يجب أن نصل لدرجة تجييش جيوشنا وقُدراتنا لمصلحة الغرب.

ويضيف قذاف الدم: إن الإجراءات العملية لإنهاء التوتر العسكري على الحدود المصرية الليبية استمرت بعد ذلك، حيث أكمل السادات سحب باقي قواته، وعَقَدَ قادة من الجيش الليبي اجتماعات مع مسؤولين من الجيش المصري والمخابرات المصرية، وأصبح يُطلق عليها لسنوات «اجتماعات الحدود»، وتهدف للتعاون المشترك لتأمين المنطقة بدلًا من الصراع فيها.

ويختتم قائلًا: حاول الغرب إحياء المُخطَّط نفسه مع الرئيس حسني مبارك، في تسعينيات القرن الماضي، وزار لهذا الغرض، القاهرة، رئيس الأركان الأمريكي، ومعه المخطِّطون من المخابرات الأمريكية، إلا أن مبارك أبلغنا بهذا الموضوع، ورفض أن تشترك مصر في المؤامرة ضد ليبيا.(١)

من ناحيتنا، نرى أن السيد أحمد قذاف الدم، قد أعطى نفسه الحق في أن يدعي ويقول ما يشاء عن علاقته بالرئيس أنور السادات، وأن يقول ما يشاء عن وساطته وتدخُّله، وتأثيره في الرئيس السادات، وإعجاب الرئيس السادات بشخصيته.

---

(١) عبد الستار حتيتة، موقع بوابة أفريقيا الإخبارية، في ١٤ سبتمبر ٢٠١٤.
ttps://www.afrigatenews.net/.../ قذاف-الدم-يروي-بداية-التوتر-بين-السادات-والقذافي.

فإنني قد قرأتُ الكثير مما كُتب عن تلك الفترة، فلم أسمع قط عن المدعو أحمد قذاف الدم إلا في نِطاق بعض الأخبار الاجتماعية وربما الفنية، لعلاقته الوطيدة بالوسط الفني، وكل الكُتب والمراجع والمصادر التي تناولناها لم تذكر شيئًا عن علاقة الرئيس بالسيد أحمد قذاف الدم، ولا وساطته المزعومة لإيقاف الحرب بين مصر وليبيا.



الفصل السابع

القذافي وجبهة الصمود والتصدي

إثر الزيارة التي قام بها الرئيس المصري أنور السادات لإسرائيل يوم ١٩/ ١١/ ١٩٧٧ وإلقائه خطابًا في الكنيست الإسرائيلي، تلبيةً لدعوة مناحيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل، تبدَّت مظاهر الإدانة لزيارة السادات وأغراضها في معظم البلدان العربية على المستويين الشعبي والحكومي.

أ- مؤتمر القمة الأول (طرابلس ١٩٧٧): دعت الحكومة الليبية إلى عَقْدِ مؤتمر قمةٍ لرؤساء الدول العربية التي جاهرت بمعارضتها لمبادرة الرئيس المصري، وأعلنت رفضها لنهجه وسياسته، بُغية دراسة هذا الحدث الذي يُشكِّل منعطفًا خطيرًا في مسيرة النضال العربي ضد الصهيونية وإسرائيل، ومن أجل اتخاذ التدابير التي تصون مصالح الأمة العربية وحقوق الشعب العربي الفلسطيني. وهكذا اجتمع في طرابلس بليبيا رؤساء الجزائر وسورية وليبيا واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وممثل عن الرئيس العراقي.

بدأ مؤتمر القمة هذا أعماله يوم ٢/ ١٢/ ١٩٧٧، وأنهاها في اليوم الخامس منه، وأصدر بيانًا عُرف باسم «بيان طرابلس» وقَّع عليه الرؤساء المشتركون في المؤتمر، ما عدا ممثل العراق الذي وجد أن البيان لا يُحقِّق الأهداف المنشودة.

اهتمَّ المؤتمر كل الاهتمام بزيارة الرئيس المصري للقدس المحتلة، وبالنتائج التي يمكن أن تتمخض عنها في المستقبل، وبالآثار التي يمكن أن تُخلِّفها سياسة الحكومة المصرية في الصراع العربي – الصهيوني، وفي قضية فلسطين والأراضي العربية المحتلة. ووجد المؤتمر أن ذلك كله يُشكِّل خطوة جديدة وخطيرة نحو تنفيذ المخططات الصهيونية – الإمبريالية ضد مصالح الأمة العربية، ومن بين ما تهدف إليه تلك المخططات تحقيق ما يلي:

١) نَسْف إمكانية إقامة سلام عادل ومُشرِّف يحفظ للأمة العربية حقوقها القومية، ويضمن لها تحرير أراضيها المحتلة، وفي مقدمتها القدس، ويضمن للشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية الثابتة.

٢) تمكين القوى المعادية للأمة العربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، من تحقيق مكاسب تُبقي الاختلال بالتوازن الدولي لمصلحة القوى الصهيونية والإمبريالية.

٣) إقامة تحالُفٍ بين العدو الصهيوني والنظام المصري بُغية تصفية قضية فلسطين، وتمزيق الأمة العربية، والتفريط في مصالحها القومية».

أدان المؤتمر في بيانه الختامي زيارة الرئيس المصري للكيان الصهيوني «لأنها تُشكِّل خيانة عظمى لتضحيات شعبنا العربي في مصر وقواته المسلحة ونضالها، ونضال الأمة العربية وتضحياتها ومبادئها. وحيَّا المؤتمر الشعب العربي المصري وقواه الوطنية والتقدُّمية التي ترفض السياسة الاستسلامية التي ينفذها النظام المصري، كما حيَّا الشعب العربي الفلسطيني الصامد في

الوطن المحتل، بجميع هيئاته الوطنية ومنظماته الجماهيرية التي تُناضِل ضد الاحتلال، والتي رفضت زيارة السادات لفلسطين المحتلة».

اتخذ المؤتمر عدة قرارات أهمُّها:

١) العمل على إسقاط نتائج الزيارة، ومباحثات الرئيس المصري مع قادة العدو الصهيوني.

٢) «تجميد العلاقات السياسية والدبلوماسية مع الحكومة المصرية، ووَقْف التعامل معها عربيًّا ودوليًّا، وتطبيق قوانين المقاطعة العربية وأحكامها وقراراتها على الأفراد والشركات والمؤسسات المصرية التي تتعامل مع العدو الصهيوني».

٣) عدم المشاركة في اجتماعات جامعة الدول العربية ومنظماتها التي تُعقد في مصر، ودراسة موضوع نَقْل مقر الجامعة ومنظماتها إلى بلد عربي آخر، ودراسة موضوع عضوية الحكومة المصرية فيها.

٤) مناشدة «الأمة العربية على المستويين الرسمي والشعبي، تقديم الدعم والمساندة الاقتصادية والمالية والسياسية والعسكرية للقُطر العربي السوري، باعتباره أصبح يُشِّكل دولة المواجهة الرئيسة، وقاعدة الصمود والتصدي لمواجهة العدو الصهيوني، وكذلك للشعب الفلسطيني ممثَّلًا في منظمة التحرير الفلسطينية».

وقد وُلدت «الجبهة القومية للصمود والتصدي» في مؤتمر طرابلس نتيجة اتفاق سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية لتشكيل جبهة موحَّدة) تطبيق أسلوب «المقاومة السياسية ضد نظام السادات».

وبالرغم من التحذيرات التي وجَّهها المؤتمر إلى الرئيس المصري، وبالرغم من موقف الرفض والاستنكار الذي عبَّر عنه الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة وخارجها، والمظاهرات التي قامت بها الجماهير في مختلف الأقطار العربية مُعبِّرة فيها عن تأييدها للصمود ورفضها للاستسلام، فقد استمرت الحكومة المصرية في سياستها، وعقدت مع مندوبي إسرائيل اللقاءات والمؤتمرات السياسية والعسكرية في مصر والقدس المحتلة. وظهر في الوقت ذاته أن الرئيس المصري كان يعمل مع الولايات المتحدة وإسرائيل على إيجاد أُسس لحلٍّ منفرد (إسرائيلي – مصري) على حساب الحق العربي في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة والحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، وأنه كان يبذل الجهد من أجل جَرِّ بعض الحكومات إلى تأييد سياسته.

ب- مؤتمر القمة الثاني (الجزائر ١٩٧٨): في إطار هذه العوامل والظروف، وجد رؤساء الأطراف في الجبهة ضرورة عَقْدِ اجتماع يتدارسون فيه هذه العوامل والظروف، ويسعون إلى اتخاذ التدابير لمواجهتها، وللتصدي للمؤامرة التي ازدادت معالمها وأهدافها وضوحًا، فاجتمعوا في مؤتمر جديد بمدينة الجزائر في الفترة ما بين ٢ و٤/ ٢/ ١٩٧٨.

رَصَدَ هذا المؤتمر « تحوُّل النظام في مصر إلى أداة تستخدمها الإمبريالية الأمريكية وحلفاؤها لعرقلة مسيرة الأمة العربية نحو التحرر والتقدم والوحدة، وإعاقة استرداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني». ووجد المؤتمر أيضًا أن الرئيس المصري يعمل ضمن مخطط إسرائيلي – أمريكي

«يرمي إلى تحقيق التصالح مع العدو، والاعتراف بشرعية وجوده، وإقامة علاقات خضوع في المجالات المختلفة، السياسية والاقتصادية والثقافية، وفَتْح الحدود تمكينًا للصهيونية من السيطرة على الوطن العربي وموارده وإمكاناته. كما يهدف المخطط إلى مساعدة إسرائيل على تثبيت مفهومها بشأن التوسُّع والاحتفاظ بالأراضي، بحجة الأمن المزعوم، ويفسح أمامها المجال لتنفيذ الأهداف الرئيسة للصهيونية والإمبريالية المتمثلة في تصفية حقوق الشعب الفلسطيني، وفرض مشروعات تتناقض جذريًّا مع تطلُّعاته الوطنية». وأوضح المؤتمر أيضًا أن المخطط (يستخدم النظام المصري للقيام بدور معادٍ لمطامح الشعوب الأفريقية والعربية) ويرمي «إلى إخراج مصر وبعض الدول العربية من إطار سياسة عدم الانحياز ورَبْطِها بالمعسكر الإمبريالي»، كما يبغي أيضًا «إلحاق ضربةٍ قاسية بالتضامن العربي الهادف إلى حَشْد طاقات العرب ضد العدو الصهيوني لتحرير الأراضي، واستعادة حقوق شعب فلسطين، وخَلْق حالة من الشِّقاق بين الدول العربية تمكينًا لذلك المخطَّط من المرور دون مقاومة عربية شاملة».

بعد أن أوضح المؤتمر هذه الحقائق التي سجَّلها في بيانه الختامي، أكَّد تمسُّكه ببيان طرابلس، وبالقرارات التي صدرت في اجتماع القمة الأول، وحذَّر «أي طرف عربي، حكوميًّا أو غير حكومي، أفرادًا أو مجموعات، من خرق قرارات القمة العربية في الجزائر والرباط، بمحاولة ادعاء التمثيل

الفلسطيني تحت أي عنوان. ذلك أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني». وأعلن المؤتمر رفضه «لكل اتفاق يتم على حساب المصالح العليا للأمة العربية»، وأدان «كل اتفاق يمسُّ حقوق الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة». وأوضح «أن الرئيس المصري لا يملك الصلاحية ولا الشرعية لكي يُمثِّل أو يتفاوَضَ على قضية شعب فلسطين الذي تُمثِّله منظمة التحرير الفلسطينية، ولا يملك شرعية التفاوُض حول الأراضي العربية السورية المحتلة. كما أن الصراع الدائر يهمُّ الأمة العربية بمجموعها، ولا يستطيع الرئيس المصري أن يقرِّر مصير هذا الصراع بمفرده، لأن السلام لن يكون إلا عربيًّا». وكرَّر المؤتمر دعوته للدول العربية «للوقوف بحزم إلى جانب سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية، ودعم موقفهما بمختلف الوسائل»، وطالب الدول العربية «بحشد طاقاتها وتعبئة جهودها بمختلف الوسائل، والعمل على تحقيق التوازن الاستراتيجي بين سورية والعدو الصهيوني».

لم ينقضِ على عقد مؤتمر القمة الثاني للجبهة سوى أسابيع قليلة حتى شنَّت إسرائيل هجومًا واسعًا على جنوبي لبنان يوم ١٥/ ٣/ ١٩٧٨، واحتلته منتهزةً ضعف التضامن العربي، وخروج مصر من ساحة الصراع العربي -الصهيوني. وكانت تهدف بذلك إلى تصفية الوجود الفلسطيني في جنوبي لبنان، والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، أو على الأقل، القضاء على دورها العسكري.

لكن المقاومة الفلسطينية المسلَّحة تمكَّنت، من خلال المعارك التي خاضتها وأثبتت فيها قُدرتها القتالية العالية، وبالتضحيات التي قدَّمتها، وبالتعاون مع القوى الوطنية اللبنانية، أن تَحُولَ دون بلوغ العدو أهدافَه.

ج- مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع (دمشق ١٩٧٨): ومن أجل دعم المقاومة الفلسطينية في نضالها، وبُغية مواجهة نتائج العدوان والاحتلال، اجتمع في دمشق، يومي ١٩ و٢٠/ ٣/ ١٩٧٨، وزراء الخارجية والدفاع لأطراف الجبهة القومية، وحددوا «الإجراءات العملية في المجالين السياسي والعسكري»، واتفقوا على «تقديم معونات عاجلة إلى منظمة التحرير الفلسطينية»، ووافقوا على تقرير أعدَّته «اللجنة العسكرية المنبثقة عن المؤتمر» وقرروا «تقديمه إلى الحكومات المعنية للعمل على تنفيذه»، ورحَّبوا بما أعلنه وزير خارجية سورية في المؤتمر من أن سورية «تدعو كل العرب لتحمُّل مسؤولياتهم فوق أرضها ومن خلالها، وتُرحِّب بأن يأخذوا مواقعهم على جغرافية سورية ما دامت هذه المواقع تخدم أمتنا وتُعزِّزُ مسيرتها النضالية».

استمر الرئيس المصري في سياسته، فوقَّع في كامب ديفيد في الولايات المتحدة (١٨/ ٩/ ١٩٧٨) مع رئيس وزراء إسرائيل، وبحضور الرئيس الأمريكي، على وثيقتين ترسمان أطرًا، وتتضمنان مبادئ تهدف إلى تصفية قضية فلسطين. وكان هذا التطور الجديد سببًا في عَقْدِ دورةٍ ثالثة لمؤتمر القمة لأطراف الجبهة القومية.

د- مؤتمر القمة الثالث (دمشق ١٩٧٨): اجتمع الرؤساء في دمشق في الفترة ما بين ٢٠ و٢٣/ ٩/ ١٩٧٨، وانتهوا إلى استخلاص الحقائق التالية التي ضمَّنوها بيان المؤتمر الختامي:

١) «إن سياسة الرئيس السادات ونتائج كامب ديفيد تُمثِّل امتدادًا للتآمر الأمريكي - الإسرائيلي على الأمة العربية، وقضية فلسطين، وحقوق شعبها».

٢) إن نتائج كامب ديفيد «خرقٌ لميثاق جامعة الدول العربية، ومعاهدة الدفاع المشترك، ومُقرَّرات مؤتمرات القمة العربية»، و«محاولة خطيرة لتصفية قضية فلسطين، ونسف المنجزات السياسية التي حقَّقها الشعب الفلسطيني بكفاحه ودماء شهدائه».

٣) ألحقَ الرئيس السادات «ضربة جديدة إلى التضامن العربي حين أخرجَ مصر من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي» وتخلَّى عن «المفهوم العالمي للسلام العادل في المنطقة الذي يقوم على أساس الانسحاب الكامل من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، والاعتراف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، وخاصة حقَّه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثِّلِه الشرعي والوحيد».

٤) «إن الاتفاقات التي جرى التوصُّل إليها في كامب ديفيد هي جزء من عملية شاملة لبسط نفوذ الإمبريالية الأمريكية والصهيونية وسيطرتها

على مصر والوطن العربي والقارة الإفريقية، ولاستخدام النظام المصري كأداة لضرب حركات التحرر الوطني».

٥) «تُمثِّل اتفاقيات كامب ديفيد إقرارًا من جانب الرئيس السادات بالمخطط الصهيوني الرامي إلى مواصلة اغتصاب التراب الفلسطيني، وإبقاء الضفة الغربية وغزة مستعمرتين تحت سيطرة قوات الاحتلال الصهيوني، وضم القدس لتكون عاصمة لإسرائيل».

٦) إن ما اتفق عليه الرئيس السادات مع العدو الصهيوني «لا يُلزم الأمة العربية، ويُعتبر باطلًا وغير شرعي».

اتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات والتدابير لدعم الجبهة، ولتمكينها من مواجهة المؤامرة، من بينها:

١) رَفْضُ اتفاقات كامب ديفيد ونتائجها وإدانتها، والتصدي لها، وإسقاطها» ومواصلة الكفاح، بمختلف الوسائل، ضد العدو الصهيوني والإمبريالية».

٢) تحديد استراتيجية المرحلة المُقْبِلة وفق الأسس التالية:

دَعْم منظمة التحرير الفلسطينية، وحَشْد طاقات الأمة العربية، وتحقيق تضامن عربي على أساس مكافحة العدو الصهيوني ونتائج كامب ديفيد، ودعوة الدول العربية إلى تحمُّل مسؤولياتها القومية، وإلى اتخاذ مواقف حازمة تجاه نتائج كامب ديفيد، والانضمام إلى الجبهة القومية، وتنبيه الرأي العام العالمي إلى خطورة اتفاقات كامب ديفيد على الأمن والسلام في المنطقة وفي العالم.

٣) «قَطْع العلاقات السياسية والاقتصادية مع النظام المصري، بما في ذلك المؤسسات والشركات، وتطبيق قرارات المقاطعة العربية على الأفراد الذين يتعاملون مع العدو».

٤) «اتخاذ الإجراءات العملية لدعم قوى الصمود التي تُشكِّل سورية قاعدتها الأساسية، والعمل على توفير المستلزمات لإعادة التوازن الاستراتيجي إلى المنطقة بعد خروج النظام المصري من ساحة الصراع ضد العدو الصهيوني».

٥) «إدانة السياسة الإمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية بتحالُفها مع العدو الصهيوني ونظام السادات، واستمرارها في انتهاج سياسة مناهضة لحقوق الأمة العربية وأهدافها، الأمر الذي جعلها عدوًّا، ولا يمكن اعتبارها وسيطًا في المساعي المبذولة لتحقيق سلام عادل في المنطقة العربية».

٦) العمل على نَقْل جامعة الدول العربية ومنظماتها المختلفة من مصر.

٧) «دعم نضال الشعب المصري، ممثلًا في قواه الوطنية والتقدمية، لمواجهة تآمر النظام المصري على القضايا العربية المصيرية».

٨) تأليف لجنة عسكرية من رؤساء أركان أطراف الجبهة لوضع صيغة لتشكيل القيادة العسكرية، والتخطيط لمواجهة العدو، وتحديد مراحل المواجهة، وعرض ذلك على مؤتمر القمة القادم للجبهة لإقراره.

٩) دَعْم منظمة التحرير الفلسطينية والعمل الفدائي ماليًّا وعسكريًّا.

ومن أهم ما انتهى إليه مؤتمر دمشق إصدار الرؤساء إعلانًا يتضمن مبادئ الجبهة القومية للصمود والتصدي وأهدافها ومؤسساتها. وأهم ما ورد في ذلك الإعلان:

أ) يجب أن تكون الجبهة القومية للصمود والتصدي:

(١) قاعدة للنضال القومي وتعبئة جماهير الأمة العربية وطاقاتها لتحقيق الأهداف العليا.

(٢) أداة الأمة العربية في معركتها ضد الصهيونية، والإمبريالية، ومن أجل الصمود والتحرير.

(٣) قوة عربية منفتحة على كل القوى العربية التي ترغب في تحمُّل مسؤولياتها القومية».

ب) تلتزم الجبهة بتحقيق الأهداف القومية الأساسية التالية:

(١) العمل على تحقيق الوحدة العربية، ودعم النضال الوحدوي.

(٢) «اعتبار قضية فلسطين قضية العرب الأساسية، ومن ثم لا يجوز لأي طرف عربي التنازل عن هذا الالتزام أو المساس به، أو القيام بأي إجراء من شأنه الإضرار بقضية فلسطين، وبالحقوق القومية والتاريخية للشعب العربي الفلسطيني».

(٣) «التحرير الكامل لجميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة».

(٤) «الالتزام باسترداد الحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين، بما في ذلك حقُّه في العودة وتقرير المصير، وإقامة دولته الوطنية المستقلة في فلسطين، وعدم التفريط في قضية فلسطين أو المساومة عليها».

(٥) دَعْم كفاح الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

(٦) حَشْد الطاقات العربية، العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية، واستخدامها في الصراع ضد العدو الرئيسي الممثَّل في الوجود الصهيوني والإمبريالية والاستعمار.

ج) تقوم الجبهة من أجل تحقيق أهدافها بالمهام التالية:

(١) «إقرار خطة العمل السياسي في المجالين العربي والدولي بشكل يؤدي إلى تعزيز الموقف القومي، ويخدم أهداف الجبهة الأساسية، ويسقط السياسات الاستسلامية والانهزامية».

(٢) «إقرار المسائل المتعلِّقة بالسِّلم والحرب، قيادة شؤون الدفاع وتنظيمها، وإقرار الخطط المتعلِّقة بذلك».

(٣) «اتخاذ القرارات بتوفير وسائل الدعم المالي والاقتصادي والعسكري للمواجهة».

(٤) «مشاركة الطرف الذي يتعرض لأي عدوان، بمختلف الوسائل، بما فيها القوة المسلحة، على اعتبار أن العدوان على عضو في الجبهة هو عدوان على جميع أعضائها».

د) تتألف الجبهة من الأجهزة التالية:

(١) القيادة العليا: وتضم رؤساء الأطراف الأعضاء في الجبهة، وتجتمع مرة كل ستة أشهر، أو كلما دَعَت الحاجة.

(٢) اللجنة السياسية: وتضم وزراء الخارجية الأعضاء في الجبهة، ومهمتها متابعة تنفيذ قرارات القيادة العليا، واقتراح خُطط العمل السياسي. وتجتمع مرة كل ثلاثة أشهر، أو كلما دَعَت الحاجة.

(٣) اللجنة الإعلامية: وتضم وزراء الإعلام الأعضاء في الجبهة. ومهمتها اقتراح الخطط الإعلامية، ومتابعة تنفيذ القرارات المتعلقة بالإعلام. وتجتمع مرة كل ستة أشهر، أو كلما دَعَت الحاجة.

(٤) القيادة العسكرية: ويتم تأليفها بقرار من القيادة العليا تُحدَّد فيه صلاحياتها واختصاصاتها ومهامها وارتباط القوات المسلحة لأطراف الجبهة بها.

(٥) يحق لكل دولة عربية تلتزم بمبادئ الجبهة وأهدافها أن تصبح عضوًا فيها.

هـ- مؤتمر القمة الرابع (طرابلس ١٩٨٠): عاد رؤساء أطراف الجبهة إلى الاجتماع، فعقدوا مؤتمر قمة رابعًا في طرابلس بـ(ليبيا) من ١٢ إلى ١٥/ ٤/ ١٩٨٠، وانتهوا فيه إلى تأكيد قراراتهم التي اتخذوها في المؤتمرات السابقة بشأن قضية فلسطين والنزاع العربي – الإسرائيلي، ورأوا أن الجبهة أصبحت «نواة للموقف العربي الرافض للنهج الاستسلامي»، ودعوا إلى تطويرها «وتجنيد طاقات أطرافها وتجسيد مؤسساتها» ليصبح

عملها «أكثر فعالية في التصدي للمؤامرة وتحدياتها، وتعميق التضامن العربي على قاعدة مواجهة مخططات كامب ديفيد وإسقاطها».

واتخذ المؤتمر قرارات عديدة، من أهمِّها:

١) تشكيل مؤسَّسات الجبهة الواردة في إعلان دمشق، ومُباشرتها عملها.

٢) التشديد على حق الثورة الفلسطينية في العمل من جميع الجبهات العربية، ودعوة الأردن إلى تمكين الثورة الفلسطينية من ممارسة دَوْرها عبر الجبهة الأردنية.

٣) مقاومة أي محاولة تستهدف الالتفاف على الموقف العربي، ورَفْضُ أية تسوية لقضية فلسطين على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، أو أي تعديل ينطلق من القرار المذكور.

وقرَّر المؤتمر أيضًا «تشكيل قوة عسكرية وأمنية مشتركة للجبهة» يتولى قيادتها ضابط سوري يساعده ضباط أركان حرب من بقية أطراف الجبهة.



الفصل الثامن

نهاية القذافي

قبل أن نتعرَّض للنهاية المؤلمة للرئيس القذافي. لنلقِ نظرةً على طبيعة ما حدث في منطقة الشرق الأوسط أو ما يُعرف بالربيع العربي، الذي بدأ في تونس في عام ٢٠١٠.

في حوار أجرته صحيفة «الأهرام» المصرية مع الكاتب والمحلل السياسي محمد حسنين هيكل قبل وفاته، أشار هيكل إلى أن ما نراه الآن ليس مجرد ربيع عربي تهبُّ نسماته على المنطقة، وإنما هو تغيير إقليمي ودولي وسياسي يتحرك بسرعة كاسحة على جبهة عريضة ويُحْدِثُ آثارًا عميقة ومحفوفة بالمخاطر أيضًا. وقال: «ما نراه في هذه اللحظة هو مشروع قومي يتهاوى، وبقاياه تجري إزاحتُها الآن، ومشروعات أخرى تتسابق إلى الفراغ، بعد أن أضاع ذلك المشروع مكانه وزمانه».. وأضاف: «أكاد أرى الآن خرائط كانت مُعلَّقة على الجدران تُرفع وتُطوى؛ لأن المشاهِد اختلفت، فالمواقع العصية تأدَّبت أو يجري تأديبها، والمواقع الضائعة استُعيدت أو أنها تُستعاد الآن، وكل ذلك تمهيد لفصلٍ في شرق أوسط يُعاد الآن تخطيطُه وترتيبه وتأمينه، حتى لا يفلت مرة أخرىً كما حدثَ عندما راود العرب حلم مشروعهم القومي، وتبدَّى لسنوات كأن هذا المشروع القومي العربي هو شكل المستقبل.

وأوضح هيكل قائلًا: «على الساحة الآن بالتحديد ٣ مشروعات ونصف.. الأول غربي يبدو مصممًا ولديه فعلًا من أدوات الفعل والتأثير ما يُشجِّع طلابه، والثاني مشروع تركي يبدو طامحًا، والثالث مشروع إيراني يؤذن من بعيد على استحياء، ثم أخيرًا نصف مشروع أو شبح مشروع إسرائيلي يتسم بالغِلظة، مشيرًا إلى أن المشروع الغربي وهو أمريكي أوربي يزحف على خطين، وبحركة كماشة على الجناحين تُطوِّق وتُحاصِر، الخط الأول مرئي مسموع محسوس ومسعاه إغراق المنطقة في صراعٍ إسلامي – إسلامي، وبالتحديد سني شيعي، وقد بدأ زَحْفُ هذا الخط من عدة سنوات، عندما سقط النظام الإمبراطوري في إيران، وحَلَّ محله نظام الثورة الإسلامية.. أما الخط الثاني لهذا المشروع الأمريكي – الأوروبي فهو الخط الموازي لخط الفتنة الذي يزحف بسرعة لافتة حتى يسبق غيره والمتمثِّل في تقسيم المنطقة على طريقة «سايكس بيكو» مع تعديل ما تقتضيه متغيرات الأحوال، مبينًا أن «الخرائط الجديدة لا تُوزِّع إرث الخلافة العثمانية، بل توزِّع إرث المشروع القومي العربي الذي تمكَّن من طرد الاستعمار الغربي في مرحلة سابقة، وحاولَ أن يملأ الفراغ وعجز.. وأن دولة الخلافة العثمانية لم تستطع أن تحمي أملاكها، وهكذا جرى إرثها، وأن المشروع العربي لم يستطع أن يحمي نفسه، وهكذا اليوم يتوزع إرثُه.

واستطرد هيكل قائلًا: «سايكس بيكو الأولى كانت خطًّا على خريطة، يصل من (الكاف) إلى (الكاف).. الكاف في عكا والكاف في كركوك

ويفصل الشمال.. هذه المرة ليس هناك خطٌّ فاصل، بل هناك مواقع متناثرة.. التقسيم في المرة الأولى كان تقسيماً جغرافيًّا وتوزيع أوطان، ولكن التقسيم هذه المرة تقسيم موارد ومواقع، وبوضوح، فإن ما يجري تقسيمه الآن هو أولًا النفط وفوائضه.. نفط ليبيا وفوائضه بعد نفط العراق وفوائضه. وَصَفَ مدير مكتب صحيفة «النيويورك تايمز». د. كيرباتريك ما حدث في الدول العربية بأنهم «قبائل ترفع أعلامًا». وعندما ذهب إلى ليبيا كتب يقول: «هل من الممكن أن تكون المعركة في هذا البلد صدامًا بين ديكتاتور ومعارضة ديموقراطية، أم أن ما يحدث هو بشكل أساسي حرب بين قبائل أهلية؟

بمجرد انتشار الثورة في مجتمع بناؤه قبلي، من الصعب التمييز أين ستنتهي الدعوة للديموقراطية، ويبدأ السعي لأن تحوز قبيلة ما تملكه قبيلة أخرى. بدأ التمرُّد ضدَّ الزعيم الليبي معمر القذافي في فبراير ٢٠١١ في الجزء الشرقي من البلاد، ولم يمتد إلى العاصمة طرابلس، أي لم يكن يشمل كل الأراضي الليبية. من الصعب تفسير هذا على أنه من قبيل المصادفة، ففوق رؤوس المنتفضين ضد القذافي كانت تُرفرف أعلام الملك إدريس السنوسي، الذي أُطيح به عام ١٩٦٩، والذي وُحِّدت البلاد في عهده، إلا أنه لم يفعل كما فعل القذافي المعادي للقبائل التي تعيش في برقة الغنية بالنفط، بالإضافة كذلك إلى الأخوة الدينية السنوسية التي أصبح ملك ليبيا زعيمها في أثناء وجوده على العرش. أما القذافي الذي أطاح بالملك إدريس فقد اعتمد على قبائل أخرى في طرابلس.

القذافي شخصية سياسية مُعقَّدة إن لم يكن أكثر من ذلك، وشخصيته غير المتوقعة أفعالها وشعبيته على مدى ٤٢ عامًا من الحكم في ليبيا استعديا عليه الغرب، والكثير من قادة بعض الدول العربية، خاصة الأنظمة الملكية، غير أن الشركات الأمريكية والإيطالية والفرنسية وقَّعت عقودًا بمئات الملايين من الدولارات مع القيادة الليبية. وبعد عام ٢٠٠٤ تم رفع العقوبات عن ليبيا، التي اعترفت بمسؤوليّتها عن حادث لوكيربي، لكن في لحظة الانتفاضة، دعَّمت كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ودول أخرى... المتمردين على القذافي. وظلَّت المسألة الليبية على مدى أسابيع كثيرة تتصدر الأنباء في العالم وفي التليفزيونات، نغمة البث التليفزيوني كانت تصنعها السي إن إن، وقناة الجزيرة التي تُبث من قطر، وركَّزت على أن القذافي سيقتل المواطنين المسالمين؛ إلى جانب هذا لم يُظهِروا للمشاهدين ما يؤكِّد هذا، باستثناء تجمُّعات جماهيرية ترقص وتُطلِق النار من كل أنواع الأسلحة في الهواء، كدليل على الانتصار على القذافي[١] .

١٥-١٧ فبراير ٢٠١١: بدأت احتجاجات لا سابق لها ضد نظام القذافي، وقمعتْها قواتُ القذافي بعنف، باستخدام القوة المفرطة، وخصوصًا في بنغازي (ألف كلم شرق طرابلس).

---

(١) يفيجيني بريماكوف، الكواليس السرية للشرق الأوسط، ترجمة نبيل رشوان، المركز القومي للترجمة ٢٠١٦.

– ١٩ مارس: بدأَ هجوم لقوات التحالف على ليبيا بقيادة واشنطن ولندن وباريس، بعد ضوء أخضر من الأمم المتحدة. وفي ٣١ آذار/ مارس، تولَّى حلف شمال الأطلسي قيادة العمليات.

– ٢٠ أكتوبر: مَقْتل معمر القذافي في سرت (٤٥٠-كلم شرق طرابلس) بعد حصارٍ دام أسابيع، والعثور على ابنه المعتصم ميتًا في المدينة.

– ٢٣ أكتوبر: المجلس الوطني الانتقالي الذي فَرَضَ نفسه على الساحة الدولية يعلن «التحرير الكامل» لليبيا. وأسفر النزاع الذي استمر ثمانية أشهر عن مَقْتل أكثر من ٣٠ ألف شخص.

– ٣١ أكتوبر ٢٠١١: انتهاء عملية حلف شمال الأطلسي الجوية.

تظلُّ الظروف التي لقيَ فيها العقيد الليبي حتفه غامضة. لكن تواردت تقارير عن المعلومات كالتالي:

بعد سقوط طرابلس في أغسطس ٢٠١١ ظلت مدينة سرت مسقط رأس القذافي من الجيوب القليلة التي تحصَّنت فيها قوات «كتائب القذافي» الموالية له.

شنَّت قوات المجلس الوطني الانتقالي هجومًا شديدًا على المدينة، وتمكَّنت من دفع مؤيدي القذافي ناحية البحر. وتركَّزت مقاومة عنيفة من جانب كتائب القذافي في الحي الثاني شمال غربي المدينة. ويبدو أن بعض القوات الموالية للقذافي حاولت في الساعات الأولى من يوم الخميس الهروب من المدينة.

حاولَ موكب من سيارات مدرعة – قالت تقارير إنها تُقلُّ كِبار مناصري القذافي وابنه المعتصم – اختراق صفوف قوات المجلس الانتقالي.

ومن غير الواضح ما إذا كان القذافي نفسه في الموكب أو ما إذا كان الموكب جزءًا من خطة تمويهية لتمكين القذافي من التسلُّل خارج المدينة.

كما أفادت تقارير أنه في الساعات الأولى هاجمت طائرة تابعة لمنظمة حلف شمال الأطلنطي (الناتو) وفقًا لمراسل صحيفة الديلي تلغراف البريطانية بن فارمر على بُعد ٣ـ ٤ كيلومترات غرب المدينة. وأظهرت بعض الصور القذافي حيًّا في قبضة قوات المجلس الانتقالي قُبيل موته، وتبادلَ الحديث مع مقاتلي المجلس الانتقالي قائلًا: «حرام عليكم»، في حين نُقل عن شاهد عيان قوله: إن القذافي قال للشخص الذي أمسكه في البداية: «ماذا عملت لك أنا؟»

وتناقلت مواقع الإنترنت صورًا عنيفة للقذافي وهو يُجرُّ ويَضربه مقاتلو المجلس الانتقالي. وأظهرت شرائط تسجيل مُصوَّرة جثته. وبثَّت وكالة الأنباء الفرنسية صورًا لنفق إسمنتي قيل إن القذافي لجأ إليه للاختباء. وتظهر كتابات على فتحة النفق بالعربية: «هنا مكان اختباء الجرذ، الله أكبر».

وقال أحد أفراد قوات المجلس الوطني للبي بي سي إنهم عثروا على القذافي مختبئًا في حفرة، وأنه توسَّل إليهم ألَّا يطلقوا الرصاص. ولوَّح هذا الشخص بمسدس ذهبي، قال إنه أخذه من القذافي. وقال شخص آخر إنه كان شاهد عيان، وأنه رأى الرصاص يُطلَق على القذافي من مسدس عيار

٩ ملم في البطن، وذلك في الساعة الثانية عشرة والنصف ظُهر الخميس بالتوقيت المحلي. وقد نُقلت جثة القذافي إلى مدينة مصراتة.[١]

رواية السائق الخاص لمعمر القذافي عن نهايته

كشفَ حنيش نصر السائق الخاص للزعيم الليبي السابق معمر القذافي تفاصيل جديدة للحظات الأخيرة التي سبقت مقتله، وما سَبَقَها من فترة هروبه بعد سقوط العاصمة طرابلس في يد الثوار الليبيين، وقد بقيَ نصر ومعه رئيس أمن القذافي «منصور ضو» الشاهدين اللذين يمكنهما كشف التفاصيل الغامضة لأيامه الأخيرة، ولحظات ما قبل مقتله، حيث كانا برفقته خلال تلك الفترة.

ويقول نصر: «عملتُ سائقًا خاصًّا للقذافي لنحو ٣٠ عامًا، وفى ١٧ مارس الماضي طلب مني إنهاء عملي معه، عُدتُ إلى سرت، ولم أرَ العقيد حتى سبتمبر بعد أن غادر طرابلس بصحبة أربعة من رجاله».

ولقد قضيتُ الأيام الخمسة الأخيرة من الحصار مع الزعيم في سرت، كنا نتنقلُ من منزل لآخر، وكان القصف قريبًا وعنيفًا، حيث احتل المقاتلون الحي المجاور لمخبئنا».

(١) موقع بي بي سي عربي. ٢٠ أكتوبر ٢٠١١ .
www.bbc.com/arabic/middleeast/2011111020/10/_gaddafi_last

وعن اللحظات الأخيرة من حياة القذافي قال: «وقف القذافي مُودِّعًا مدينة سرت، ناظرًا بحيرةٍ إلى أطلالها التي بدت كأن أبواب الجحيم قد فُتحت عليها، فكل شيء حوله كان مُدمَّرًا من أثر التفجيرات. وبعد أن توقَّف الركب بفعل القصف الذي تعرضنا له، شاهدتُ مجموعة من الثوار المقاتلين يتجهون نحونا، لم يكن العقيد خائفًا، لكنه بدا كأنه لا يعرف ما ينبغي له فِعله، كانت المرة الأولى التي رأيته فيها في موقف كهذا».

ويُتابِع نصر: «رفعتُ يدي لأعلى مع اقتراب الثوار المدجَّجين بالسلاح، صدمني أحدُهم بمؤخرة بندقيته، فسقطتُ أرضًا، شاهدتُ بعضهم يسحبون العقيد من داخل إحدى أنابيب الصرف قبل أن أسقط فاقدًا للرؤية بشكل جزئي، ألقيتُ بصعوبة نظرة أخيرة عليه، وقد احتشد الثوار حوله، ثم انهمرت الضربات على كلينا.»

وقال نصر عن الحرس القديم للقذافي: «إن بقيَ منهم أحد على قيد الحياة فمن المحتمل أن يكونوا قد فرُّوا، أو ألقى الثوار القبض عليهم، لم يعد لديَّ عِلم بأماكنهم ولا مصائرهم».

وأوضح نصر أن القذافي بدا في أيامه الأخيرة كأنه قد فَقَدَ القُدرة على فَهْم ما يدور حوله قائلًا: « كان غريب الأطوار،لكنه بدا في الوقت نفسه صامدًا وغير خائف».

«كنتُ سائقه الخاص لثلاثين عامًا، ولم يُسئ التعامل معي يومًا، كنت أتقاضى منه راتبًا يُقدر بـ ٨٠٠ دينار، أي ما يزيد قليلًا عن ٣٠٠ دولار أمريكي، كما منحنى منزلًا في سرت ».

ذات يوم اقتيد سائق القذافي إلى سيارة، اندفعتْ به إلى قلب الصحراء، حيث تمكَّن من رؤية ضريح مطموس المعالم لرجل لم يكن يعتقد أن يكون مصيره قاتمًا على هذا النحو، فيما بقي مصير حنيش نصر بعد مقتل سيده مجهولًا إلى حدٍّ بعيد»[1].

كما أفصح السفير الليبي في السعودية، محمد سعيد القشاط، في عهد العقيد الليبي معمر القذافي عن اللحظات الأخيرة التي أودت بحياة زعيم ليبيا السابق في العشرين من أكتوبر ٢٠١١. وقال القشاط: إن مكالمة سورية أودت بحياة القذافي، والتي اعتبرها القشاط «غلطة القذافي»، حيث اتصلَ القذافي بقناة تلفزيونية سورية، ما مكَّن الناتو من تحديد موقع اختبائه، بحسب ما نشرته روسيا اليوم. وكشف القشاط آخر سفراء عهد القذافي بالمملكة العربية السعودية عن تفاصيل اللحظات الأخيرة في حياة عقيد ليبيا التاريخي بقوله: «عندما أحسَّ القذافي بالخطر خرج مع ٧٠ رجلًا، من بينهم أبو بكر يونس جابر وزير الدفاع، لكن طائرات الأباتشي الفرنسية رصدتهم، فدخلوا في نفق

---

(١) مقال «اللحظات الأخيرة في حياة معمر القذافي يرويها سائقه الخاص بالتفاصيل» نشر بواسطة: mido_elbrns بتاريخ: ٢٠١١-١٠-٢٨

٤- موفع إكسترا نيور .. ttps://www.extranews.tv

مجهَّز لمياه السيول، الذي قيل عنه إنه للصرف الصحي»، وتابَع القشاط: إن طائرات أباتشي فرنسية أطلقت غازات سامة وصواريخ، أدت إلى إصابة القذافي قبل أن يلقى حتفه على أيدي مسلحي مصراتة في ٢٠ أكتوبر ٢٠١١.

ومع ذلك فهناك روايات عديدة تدور حول كيفية قتل القذافي، ومكان الجثة ومدفنه.

ففي اليوم الثاني لمقتل العقيد الليبي، ظهرَ المزيد من الملابسات حول مقتله بظهور شريط فيديو آخر التُقط عبر هاتف جوال لأحد الثوار يظهر فيه القذافي وهو يطلب الرحمة من آسريه، بينما أفادت مصادر بأن جثة العقيد محفوظة في مستودَع مُبرد فيما كانت سوقًا لبيع اللحوم في مصراتة.

وبيَّنت شهادة حصلت عليها صحيفة الشرق الأوسط، إصابته في اشتباك بطلقات في الرأس والصدر، بالإضافة إلى وجود آثار لـ ٣ عمليات جراحية قديمة. وأرسل مصدر في مستشفى مصراتة نسخة لـ«الشرق الأوسط» من شهادة وفاة القذافي. وصدرت الشهادة من مكتب السجل المدني (المكتب الشعبي) لمدينة مصراتة. وجاءت بياناتها كالتالي:

«اسم المتوفَّى: معمر محمد أبو منيار القذافي»،

«النوع: ذكر»،

«الجنسية: ليبيّ»،

«الديانة: مسلم»،

«مكان السكن: شعبية (محافظة) طرابلس».

«تاريخ الوفاة يوم ٢٠ أكتوبر ٢٠١١ الموافق الخميس، العشرين من أكتوبر سنة ألفين وأحد عشر».

(مكان الوفاة وسببها): خارج المستشفى «سلاح ناري أدَّى إلى إصابة بالرأس من الجانب الأيسر، وبمنتصف الصدر. «يوجد آثار عملية جراحية بالبطن من الجهة اليسرى، وأخرى من الجهة اليُمنى، وثالثة بالرجل اليسرى، وكل العمليات قديمة».

وتم تذييل الشهادة باسم الطبيب الدكتور مجدي حسن.

وكشفت مقاطع الفيديو التي تداولتها مواقع التواصل ووسائل الإعلام العربية والعالمية اللحظات الأخيرة في حياة القذافي، التي أظهرت آخر كلمات القذافي، حيث صرخ في وجه الثوار الذين ألقوا القبض عليه قائلًا: «حرام عليكم»، وكان ردُّ أحدهم: «أنت ما تعرف الحرام»، وحاصر الثوار العقيد الذي كان جسده ملطخًا بالدماء، والذي انهالوا عليه بالضرب، في حالةٍ من عدم تصديق اللحظة التاريخية التي هم بصدد صناعتها.

فالعقيد القذافي، الذي حكم بلاده ٤٢ عامًا بالحديد والنار، أمام أعينهم عاجز عن الحركة والكلام، وفتَّش بعض عناصر الثوار القذافي خوفًا من أن يكون معه سلاح، بينما التقط آخرون الصور له، وحملَ الثوار القذافي إلى إحدى السيارات، حيث تم اصطحابه إلى مدينة مصراتة ليتلقى العلاج بعد إصابته برصاصتين أصابتا جسده ورأسه، وَفْق تقرير الطب الشرعي في ليبيا،

إلا أن روحه صعدت إلى بارئها. وانتشر الكثير من مقاطع الفيديو لحادثة إلقاء القبض على القذافي، التي قابَلها الثوار بالتكبير والتهليل، واستخدامهم الألفاظ نفسها التي كان يستخدمها القذافي خلال خطاباته في أثناء الثورة، وأبرزها: «يا جرذ، يا جرذ»، في إشارة منهم إلى العقيد معمر القذافي.

من ناحيته، قال مسؤول في المجلس الانتقالي لـ«الشرق الأوسط»، شريطة عدم تعريفه، إن المستشار مصطفى عبد الجليل، رئيس المجلس الوطني الانتقالي، مستاء من الطريقة التي قُتل بها القذافي على اعتبار أنها أضاعت على الشعب فرصة تاريخية لاعتقال القذافي وتقديمه حيًّا للمحاكمة عما اقترفه بحق ليبيا على مدى سنوات حكمه الـ ٤٢ ، وأضاف: «كان بالإمكان تجنُّب كل ما حدث.. تصوَّر، لو اعتقلنا القذافي حيًّا وقدَّمناه للعالم في قفص الاتهام، إنه مشهد تاريخي سيحظى باهتمام كل سكان الكرة الأرضية من دون جدال».

وأوضح أن عبد الجليل غاضب أيضًا من استغلال بعض قيادات الثوار لمقتل القذافي، والإعلان عنه دون انتظار صدور بيان أو إعلان رسمي من المجلس الوطني الانتقالي باعتباره الجهة الممثِّلة للثوار والمفوَّضة بالتحدث رسميًّا أمام الشعب الليبي والعالم. وأضاف: «عبد الجليل وأعضاء المجلس استاؤوا من الخروج المتعمَّد لعبد الحكيم بلحاج، مسؤول المجلس العسكري لطرابلس، لإعلان مقتل القذافي، وطريقة قتل القذافي أساءت للمجلس، كما

يقول معظم أعضائه»، وتابَع: «من الواضح أن أعضاء المجلس وُضعوا في موقفٍ محرج، وهم الآن كما ظهروا في الفضائيات في تضارُب عن كيفية مقتل القذافي ومحاولة تبرير ذلك». ويقول قادة عسكريون ومسئولون في المجلس الانتقالي: إن التعليمات المعطاة للثوار تتمثَّل في محاولة اعتقال القذافي حيًّا وعدم الاعتداء عليه أو التمثيل به إذا تم أسرُه، والحفاظ على حياته بقدر الإمكان، تمهيدًا لجلبه أمام القضاء الليبي».

وسَبَقَ أن تعهَّد رئيس المجلس الانتقالي بحُسن معاملة القذافي في حال اعتقاله، كما هدَّد بإعلان استقالته إذا ما استمر الثوار في ارتكاب ممارسات تُمثِّل إخلالًا بحقوق الإنسان، علمًا بأن العديد من المنظمات المحلية والدولية انتقدت هذه الممارسات بشكل علني.

وكان الدكتور محمود جبريل، رئيس المكتب التنفيذي للمجلس الانتقالي، قد أعلن أن القذافي قُتل برصاصة في الرأس، وقال: «عندما وجدوه كان في صحة جيدة ومسلحًا»، لكن «عندما تحركت الآلية عَلِقَ في تبادل لإطلاق النار بين المقاتلين الموالين للقذافي والثوار، وقُتل برصاصة في الرأس»، مؤكِّدًا أنه كان «على قيد الحياة حتى وصوله إلى المستشفى».

وقال إبراهيم تيكا، الطبيب الذي فحص جثة القذافي، إنه أصيب بجروح مميتة.. برصاصة في أحشائه بعد اعتقاله، وأضاف: «في أثناء القبض على القذافي، كان حيًّا، لكنه قُتل لاحقًا، فكانت هناك رصاصة – وهذا

ما يُرجِّح (أنها) سبب وفاته الأولية - اخترقت الأحشاء ثم كانت هـناك رصاصة أخرى دخلت وخرجت من رأسه».

وعَقَدَ المجلس الوطني الانتقالي اجتماعًا في مقره ببنغازي لإعداد البيان الذي يتضمّن إعلان تحرير ليبيا، والسقوط الرسمي لنظام القذافي بمصرعه، بالإضافة إلى بحث الترتيبات الخاصة بدفن القذافي.

وقال علي الترهـوني، وزير النفط في المجلس الانتقالي، إن دفن القذافي أُجِّل بضعة أيام إلى حين الانتهاء من الترتيبات الخاصة بموقع الدفن، مشيرًا إلى أنه طلب من المسؤولين الاحتفاظ بالجثة في «البراد» في مدينة مصراتة بضعة أيام للتأكد أن الكل عرف أن القذافي مات. وحين سُئل عن ترتيبات الدفن وأين سيدفن القذافي؟ قال: إنه لم يُتخذ قرار بعد، حيث يحتفظ المقاتلون بجثة القذافي في وحدة تبريد في سوق قديمة لبيع اللحوم بالمدينة، لكن عبد السلام عليوة، أحد قادة الثوار في مصراتة، قال: إن القذافي سيُدفن وفقًا للشعائر الإسلامية خلال ٢٤ ساعة، وإن جثته بها طلقة واضحة في الرأس، وقال عليوة: إن القذافي سيحصل على حقِّه كأي مسلم، وإن جثته ستُغسل وتُعامل بإكرام. وتوقَّع دفن القذافي خلال ٢٤ ساعة، لكنه ذكر في المقابل أنه لا يعرف حتى الآن مكان الدفن.

يبدو أن ترتيبات الدفن تتضمن الحصول على موافقة قبيلة القذاذفة التي ينتمي إليها القذافي، بالإضافة إلى أسرته، حيث أعلن عبد المجيد مليقطة،

وهـو قائد عسكري كبير في المجلس الانتقالي، إن أفرادًا في قبيلة القذافي على اتصال بمجموعة من المقاتلين المناهضين له لمناقشة إمكانية توليهم مهمة دفنه. وقال: إنه إذا كان رجال القبيلة مستعدين للاعتراف بأن القذافي ينتسب إليهم فإن المقاتلين سيسلمون الجثة لأفراد في قبيلة القذاذفة، ويُحمِّلونهم مسؤولية دفنها في موقع سري.

وأضاف مليقطة في تصريحات نقلتها وكالة «رويترز»: إنه إذا كان رجال القبيلة لا يرغبون في تسلُّم الجثة، فإن مقاتلي المجلس الوطني الانتقالي سيدفنونها بأنفسهم في سرية مع جثث مسلحين في حاشيته قُتلوا معه بالقرب من مسقط رأسه بمدينة سرت...

وبينما يقول مسؤول في المجلس الانتقالي: إنه من المرجَّح دفن القذافي في مسقط رأسه بمدينة سرت، حيث قُتل، فإن الأصوات تتصاعد من بعض المتشددين مطالبة بدفن القذافي خارج ليبيا، أو في مكان غير معلوم حتى لا يتحول إلى ضريح أو ذكرى للأجيال المقبلة.

من جانبه، نفى عبد الحفيظ غوقة، نائب رئيس المجلس الوطني الانتقالي الليبي والمتحدث باسمه، لـ«الشرق الأوسط» التمثيل بجثة القذافي.

وكان الكثير من الأقوال والتعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام قد تناول تعمُّد الثوار قتل العقيد رغم كونه حيًّا وقت

القبض عليه، كذا تعمُّد التمثيل بجثته والتجوُّل بها في الشوارع لالتقاط الناس الصور التذكارية له فرحةً بإلقاء القبض عليه.

لكن غوقة نفى ما تردَّد حول ما شاع بشأن تمثيل الثوار بجثة القذافي، حيث قال: «نُقل القذافي فور إلقاء القبض عليه من سرت إلى مدينة مصراتة، لكنه كان يحاول الفرار من الثوار، وهـذا ما جعلهم يُحْكِمون القبضة عليه حتى لا يفرَّ». ومع كل هـذه الملابسات لا يعتزم المجلس الوطني التحقيق في ملابسات مقتل القذافي.

كما طالبت، صفية فركاش، أرملة القذافي، التي تحدثت إلى قناة «الرأي»، الموالية للقذافي، التي تبُث من سوربا، وفقًا لما أعلنه مالكها العراقي مشعان الجبوري. وطبقًا لما نشره الجبوري على صفحته الخاصة على موقع «الفيس بوك» للتواصل الاجتماعي، قالت صفية فركاش في اتصال هاتفي من مقر إقامتها الحالي في الجزائر: «أفخر ببسالة زوجي المجاهد معمر القذافي وأولادي الذين تصدوا لعدوان ٤٠ دولة وعملائها على مدار ٦ أشهر، وأحتسبهم عند الله مع الشهداء والصِّديقين». وبعدما طالبت الأمم المتحدة بالتحقيق في ملابسات وفاة زوجها، الذي وصفته بالمجاهد، وابنها المعتصم، شكرت قبائل سرت وكل الليبيين الذين قاتلوا مع المعتصم في البريقة وسرت، مُعْرِبة عن استغرابها من صمت قبيلة المجابرة عن استشهاد ابنهم

(الفريق أول) أبوبكر جابر يونس، وزير الدفاع الليبي، الذي لقي حتفه أيضًا خلال المواجهات التي دارت في سرت بين الثوار وفلول قوات القذافي.

لكن مكتب حقوق الإنسان في الأمم المتحدة دعا... إلى فتح تحقيق كامل في موت القذافي، وعبَّر عن قلقه من احتمال أن يكون قد أُعدم، حيث قال روبرت كولفيل المتحدث باسم المكتب في مقابلة مع وكالة رويترز: «هنالك الكثير من الغموض بشأن ما حدث بالفعل. هناك روايات ٤ أو ٥ عن طريقة موته» وتابع: «لسنا في وضع يسمح لنا بقول ماذا حدث حينها، لكننا نشعر أن من المهم للغاية توضيحٍ هذا، لذا يجب أن يكون هناك تحقيق جاد فيما حدث وفي أسباب وفاته»، وسئل عما إذا كان يشعر بالقلق من احتمال إعدام القذافي خلال أسْرِه، فقال كولفيل: «يجب أن يكون هـذا أحد الاحتمالات عندما تشاهد تسجيلي الفيديو. ومن ثم فهو أمر بحاجة لإجراء تحقيق»، مشيرًا إلى أن من المبادئ الأساسية للقانون الدولي أنه يجب محاكمة المتهمين في جرائم خطيرة إن أمكن، إلى ذلك، أجَّلت الخلافات بين المجلس الوطني الانتقالي والثوار المسلحين إعلان تحرير ليبيا بعد مقتل العقيد المخلوع بسبب اعتراض قادة الكتائب العسكرية وسرايا الثوار على إعلان التحرير من العاصمة الليبية، طرابلس.

وقد أعدَّ السفير الأمريكي في طرابلس «دجين كريتز» تقريرًا حول شخصية العقيد معمر القذافي «بطل القِمم العربية»، الذي كان ينوي زيارة نيويورك للمشاركة ضمن اللقاء السنوي للجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠٩،

وقد جاء في التقرير الذي سَرَّبت جزءًا من تفاصيله «ويكيليكس»: «العقيد الليبي معمر القذافي شخصية متقلِّبة وغرائبية، فهو غريب الأطوار وغير مستقر نفسيًّا، فحقيقة القذافي أنه ذو شخصية مُعقَّدة ومزاجية تمكَّنت من البقاء في السلطة لأكثر من ٤٠ سنة من خلال تحقيق التوازن بين المصالح وأساليب السياسة الواقعية بدهاء كبير»، وأضاف التقرير أن القذافي تقدَّم بطلب غريب للقنصلية الأمريكية في طرابلس تحثُّ على ضرورة وَضْع صورة مصغَّرة له بالتأشيرة الأمريكية في جواز سفر الليبيين الراغبين في زيارة الولايات المتحدة الأمريكية، وكشف التقرير الأمريكي أن القذافي يعاني اهتزازًا نفسيًّا ورُهابًا شديدًا وخوفًا من الصعود للطوابق العليا، ولهذا لا يتجاوز في الغالب الطابق الأول لأي منشأة يزورها داخليًّا أو خارجيًّا، ويخشى التحليق بالطائرة فوق البحار والمحيطات، كما لا يُفضِّل التحليق لأكثر من ثماني ساعات متواصِلة، ومن هوايات القذافي المفضَّلة الصيد وركوب الخيل، ويهوى رقص الفلامينكو بشكل جنوني، وفي كل زياراته لفينزويلا يتوقف في إشبيلية، ذهابًا وإيابًا، خصيصى لحضور عروض خاصة لحفلات رقص الفلامينجو، حيث يرقص بحماسة، كما كشف التقرير أن القذافي يعتمد بشكل كبير في كل رحلاته وتحركاته الداخلية والخارجية على ممرضته الأوكرانية الشقراء «غالينا كولوتنياستكا»[1].

---

(١) موقع الأيام في ٢٩ مارس ٢٠١٧.

https://www.alayam24.com/articles-20902.htm

الفصل التاسع

قضية لوكيربي

ربما لا يعرف الكثيرون قصة أو قضية أو حادثة لوكربي، والتي اتُّهم حينها نظامُ الرئيس الليبي السّابق معمر القذافي بتدبيرها، حيث انفجرت طائرة بان أمريكيان في لوكربي الواقعة في مقاطعة دمفريز وگالواي بغرب إسكتلندا. عام ١٩٨٨، وقد اتُّهم المواطن الليبي عبد الباسط المقرحي بالمسؤوليّة عن الهجوم. والذي لم نعرف - حتى الآن - الدافع إلى ارتكابه، أو حتى سبب التحريض عليه، أو الفائدة التي عادت على الشعب الليبي من جرائه.

في يوم الأربعاء ٢١ ديسمبر ١٩٨٨ بينما كان طاقم الرحلة الجوية ١٠٣ التابعة لشركة بان أمريكيان يستعد لتقديم العشاء للركاب، انفجرت الطائرة على ارتفاع ستة أميال فوق اسكتلندا.

وكان كثير من ركاب الطائرة البالغ عددهم ٢٥٩ راكبًا متجهًا إلى الولايات المتحدة لقضاء إجازة أعياد الميلاد.. وقد نجم عن الحادث موت جميع ركاب الطائرة الذين كانوا على متنها، إضافةً إلى ١١ شخصًا من سكان القرية حيث وقعت الحادثة.

الحادثة بلا شك بشعة، وتكمن بشاعتها في أن هناك أشخاصًا ماتوا بدون ذنب، ولا دخل لهم بالصراعات السياسية الدائرة. إنه ثمن باهظ يدفعه الآمنون.

بعد تحقيقات ليست مُعلَنة، وبعد تكهنات من وسائل الإعلام بإلقاء المسؤوليّة على مجموعة دولٍ مختلفة، يجمع بينها رابط العداء لأمريكا، وحركات تحرير تضعها أمريكا في خانة المنظمات الإرهابية، وبدون سابق إنذار. لم تكن ليبيا المشتبه الأول به، إذ أشارت أدلة أوَّلية إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فقد اتُّهمت القيادة العامة للمنظمة بأنها تعمل لحساب إيران. وقيل إن تفجير الطائرة جاء انتقامًا لإسقاط سفينة حربية أمريكية طائرة ركاب إيرانية في يوليو ١٩٨٨ قُتل فيها ٢٩٠ شخصًا.

وبالتزامن مع ذلك صدر في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في ١٣ نوفمبر ١٩٩١ أمرٌ بالقبض على مواطنَيْن ليبيَّيْن يُشتبه بمسؤوليّتهما عن تفجير الطائرة، كونهما يعملان بمكتب شركة الخطوط الجوية الليبية بمطار لوقا بمالطا، وبمعرفتهما تم شحن حقيبة تحتوي على متفجرات.

على الفور رفضت ليبيا الطلب، وبدأ القضاء الليبي التحقيق في الاتهام، وأوقفَ المواطنَيْن الليبيَّيْن، وطلب من الدولتين تقديم ما لديهما من أدلة ضدّهما. أصرَّت الدولتان على طلبهما، بينما رفضت ليبيا الاستجابة، لما رأته – حسب ما أعلنته – من اتهامات باطلة تثيرها الدولتان بدون توفّر أية أدلة لديهما.

الشخص الوحيد الذي أُدين بالمسؤوليّة عن الحادث هو الليبي عبد الباسط المقرحي.

وأُطلق سراحه من السجن لأسباب إنسانية، ثم تُوفي بعد ذلك في ليبيا، حيث دأب على التأكيد أنه بريء.

وفي أكتوبر ١٩٨٨، داهمت شرطة ألمانيا الغربية عدة شقق بالقرب من فرانكفورت، حيث كانت جماعة فلسطينية تستعدُّ لوضع قنابل داخل أجهزة كاسيت تشبه التي استُخدمت في تفجير لوكيربي.

لكن الطِّب الشرعي في اسكتلندا استبعدَ احتمال وقوف إيران وراء التفجير، مؤكدًا أن الشكوك تحوم حول ليبيا.

وفي نوفمبر ١٩٩١ أُصدرت أوامر باعتقال المقرحي الذي كان يشغل منصب رئيس الأمن في الخطوط الجوية الليبية، و[خليفة] فحيمة مدير المحطة بالخطوط الجوية الليبية في مطار لوقا بمالطا. ووُجِّهت للاثنين تُهم استغلال وظيفتيهما لوضع قنبلة على متن طائرة في مطار لوقا. وقال المحققون: إن المتفجرات أُخفيت في مُشغِّل راديو كاسيت من نوع توشيبا غُطيَ بالملابس، ووُضع في حقيبة من نوع «سامسونايت» بُنيَّة اللون. ووُضعت الحقيبة في وقتٍ لاحق على متن رحلة متوجهة إلى مطار هيثرو، في لندن، عبر فرانكفورت ثم حُملت على الطائرة التابعة لشركة بان أميركان المتجهة صوب نيويورك[١].

---

(١) قناة. Bbc عربي. في ٢١ مايو ٢٠١٢.

http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2012/05/120521_lockerbie_questions.shtml

وبعد عشر سنوات من الجدل الدبلوماسي سافر المشتبه بهما من طرابلس لِيَمْثُلا أمام محكمةٍ اسكتلندية خاصة في «كامب زيست» بهولندا. ولم تكن هذه المحكمة كمثيلاتها، فعادة ما تُقرِّر هيئة محلفين مصير من يُدان بالجريمة. أما المقرحي وفحيمة فسيُقرر مصيرهما ثلاثة قضاة هم: لورد ساذرلاند ولورد كولسفيلد ولورد ماكلين.

وفي الحادي والثلاثين من يناير عام ٢٠٠١ أعلن القضاة قرارهم بتبرئة فحيمة وإدانة المقرحي بمائتين وسبعين جريمة قتل، وقضوا بمعاقبته بالسجن مدى الحياة.

ولكن حُكم الإدانة لم يسلم من الانتقادات. ويرى بعض المراقبين أن الحُكم جاء بضغوط غربية لعقاب ليبيا، وإدخال إيران في دائرة الاشتباه وحليفتها سوريا، باعتبار أن هذه خطوة مهمة في حرب الخليج الأولى ضد العراق. بل إن القضاة الثلاثة أنفسهم شكَّكوا في أدلة الاتهام واعترفوا بوجود «شكوك وتحفُّظات» في وثائق الادعاء.

وفي حيثيات الحكم التي جاءت في اثنتين وثمانين صفحة، جرت الإشارة إلى ثلاثة شهود «مهمين في القضية»: عبد المجيد وهو جاسوس ليبي يعمل لصالح الولايات المتحدة في مالطا. والثاني هو إدوين بولير سويسري الجنسية يعمل في الشركة التي صنعت المؤقت الذي استُخدم في القنبلة. أما الثالث فهو طوني جاوسي صاحب متجرٍ في مالطا زعمَ أنه باع للمقرحي الملابس التي لُفَّتْ فيها المتفجرات.

وقال القضاة: إن شهادتَي عبد المجيد وبولير لا يمكن الاعتداد بهما. وعلاوة على هذا، لم تجد المحكمة تفسيرًا لتمرير الحقيبة من خلال أنظمة المراقبة بمطار لوقا. ولكن المحكمة خلصت إلى أن «فكرة زرع العبوة الناسفة والخطة حيكتا في ليبيا، كما أن تنفيذ الخطة تم بأيدٍ ليبية، وأن هناك أدلة مقنعة تثبت إدانة المقرحي.» فكما يرى بعضهم، لو كان المقرحي فعلًا مذنبًا فلا شكَّ أنه لم يُدبِّر جريمة بهذه الضخامة بمفرده. وبعد مقتل الزعيم الليبي السابق معمر القذافي بُذِلَ المزيد من مساعي البحث عن الحقيقة في طرابلس[1]..

وبالنظر إلى إدانة المقرحي واعتراف ليبيا بالمسؤولية، وقبولها دفع التعويضات لأقارب ضحايا لوكيربي، ومن ثم رفع العقوبات والبدء في إبرام صفقات البترول مع ليبيا، يتساءل البعض: هل كان المقرحي كبش فداء لخروج بلاده من حالة العزلة الدولية؟

الادعاء الاسكتلندي رفضَ هذه الإشارات، وأصرَّ على أن محاكمة المقرحي كانت نزيهة، وأن المقرحي أُدين بسبب عدد كبير من القرائن التي تثبت إدانته بقدر معقول من اليقين.

لم تستجِبْ ليبيا لمطالب الدولتين التي اكتسبت طابع الدولية، وبدأت تحركًا دوليًّا واسعًا يستهدف إقناع العالم بالوقوف إلى جانبها، أو على الأقل

---

(١) قناة. Bbc عربي. في ٢١ مايو ٢٠١٢.
http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2012/05/120521_lockerbie_questions.shtml

القبول بمحاكمة المشتبه بهما في بلد ثالث إذا لم يكن بالإمكان تجاوُز القرار الدولي، ولقد نجحت ليبيا في ذلك إلى حدٍّ بعيد، عندما حصلت على دعم الدول العربية ممثَّلة في جامعتها، التي شكَّلت لجنة سُباعية دائمة لهذا الغرض، وحصلت على دعم دول عدم الانحياز، ولعل أهمَّ دعم حصلت عليه كان من الدول الأفريقية التي قررت في قِمَّتها التي عُقدت في عاصمة بوركينا فاسو واجادوجو في ١٠ يونيو ١٩٩٨ كسر الحظر المفروض على ليبيا بحلول شهر سبتمبر من العام نفسه، مالم يُستجب إلى مطالبها. عندما أحست الدولتان أن ثغرة قد فُتحت في جدار العقوبات المتصدِّع، قبلتا في ٢٤ أغسطس ١٩٩٨ بمحاكمة الليبيَّيْن في بلد ثالث هو هولندا، حيث وافقت ليبيا، وبعد إجراءات استمرت فترة، بدأت المحاكمة بهيئة مؤلَّفة من ٣ قضاة، وعُقدت مداولات استمرت ٨٤ يومًا من المرافعات القانونية، وفي ٣١ يناير ٢٠٠١ أدانت المحكمة أحد المواطنَيْن استنادًا إلى قرائن وبرَّأت الآخر. وعلى خلفية هذا الحُكم دخلت الدولتان في مفاوضات مع ليبيا أسفرت عن الوصول إلى تسويةٍ تدفع بموجبها ليبيا تعويضاتٍ إلى أُسر الضحايا، وتُعلن مسؤوليتها عن أعمال موظفيها، وهذا ما تم بالفعل. والتزمت ليبيا في أغسطس ٢٠٠٨ بدفع التعويضات التي صدر بشأنها الحُكم للولايات المتحدة الأمريكية، على أن تردَّ الولايات المتحدة تعويضات عمَّا ترتَّب على القصف الأمريكي للعاصمة الليبية ولمدينة [طرابلس] في الثمانينيات بعد الحادثة، وبذلك بدأت صفحة جديدة في العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[١].

(١) منتدى الخيمة العُمانية.

http://www.omanya.net/vb/showthread.php?t=49137

صدر قرار محكمة العدل الدولية لصالح الاعتراض الليبي بأن القضية ليست من اختصاص مجلس الأمن، لأنها لم تنطوِ على ما يهدِّد السلام الدولي. كما صدرت سلسلة قرارات لحركة عدم الانحياز، ومنظمة الوحدة الأفريقية التي تحدى العديد من رؤساء دولها الحظر الجوي المفروض على ليبيا.

ورغم أن فكرة تسليم المشتبه بهما ليُحاكما في بلد ثالث هي في الأصل فكرة ليبية، ظلَّ الكثيرون يُشكِّكون، بل يجزمون باستحالة تسليم المتهمين.

قُدِّمت لطرابلس ضماناتٌ بألَّا تتحول محاكمة المتهمين إلى محاكمة سياسية، وأنهما سيلقيان محاكمة جنائية عادلة، ويتبع تسليمهما فورًا البدءُ في إجراءات رَفْع العقوبات عن ليبيا. كان أقارب بعض ضحايا كارثة لوكربي ومراقبون مستقلون قد أثاروا الشكوك بشأن إدانة المقرحي. وتركَّزت هذه الشكوك على مصداقية شهود الادعاء وأدلة الطب الشرعي. وتتعلق الشكوك خصوصًا بما تردد بأن المقرحي اشترى ملابس من متجر في مالطا في السابع من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٨ ووضع بعضها داخل حقيبة تحتوي على قنبلة. وقيل إنه لا يوجد «سبب معقول» للاستنتاج بأن هذه السلع تم شراؤها قبل السادس من ديسمبر، بينما لا توجد أدلة على أن المقرحي كان في مالطا.

كانت أداةَ الإثبات الرئيسية التي أدت إلى إدانة ليبيا في قضية لوكربي صورٌ لمؤقِّت القنبلة التي ساهمت في إدانة الوكيل الليبي سابقًا، كانت تلك الصور ملفَّقةً وغير حقيقية، بل هي صور لمؤقت تم حرقُه وتفحيمه تمامًا في وقت

سَبَقَ المحاكمة. وهذه المعلومات كشفها رجلُ أعمال سويسري كان يمتلك شركة تنتج هذه المؤقِّتات.

قال الشاهد الأساسي (المهندس السويسري المتقاعد أولريخ لومبيرت) للشرطة السويسرية: إنه كذب في شهادته، الأمر الذي يدفع بفرضية أشار إليها صحافيون وقضاة وعدد من عائلات ضحايا طائرة «بان أمريكان» التي تم تفجيرها: وهي أن ثمة «تلاعبًا» جرى في التحقيق لتجريم ليبيا. ونقلت الصحيفة عن أولريخ لومبيرت (٦٥ عامًا) المهندس في شركة «ميبو» التي تتخذ من زوريخ مقرًّا لها قوله للشرطة السويسرية: «لقد كذبتُ في شهادتي حول اعتداء لوكربي».

وكان لومبيرت أكَّد في المحاكمة التي جرت في عام ٢٠٠٠، أنه تعرف على قطعة من التايمر (جهاز التوقيت الخاص بالتفجير). وكانت تلك المعدات الإلكترونية أنتجتها شركة «ميبو» وباعت كميات منها إلى طرابلس. وأوضح لومبيرت أن القطعة التي تحدَّث عنها لم تكن من أجهزة التوقيت التي تسلَّمها الليبيون[١].

وفي لقاء للأمير بندر بن عبد العزيز بالعقيد القذافي، طلب العقيد من السفير السعودي في واشنطن وقتها أن يتدخل لمقابلة الرئيس الأمريكي بيل

---

(١) منتدى الخيمة العُمانية.

http://www.omanya.net/vb/showthread.php?t=49137

كلينتون، وتوني بلير رئيس الوزراء البريطاني. من أجل محاولة الوصول إلى حلٍّ لأزمة لوكيربي.

وبالفعل بحث الأمرَ الأميرُ بندر مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، فأخبره أنه مستعدٌّ لفعل ما قد يُنهي الحصار على ليبيا، إذا اعترفت ليبيا بالمسؤولية، وحُوكم المتهمون، ودُفعت التعويضات. لكن المهم الحصول على تأييد بيل كلنتون. يضيف الأمير قائلًا: «وكان المطلوبون في ليبيا كثيرين، ومنهم زوج أخت زوجة القذافي عبد الله السنوسي، وموسى كوسى، وسيف الإسلام القذافي، وغيرهم. ذهبتُ إلى القذافي وأخبرتُه بالتفاصيل، وبعد مفاوضاتٍ شاقة، ورحلات عديدة، وافق على مضض. وللأمانة، لم آخذ كلامه على محمل الجد. ولا أريد توريط بلدي وفقدان مصداقيتها مع أمريكا وبريطانيا والأمم المتحدة بسبب القذافي، وهذه التساؤلات والاحتمالات جاءت بعد حديثه ومخططاته التي أفصح بها عن رغبة الانقلاب».

وطرأت لدى الأمير بندر فكرة، وهي إشراك شخصية عالمية مؤثِّرة في مباحثات فكِّ الحصار عن ليبيا، وكانت الشخصية هي نيلسون مانديلا. يقول الأمير: «أخبرتُ الملك عبد الله -كان وليًّا للعهد وقتها - أن هناك صداقة تربطني بنيلسون مانديلا، وبدأت الصداقة بعد إطلاق سراحه، حين جاء إلى الأمم المتحدة، ثم زار سفارات الدول التي أيَّدت إطلاق سراحه وخروجه، وسَعَتْ لذلك، ومنها سفارة السعودية في واشنطن، وحدثت

بيني وبينه أمور شخصية عزَّزت علاقتنا. واقترحتُ أن أطلب من مانديلا أن يأتي معي ونذهب إلى ليبيا، وشرحتُ له القصة ووافق. وقال: أريد طائرة. قلت له: سهلة، سآتي إليك، ومن هناك نذهب بالطائرة، لكن بسبب الحظر، ستستغرق الرحلة أكثر من ٧١ ساعة. قال مانديلا: إنه سيتصل بكوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة وقتها، ويطلب منه رفع الحظر عن هذه الرحلة تحديدًا. وسألني نيلسون: هل وافق القذافي على كل بنود الاتفاق؟ قلت: نعم، ووافقت بريطانيا وأمريكا أيضًا، وأن الأمم المتحدة سترسل طائرة لأخذ المتهمَين الاثنين ليحاكما في إسكتلندا».

عرف القذافي أن مانديلا سيكون معي هذه المرة، وجُنَّ من الفرح، وخرج إلى المطار لاستقبالنا، وكاد يتجاهلني. وكنا في الخيمة الخاصة به، ثم بادر مانديلا بالحديث موجِّهًا حديثه إلى القذافي: قرارك شجاع، والمهم هو مصلحة الشعب الليبي وإنهاء هذا الإشكال، والحل السلمي هو الأفضل دائمًا. قال القذافي: فعلًا، أنا موافق، ثم قال مانديلا: إذًا نخرج إلى المطار لتوديع المتهمَيْن، طائرة الأمم المتحدة بالانتظار. رفض القذافي طلب مانديلا ثم باغته نيلسون بقوله: الأخ القائد، هل غيَّرت رأيك؟ إذا غَّيرت رأيك سأخبر العالم أنك كاذب وكذبتَ علينا. ردَّ القذافي بسرعة وقال: لا، غير صحيح، ثم استدعى موسى كوسى رئيس استخباراته، وطلب منه تسليم المتهمَيْن الاثنين للأمم المتحدة. ثم طلب القذافي بعد انتهاء كل هذا العودةَ

إلى قصر المؤتمرات، لأنه سيُلقي كلمة يشكر فيها الرئيس مانديلا، وأضاف الأمير: «التفتَ مانديلا إلى القذافي وقال له: ينبغي لك شكر السعودية والأمير عبد الله والأمير بندر، وليس أنا. ثم تداركَ القذافي ذلك وقال: بالتأكيد».

يكمل الأمير سرد القصة: «ذهبنا إلى قصر المؤتمرات، واعتلى القذافي المنبر، وشَكَرَ مانديلا طول الوقت، والتصفيق كان أكثر من الكلام، بعدها دعاه لاعتلاء المنصة، وامتدح نيلسون الشعب الليبي وقرار القذافي بإنهاء المعاناة، وذكر بأن الحلول السلمية هي الأفضل، ثم شكر الجميع وجلسوا. وبعدها تجاهلني القذافي، وقال: سأوصلكما إلى المطار بنفسي، قال مانديلا له: لكن الأمير بندر لم يتحدث؟ التفتَ القذافي إليَّ وقال: أنت تعرف تحكي؟؟ وكان ردي بـ «أحيانًا». ثم قال مانديلا: ما الذي يقوله؟ أخبرتُه بتهكُّم القذافي، غضب مانديلا من هذا السلوك، وتوجَّه بالحديث إلى الرئيس الليبي وقال له: أعرف أنك تتحدث الإنجليزية يا معمر، إذا لم يُلقِ بندر خطابًا سأقوم وأقدِّمه بنفسي. قام القذافي وقال: الأخ بندر سيلقي كلمة قصيرة».

قمتُ وقلتُ: إنني سعيد أن الشعب الليبي تخلَّص من هذه المأساة، وسينتهي موضوع العقوبات، وأتمنى الاستقرار والسعادة لكم، وفي منتصف كلمتي، شعرتُ أن كلامي ليس نابعًا من القلب بسبب معاملة القذافي ونكرانه الجميل. صمتُّ قليلًا ثم قلتُ: في حدث مثل هذا يعجز الإنسان عن وصف شعوره، وخير الكلام ما قلَّ ودلَّ».

ويختتم الأمير حديثه قائلًا: «على كل حال، رحم الله معمر القذافي، وهو في دار حق، وسيلقى الله ويحاسبه على كل أعماله خيرها وشرها».[1]

وفى عام ٢٠٠٢ أُعلن عن صيغة التعويضات المقترحة لضحايا طائرة لوكربي بأن تدفع الحكومة الليبية ٢,٧ مليار دولار لأقاربهم، بواقع ١٠ ملايين دولار عن كل ضحية، ويتم سدادها على ٣ دفعات، على أن يودع المبلغ في حساب خاص لمدة ٨ أشهر حسب الشروط الليبية، تسقط خلالها العقوبات أو يُعتبر الاتفاق ملغًى.

وتُدفع حصة أولى قيمتها ٤ ملايين دولار لكل أسرة عند إعلان ليبيا مسؤوليتها عن الهجوم، ثم تدفع حصة ثانية قَدْرها ٤ ملايين دولار في حال موافقة الولايات المتحدة على رفع العقوبات التجارية المفروضة على ليبيا، ثم الحصة الأخيرة قَدرُها مليونا دولار في حال موافقة الخارجية الأمريكية على شطب ليبيا من لائحة الدول الداعمة للإرهاب.

وفى ٢٠٠٣ أعلنت ليبيا عن تحمُّل المسؤولية المدنية على أعمال موظفيها، في قضية لوكربي وفق القانون الدولي المدني، وحسب الاتفاق الذي تم في مارس بالعاصمة البريطانية لندن بين المسؤولين الليبيين والأمريكيين والبريطانيين.

---

(١) عضوان الأحمري. صحيفة الإندبندنت عربية، الثلاثاء ٢٦ فبراير ٢٠١٩.
https://www.independentarabia.com

وأعلنت أمريكا عدم ممانعتها أن يرفع مجلس الأمن الدولي العقوبات عن ليبيا، لكن العقوبات الثنائية بين البلدين ستبقى[١].

وأخيرًا وافقت على التخلي عن برنامجها النووي وتدمير منشآتها النووية، ووافقت على التفتيش الدولي لمنشآتها.

في ١٣ أغسطس ٢٠٠٣ وقَّعت السلطات الليبية اتفاقًا مع ممثلين عن ضحايا حادث لوكربي لتعويض عائلات الضحايا، في لندن.

نصّ الاتفاق أيضًا على اعتراف ليبيا بمسؤوليتها عن تفجير الطائرة الأمريكية عام ١٩٨٨، الذي أدى إلى وفاة ٢٧٠ شخصًا.

وبهذا الاتفاق بين ليبيا والولايات المتحدة يُسدَل الستار على أزمة «لوكربي» عبر التوصّل إلى صفقة لدفع تعويضات مالية لضحايا طائرة شركة بان الأمريكية التي سقطت فوق قرية لوكربي الإسكتلندية يوم ٢١ ديسمبر ١٩٨٨ مُخلّفة ٢٧٠ ضحية.

لكن الأهم من الناحية السياسية، هو أن السلطات الليبية اعترفت بالمسؤولية عن الحادثة بعدما ظلَّت تنفي طوال ١٥ عامًا أنها ضالعةٌ في إسقاط الطائرة التي كانت متوجِّهة إلى الولايات المتحدة.

---

(١) موقع السياسي كوم. في ٢٥ أكتوبر ٢٠١٠.
s://www.elsyasi.com/articles/31قضية-لوكيربى.

وهذه هي المرة الأولى التي تُعلن فيها الحكومة الليبية رسميًّا وعلانيةً مسؤوليتها عن عمل إرهابي، مما قد يجعل ليبيا في موقع ضعيف معنويًّا أمام الدول المتزعمة للحرب الدّولية على الإرهاب وفي مقدمتها الولايات المتحدة.

لكن أحد محامي الحكومة الليبية يقول: إن الأطراف المعنية كافة بهذا الملف تعتبر أن الاعتراف الليبي لا يمثّل دليلًا يُـمكن استعماله لمُلاحقة الحكومة الليبية قضائيًّا، مشيرًا إلى أن طرابلس لن تعترف بارتكاب هذه الجريمة، لكنها قَبِلَت تحمّـل المسؤولية لأن مواطنًا ليبيًّا أُدين قضائيًّا بعد محاكمته في هذه القضية.

وبالنظر إلى الطابع السياسي للاتفاق، فإنه قد يفتح أبواب التقارب بين واشنطن وطرابلس بناءً على تعهّـد ليبيا بـ «التوبة» النهائية عن ارتكاب أي عمل إرهابي في المستقبل. كما يُـعتبر الاتفاق الجديد الذي توصّـل إليه موفدون أمريكيون وليبيون في أعقاب مفاوضات استمرت أيامًا في لندن، على مستوى الاتفاق نفسه الذي توصّـل إليه وزير الخارجية الليبي الراحل عمر المنتصر مع الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان في مطلع عام ١٩٩٩، والذي رُفعت بموجبه العقوبات الدولية المفروضة على ليبيا مؤقّـتًا بعد نَقْل المواطنَيْن الليبيين المشتبه بهما: عبد الباسط المقرحي والأمين خليفة فحيمة إلى مخيم زاست في هولندا في ٥ أبريل ١٩٩٩ لمحاكمتهما.

ولعب الزعيم الإفريقي نلسون مانديلا وولي العهد السعودي عبد الله بن عبد العزيز دورًا مهمًّـا في إقناع الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي بقبول تسليم مواطنَيْه لمحاكمتهما في هولندا.[١]

---

(١) رشيد خشانة. في موقع قناة سويسرا بالعربي.

https://www.swissinfo.ch/ara

ومع ذلك فهناك من يرى أن محاكمة لوكيربي محاكمة سياسية.

الكاتب والمتخصص في شؤون الاستخبارات إريش شميت-إنبوم[1] يعتبر محاكمة لوكربي محاكمة سياسية: «مجريات المحاكمة أظهرت بوضوح أن هناك صفقة عُقدت وراء الكواليس، لا تخدم الحقيقة، وإنما تسمح للطرفين بحفظ ماء وجهيهما السياسي.» يعتقد الكاتب والمتخصص في شؤون الاستخبارات إريش شميت-إنبوم أن الولايات المتحدة الأمريكية أرادت فرصة للتخلُّص من العقيد معمر القذافي بعد حادثة لوكربي.

فمنذ الهجوم الذي استهدف مَرقص «لابيل» البرليني سنة ١٩٨٦ الذي كان قِبلةً للجنود الأمريكيين، بحث الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عن أسباب لإسقاط نظام القذافي. كانت المؤشِّرات تُشير بوضوح حينها إلى

---

(١) وُلد في ٢٧ أبريل، ١٩٥٥. في واشنطن دي سي، وبعد تخرجه من مدرسة يورك تاون الثانوية التحق بجامعة برنستون حيث حصل على بكالوريوس الهندسة عام ١٩٧٦، وبعدها حصل على الماجستير في من جامعة كاليفورنيا، بيركلي لتصميم شبكة لربط الحواسيب في حرم جامعة كاليفورنيا وتنفيذها، وحصل على الدكتوراه في الهندسة الكهربائية وعلوم الحاسب الآلي، وكانت أطروحته حول مشكلات إدارة تطوير البرمجيات الموزعة وأدوات حل هذه المشكلات. حاليًا هو رئيس شركة گوگل والمدير التنفيذي السابق لها، وعضو سابق في مجلس إدارة شركة آبل. وهو من أشهر الشخصيات في الشركة، إذ يعتبر وجه شركة جوجل في مختلف المحافل، شميدت يقوم بإلقاء عدة ندوات في الولايات المتحدة وأحيانًا خارجها، وفي الغالب تكون عن مستقبل الإنترنت ومستقبل جوجل. موقع المعرفة.

ليبيا، التي كانت تريد على - ما يبدو - الانتقام من أمريكا لإغراق جيشها سفينتين حربيتين تابعتين لليبيا. وردًّا على تفجير مرقص» لابيل» قصفت القوات الأمريكية مقر إقامة القذافي، وأسفر الهجوم عن مقتل ابنته بالتبني.

أدرك القذافي أن الحكومة الأمريكية تريد القضاء عليه، لذلك بحث عن مخرج، فعندما حمّله المجتمع الدولي مسؤولية حادثة لوكربي، وتم فَرْضُ عقوباتٍ دولية على ليبيا، لم يعد لدى للعقيد إمكانية أخرى سوى تقديم ليبيَّيْن مشتبه بهما للعدالة. وكان شرطه الوحيد، أن تكون المفاوضات على أرض محايدة. عندما قدَّم معمر القذافي في أبريل/ نسيان ١٩٩٩ المتهمَيْن، أصبح العقيد فجأة رئيسًا يمكن التحدث معه. ومن ضمن نتائج هذه الخطوة استعداد القذافي لتقديم تعويضات للضحايا مقابل تخفيف العقوبات المفروضة على ليبيا، في هذا الجو بدأت المحاكمة، التي حاول فيها كل الأطراف تسهيل كل الأمور. حتى المُدان الوحيد في القضية تم التلويح له بالإفراج المبكر عنه. وعندما أعلن القذافي مسؤوليته عن الحادثة بشكل رسمي، ودَفَعَ تعويضات لأهالي الضحايا بقيمة ملياري ونصف مليار دولار، عاد العقيد للساحة السياسية الدولية.

«إنه تصرف تكتيكي للعودة للساحة الدولية، والقيام بمبادلات تجارية تخص البترول مع بريطانيا»، كما يقول الكاتب والمتخصص في شؤون الاستخبارات إريش شميت-إنبوم.

بعد خمسة وعشرين عامًا تغيَّر المشهد السياسي العالمي، أما حقيقة حادثة لوكربي والمسؤولين عنها، فربما ستبقى غامضة، خاصة وأنه في ذلك الوقت

كانت هناك جهات أخرى مشتبه بها، مثل إيران، أو جبهة التحرير الفلسطينية التي كانت من قَبل متورطة في عمليات مشابهة. أما المُدان الوحيد في القضية عبد الباسط المقرحي فقد أُفرِج عنه سنة ٢٠٠٩ لأسباب إنسانية بسبب إصابته بالسرطان، وتُوفي بعدها في عام ٢٠١٢ [١].

ذهب معظم المشاركين في القصة إلى قبورهم من دون قول الحقيقة، فقد تُوفي المقرحي في منزله مع عائلته في ٢٠ من مايو ٢٠١٢، واغتيل أحمد جبريل بواسطة قنبلة على جانب الطريق وضعتها مجموعة مرتبطة بالقاعدة في ٢٦ من أغسطس ٢٠١٤، كما تُوفي صانع القنابل مروان خريسات في أكتوبر عام ٢٠١٦، ولم يبقَ على قيد الحياة إلا «أبو إلياس» الشاهد الغامض الذي تُرجِّح الاحتمالات أنه الشخص الذي وضع حقيبة الـ«سامسونايت» على متن «الرحلة ١٠٣».

هذه التفاصيل أثارت حالة من الغضب بين الليبيين الذين قالوا: إن بريطانيا والولايات المتحدة مطالبتان باعتذار رسمي لهم، ودفع تعويضات مادية لجبر الضرر والمهانة اللذين لحقا بالشعب الليبي طوال عقود جراء «هذه المكيدة»، فمن الذي سيعوِّض الليبيين عن سنوات الحصار التي عاشوها، والأموال التي دفعتها دولتهم تعويضاتٍ لأسر الضحايا؟[٢].

---

(١) موقع DW. للتليفزيون العربي الألماني. يوم ٢٠ ديسمبر ٢٠١٣.
(٢) موقع نون بوستن بوست. في ٢٠ أكتوبر ٢٠١٣.
https://www.noonpost.com/content/25013

وهناك رواية لعبد المنعم الهوني. زميل القذافي وأحد شركائه في حكم ليبيا، رواها لغسان شربل عن قصة لوكيربي، جاء فيها أن المعلومات الحقيقية عن هذا الموضوع موجودة لدى عبد الباسط المقرحي، الذي أُعيد إلى ليبيا، المتداوَل أن المقرحي أرسلَ من سجنه في اسكتلندا تهديدًا للنظام يطالبه بفعل أي شيء لضمان الإفراج عنه، وإلا فسيروي القصة بتفاصيلها ويكشف خيوطها، وأذعن النظام الليبي، ودَفَعَ التعويضات، وتمكَّن من إخراج المقرحي من سجنه.

وفي أغسطس ٢٠٠٩ عاد المقرحي إلى طرابلس، وتولَّت عودته جمعية القذافي الخيرية [١] والتي يرأسها ويشرف على أنشطتها سيف الإسلام القذافي.

---

(١) هي مؤسسة عالمية غير حكومية، تمارس نشاطات تنموية وإنسانية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحقوق الإنسان. تتبنى المؤسسة مبادئ تُحدِّد وتوجِّه عملها، كحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، والمساهمة في تطوير المجتمع المدني ومؤسساته، وتشجيع العمل التطوعي الخيري، وإنشاء علاقات تعاون بين الجمعيات والمؤسسات المدنية لتعزيز العمل الجماعي، ودعم الفئات الضعيفة في المجتمع كالفقراء والمساكين واليتامى والمعاقين، وتقديم المساعدة الإنسانية لضحايا الكوارث والحروب أينما كانوا. أُسست مؤسسة القذافي العالمية للجمعيات الخيرية والتنمية عام ١٩٩٨ في جنيف، ويرأسها سيف الإسلام القذافي يليه مدير تنفيذي يتم اختياره من قبل لجنة تنفيذية، يقوم ويشرف على إدارة المؤسسة وجمعياتها ومكاتبها. للمؤسسة مكاتب تخصصية تعمل بتنسيق وانتظام لدعم ما تقوم به من نشاطات وتُحقق من خلالها الأهداف المنشودة، هذه المكاتب تضم مكتب البحوث والتنمية ومكتب العمل الإنساني ومكتب الإعلام ومكتب جمع التبرعات ومكتب الشؤون الفنية والمشروعات ومكتب العلاقات الخارجية ومكتب الجمعيات والمجتمع المدني. يعمل تحت لواء المؤسسة وإشرافها جمعيات مدنية غير حكومية في مجالات مختلفة، تمارس نشاطاتها الإنسانية والتنموية من أجل خدمة الإنسان وتحقيق رُقيِّه وحماية حقوقه. ويكيبيديا.

تسلَّمت ليبيا عبد الباسط المقرحي تحت بند الإفراج الصحي في ٢٠٠٩. وكان صديق سيف الإسلام في ذلك الوقت ضمن الفريق المفاوض لاستعادة المقرحي. ويقول: «طلب الأمريكيون والإنجليز أن يكون استقبال المقرحي عاديًّا دون استقبال رسمي من الدولة الليبية». ومن جانبه كان سيف الإسلام يعتبر قضية المقرحي قضيته الشخصية. وكان تدخُّل مؤسسة القذافي في استعادته من المحطات اللافتة في مسيرة نجل القذافي. ومع ذلك كان يوجد حرص على تنفيذ التعهدات مع واشنطن ولندن، بشأن عدم تنظيم استقبال رسمي للمقرحي. ويقول أحد الشهود من قبيلة المقارحة، ممن كان في مطار طرابلس: «أذكر أن الاستقبال الذي جرى، لم يكن رسميًّا، بل كان شعبيًّا من أبناء القبيلة». بيد أن صديقًا لسيف القذافي يعلّق قائلًا: «المشكلة أن الأمريكيين والإنجليز اعتبروا ما جرى من حفل لاستقبال المقرحي عملًا عدائيًّا مستفزًّا لهم».

وبعد عودة سيف بالمقرحي، وعَقِبَ مشهد هبوطهما معًا من الطائرة، زار دبلوماسي أمريكي نجل القذافي في باب العزيزية بطرابلس، وتحدثا في القضايا الثنائية والتعاون بين البلدين. وكان صديق سيف موجودًا. ويقول: «مع نهاية الاجتماع، طلب الدبلوماسي من مرافقته بالسفارة الأمريكية، مغادرة المكان، لأنه يرغب في الحديث مع سيف منفردًا. وطلب مني سيف الإسلام البقاء». ويتابع: «كان مما قاله هذا الدبلوماسي: هل فقدتَ عقلك يا سيف؟ كررها مرات عدة. وتابَعَ الدبلوماسي حديثه مجددًا قائلًا: هل من

المعقول أن تعود رفقة عبد الباسط المقرحي على الطائرة نفسها؟ إنه عمل استفزازي! وهو عمل غير مقبول مطلقًا، ولن نغفره لك... إن مستقبلك السياسي قد انتهى». وهنا ردَّ عليه سيف، بحسب الرواية نفسها، قائلًا: «أنتم ترونه متهمًا، ونحن نراه بريئًا».[1].



(١) عبد الستار حتيتة. صحيفة المرصد الليبية ١٩ فبراير، ٢٠١٨.

الفصل العاشر

القذافي والنساء

حكايات النساء في قصور الحكم متعددة وكثيرة، ويضيق بها أي كتاب. ولا يختلف الأمر من نظام إلى نظام، ففي القصور الجمهورية فاق وجود الجواري وجودهنَّ في قصور الملوك.

وكيف لا! وبعض نُظم الحكم الجمهورية في منطقتنا العربية فاقت في خلاعتها وانحلالها ما أشيع عن قصور الخلفاء الأتراك.

لأجل هذا ظهرت مؤلَّفات كثيرة تتحدث عن حريم الرؤساء.

في كتاب «الطاغية والنساء من نيرون وهتلر إلى صدام ومبارك والقذافي» لمروان عادل الجوجري ومحمد سويفي عبد الله، تساءل الكاتبان: لماذا يكره الديكتاتور شعبه ويستسلم عشقًا للمرأة؟

الإجابة تكمن في أن المرأة التي كانت تقف خلف الطاغية كانت في زمن ساحق تبحث عن السلطة لنفسها أو لابنها أو عشيقها، لكن نساء طغاة الألفية الثالثة، ومنهم مبارك والقذافي وبن علي وآخرين يهتمون كثيرًا بجمع المال وتحويل الأرصدة إلى الخارج، أو اقتناء الجواهر والذهب والألماس، بغض النظر عن هموم الشعب ومعاناته الذي لا يجد فرص عمل أو قوت الحياة.

أظهر كتاب فرنسي من تأليف الفرنسية أنيك كوجان الصحافيّة في جريدة «لوموند» الفرنسية الذي نُشر في سبتمبر عام ٢٠١٢ بعنوان «الفرائس.. في حريم القذافي»، أن الزعيم الليبي معمر القذافي كان يخطف فتيات المدارس لاستعبادهن واغتصابهن وضربهن وإهانتهن بمختلف الطُّرق. وتضمن الكتاب شهادات مرعبة ومؤلمة لعدد من الفتيات والنساء اللواتي أُجبرن على الانضمام إلى حريم القذافي، حيث تعرضن للاغتصاب والمعاملة المهينة.

قد يغفر الشعب لحكامه أن يعاشروا النساء، أو يتخذوا الجواري أو حتى الغلمان، على أن يجري ذلك خلف الأبواب المغلقة وفي سِتر، دون أن تصل فضائحهم إلى أسماع شعوبهم التي تئنُّ وتتوجع من الفقر والحاجة والعوز.

ولكن أن تظهر الفضائح العلنية فهذا يُغري بالكتابة عنها.

الحارسات الشخصيات

باتت الحارسات الشخصيات إلى جانب الملابس غير المألوفة والخيمة العربية ثلاثة مظاهر ارتبطت بالزعيم الليبي معمر القذافي، ولفتت الأنظار إليه في زياراته لدول العالم المختلفة.

وجاء اختيار العقيد القذافي للنساء لحمايته متناقضًا مع تصوراته المعلَنة عن المرأة، وتأكيداته المكررة في كتابه الأخضر أن «مكان النساء هو البيوت لأن تكليفهن بوظائف الرجال يُفقِدهن أنوثتهن وجمالهن».

وتشير المعلومات القليلة المتوافرة عن حارسات القذافي إلى أن تعدادهن يصل لنحو ٤٠٠ حارسة، وأنهنَّ يشكِّلن وحدة ذات وضع مميز داخل القوات الخاصة المكلَّفة بحمايته.

وتعود أصول هؤلاء الحارسات إلى منطقة الصحراء التي تشير الروايات التاريخية المتداولَة بليبيا إلى أنها كانت مقر النساء الأمازونيات المحاربات في الأساطير اليونانية.

ويختار القذافي حارساته وفق معايير مُحدَّدة، أهمها ألَّا يتعدى سن الحارسة العشرين عامًا، وأن تكون عذراء لم يسبق لها الزواج، وأن يتوفر فيها قدر مُعيَّن من الجمال، وأن تكون ذات قوام فارع وبنيةٍ قويةٍ شبيهة ببنية الرجال، وأن يكون ولاؤها مُطلقًا لـ«الأخ قائدُ الثورةِ».

وتحصل كل مرشحة لوظيفة حارسة للقذافي على تأهيل عسكري مُتقدِّم يجري التركيز فيه على إتقان استخدام أنواع المسدسات والبنادق والرشاشات على أنواعها، وممارسة رياضات الالتحام البدني العنيف كالكاراتيه والجودو.

وترتدي المرشَّحة بعد انضمامها لحارسات العقيد حُلةً عسكرية خضراء ضيقة، وحذاء بكعب منخفض، وتُسلح بمسدس سريع الطلقات وخنجر، ويُسمح لها باستخدام مستحضرات التجميل في أثناء الخدمة، وتُخفي شعرها تحت الطاقية العسكرية.

ولا تقتصر مهام حارسات القذافي على حماية الأخير في حلِّه وترحاله، إذ تتعداها إلى ملازمته على مدار الساعة، ومساعدته في ارتداء إزاره الطويل، والترفيه عنه، وقراءة صفحات من الكتاب الأخضر له.

وأطلق القذافي على حارساته كلهن اسم عائشة تيمنًا باسم ابنته الوحيدة، ويرافق الزعيم الليبي في زياراته الدولية ما بين ١٢ و٤٠ من حارساته اللائي يُميزهن بالأرقام، ويُطلِق عليهن لقب راهبات الثورة.

وتسبَّبت هؤلاء الحارسات في مشكلة بروتوكولية شهيرة عندما منعهن الحراس المصريون من الدخول مع القذافي إلى قاعة مؤتمر دولي شارك فيه الأخير بمدينة شرم الشيخ.

وليس معروفًا السبب الذي جعل العقيد الليبي يختار لنفسه حارسات له بدلًا من الرجال، غير أن صحيفة بازلر تسايتونغ السويسرية أرجعت هذا إلى اعتقاد الزعيم الليبي أن النساء أقل خطرًا عليه من الحراس الرجال الذين يمكن أن يغدروا به ويتآمروا عليه.

وأشارت الصحيفة إلى أن الحارسات الشابات كن يُكافأن على ولائهن للزعيم القائد بمنحهن رواتب خيالية، وإرسالهن للتسوُّق في إيطاليا بين حين وآخر، وكشفت أن ثقة الزعيم الليبي المطلقة بحارساته تراجعت لأسباب غير معروفة في الفترة الأخيرة، وأوضحت أن المظهر الأبرز لهذا التراجُع هو تجريد الحارسات من المسدس والخنجر.

وإلى جانب ما كشفته الصحيفة السويسرية، فقد أشار مراقبون إلى اختفاء الحارسات الشابات – اللائي لم تنجح أي وسيلة إعلامية من الالتقاء بواحدة منهن – من المشهد المحيط بالقذافي منذ اندلاع ثورة ١٧ فبراير [١] .

المرضات الأوكرانيات

وإضافة لحارساته الشابات، اشتُهر العقيد معمر القذافي في السنوات الأخيرة بإحاطة نفسه بأربع ممرضات أوكرانيات، دخلن منطقة الضوء الإعلامي بعد حديث وثائق موقع ويكيليكس عنهن.

وذكر تقرير دبلوماسي أمريكي سري نشره الموقع أن الممرضة جالينا كولوتنيتسكا هي الوحيدة من بين زميلاتها التي تُرافِق الزعيم الليبي أينما ذهب، وتعرف كل روتين حياته.

وأشار التقرير – وهو تقرير مُوجَّه من سفارة الولايات المتحدة بطرابلس إلى الخارجية الأمريكية بواشنطن – إلى أن القذافي أرسل طائرته الخاصة لنقل الممرضة الأوكرانية الشقراء من طرابلس لتلحق به بالبرتغال حيث كان في طريقه إلى نيويورك، وذلك عقب إجراءات روتينية تسبَّبت في تأخير سفرها.

تنفرد الممرضات من بين عموم النساء بمكانة خاصة لدى الزعيم الليبي معمر القذافي، جعلت منهن السيدات الأُول والأكثر حُظوة وقُربًا من

(١) موقع المعرفة. https://www.marefa.org.

قلب العقيد الذي صار بعد وصوله للسلطة يلفُّ نفسه بمحيط نسائي من الممرضات والحارسات.

وتحظى صفية فركاش (زوجته الثانية) بنفوذ، وتسافر - بحسب وثائق لويكيليكس - في طائرة خاصة، وفي خدمتها موكب من سيارات المرسيدس لتقلّها من المطار إلى وجهتها، غير أن تنقلاتها محدودة ومحاطة بالسرية.

ولئن كانت الممرضة فركاش ظلت بعيدة عن الأضواء، فإن علاقة الزعيم بممرضة أخرى هي الأوكرانية «غالينا كولوتنيتسكا» (٣٨ عامًا) قد دخلت دائرة التداول الإعلامي بعدما نشر ويكيليكس تقريرًا من السفير الأمريكي بطرابلس يتحدث عن أن القذافي يعتمد بشكل كبير على ممرضته «الشقراء الفاتنة».

وكانت الأزمة التي أصابت الجهاز الصحي في أوكرانيا بعد سقوط الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ قد دفعت العديد من الأطباء والممرضات إلى الذهاب إلى ليبيا للعمل برواتب أفضل بكثير مما يحصلون عليه في أوكرانيا.

ومن بين هؤلاء كانت غالينا التي مارست التمريض فترة بالمستشفيات الليبية قبل أن يصطفيها العقيد، ويحيطها بهالة من الاعتناء والتقريب.

وليست غالينا هي الأوكرانية الوحيدة ضمن المحيطات بالقذافي، فهناك بحسب ما نشر ويكيليكس أربع ممرضات أوكرانيات يعتنين بصحة القذافي.

كما تفيد التقديرات الرسمية الأوكرانية وجود أكثر من ٢٥٠٠ أوكراني بليبيا معظمهم من الأطباء والممرضات، لكن غالينا تبقى هي الأوفر حظًّا والأقرب إلى قلب الزعيم؛ لأنها وحدها التي «تعرف روتينه الخاص»، وتُرافِقه باستمرار، ولا يستطيع السفر بدونها.

ومع اندلاع الثورة الليبية عام ٢٠١١ م أصبح الغموض يلفُّ مصير الممرضات الأوكرانيات، خصوصًا مع تداوُل وسائل الإعلام نبأ عودة الممرضة أو ربما المرأة الأهم في حياة القذافي «غالينا» إلى موطنها الأصلي أوكرانيا في طائرة تقلُّ نحو ١٢٠ من الرعايا الأوكرانيين لا يُعرف على وجه التحديد: هل بقية الممرضات المثيرات للجدل كُن من ضمنهم؟[١]

عبَّر الزعيم الليبي معمر القذافي عن غضبه عندما مُنع من نصب خيمته في مانهاتن، ومُنع من زيارة منطقة التفجير «غراوند زيرو» خلال مشاركته في اجتماعات الجمعية العامة في نيويورك عام ٢٠٠٩. وتضمنت أحدث تسريبات لموقع «ويكيليكس» تقريرًا دبلوماسيًّا أمريكيًّا سريًّا يقول: إن الزعيم الليبي معمر القذافي لا يسافر أبدًا دون ممرضة حسناء وصفتها التقارير بأنها 'شقراء مثيرة'. ووفقًا للتقرير المرسَل من السفارة الأمريكية في طرابلس فإن مصدرًا، لم يُسَمه، أبلغ السفارة بأن الممرضة جالينا كولوتنيتسكا هي الوحيدة في الفريق المؤلَّف من أربع ممرضات أوكرانيات التي تعرف

(١) موقع المعرفة. https://www.marefa.org

«روتين» الزعيم الليبي. وأشار الموقع إلى أن بعض الوثائق تشير إلى وجود «علاقة رومانسية» بين الاثنين.

وأرسلت السفارة هذا التقرير بعدما بحث مسؤولون أمريكيون ترتيبات زيارة القذافي لنيويورك عام ٢٠٠٩. وورد التقرير ضمن عشرات الآلاف من الوثائق التي نشرها الموقع.

وجاء في التقرير أنه عندما تسبَّبت بعض الإجراءات الروتينية في عدم لحاق الممرضة وسفرها مع وفد القذافي، بسبب استكمال بعض الإجراءات، أرسل لها القذافي طائرة خاصة نقلتها من طرابلس إلى البرتغال، لتلحق بالوفد الذي أمضى ليلة في البرتغال في طريقه إلى نيويورك. وجاء في التقرير أيضًا أن الزعيم الليبي الذي كان في السابعة والستين عام ٢٠٠٩ كان طوال تحركاته في نيويورك برفقة «ممرضة أوكرانية» وُصِفَت في التقرير الأمريكي بأنها «شقراء مثيرة». كما كشفت التسريبات أن القذافي يخشى من الأدوار العليا، ولهذا فإنه يبقى حتمًا في الدور الأول من أي منشأة، واستعان الموقع بذلك على تفسير لماذا طلب القذافي إقامة خيمة له في نيوجيرسي، عندما زار الأمم المتحدة عام ٢٠٠٨، بدل الإقامة في فندق في مانهاتن. وأضاف أنه 'لا يستطيع تسلُّق أكثر من ٣٥ قدمًا، ويكره الطيران فوق المسطحات المائية، ولا يستطيع أن يتحمل تحليق الطائرة به لأكثر من ثماني ساعات متواصلة.

وجاء في أحد التقارير الدبلوماسية الأمريكية التي نشرها موقع ويكيليكس، أن الزعيم الليبي معمر القذافي عندما غضب من الاستقبال الذي خُصص له خلال زيارته إلى نيويورك عام ٢٠٠٩، ومُنعَ من نصب خيمته في نيويورك، ومن زيارة موقع «غراوند زيرو»، حيث وقعت اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر خلال مشاركته في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة. تعبيرًا عن استيائه هذا، رفض القذافي الوفاء بوعد كان قطعه بإرسال كمية من اليورانيوم تملكها ليبيا إلى روسيا. وجاء في تقرير كتبه الجنرال أي غيتز السفير الأمريكي في طرابلس، قوله: إن الشخص قد يُدفَع لرفض الطريقة التي يتصرف بها الرئيس على أنها علامة لعدم التوازن، إلا أن القذافي شخصية مُعقَّدة، ورجل استطاع البقاء في السلطة مدة أربعين عامًا من خلال موازنة ذكية لمصالحه وأساليب تفهُّم الواقعية السياسية[1].

تحت عنوان «لمحة عن شخصية الزعيم الليبي معمر القذافي»، في التاسع والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٩، أرسل جين كريتز، السفير الأمريكي في طرابلس، إلى واشنطن، بعض اللمحات عن شخصية الرئيس الليبي معمر القذافي. وبعد ما يزيد عن العام كشف موقع ويكيليكس عن تلك الوثيقة ضمن وثائق أخرى.

(١) موقع سما الإخبارية، وكالة أنباء فلسطينية مستقلة. في ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠.

وتقول الوثيقة إنها تستند إلى معلومات نتجت عن تعامل «قريب من القذافي وموظفيه»، ولا تورد ويكيليكس اسم هذا الشخص مصدر المعلومات. ومن الواضح أن الوثيقة أُرسلت قُبيل سفر القذافي إلى نيويورك لحضور جلسة الأمم المتحدة عام ٢٠٠٩.

ويُذكر أن الولايات المتحدة وليبيا بقيت علاقاتهما متوترة طوال حقبة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي على خلفية قضايا عدة، تخلَّلها قصف ليبيا في عام ١٩٨٦، وحادثة لوكيربي بإسقاط طائرة أمريكية في اسكتلندا، وأُدينت فيها ليبيا. وعادت العلاقات ما بعد عام ٢٠٠٨ بزيارة وزيرة الخارجية آنذاك كوندُليزا رايس لتكون أول وزيرة خارجية تزورها منذ ٥٥ عامًا. وتقول الوثيقة: إن زيارات القذافي وظهوره في مختلف المؤتمرات، سواء في الداخل والخارج، يكشف المزيد من التفاصيل عن شخصيته.

لكن القنصلية أصرَّت على تقديم صورة صحيحة، فقدَّمت صورة خاصة مناسبة لطلب التأشيرة. وهو ما يعني أن القذافي والوفد المرافق له لا بد لهم من المبيت في أوروبا قبل الاستمرار في الطيران إلى أمريكا.

فقد بدا مغتبطًا جدًّا في أثناء عرض لراقصيه في طرابلس. كما أن القذافي، وفقًا للسفير الإسباني في طرابلس، توقف في إشبيلية في طريق عودته إلى ليبيا من فنزويلا خصيصًا لحضور حفل رقص فلامنجو. وتنقل المراسلة عن بعض المتصلين بالسفارة الأمريكية في طرابلس قولهم إن القذافي «على علاقة

غرامية» بالممرضة الأوكرانية، وأن مسؤولًا أوكرانيًا امتنع عن التعليق على هذا الأمر، لكنه أكد أن الممرضة تُرافِق القذافي أينما ذهب. وتوصي الوثيقة بالمزيد من الانخراط والتعامل أكثر مع القذافي وحاشيته، باعتباره أمرًا مهمًّا ليس فقط لمعرفة دوافع أطول دكتاتور حكمًا في العالم ومصالحه، ولكن أيضًا للمساعدة في التغلب على المفاهيم الخاطئة التي تراكمت خلال عقود من عزلة القذافي.

إلا أن هذه الخدمة قد تكون بلا نهاية، فرغم مرور سنوات طويلة على انخراطهن فيها، لم تقابل وسائل الإعلام حارسة واحدة متقاعدة لعلها تروي أسرار هذا العالم الغامض. أما الممرضات الأربع الأوكرانيات فأشهرنَّ جالينا كولوتنيتسكا التي جاءت سيرتها ضمن وثائق موقع ويكيليكس، بوصفها ممرضة القذافي الخاصة الشقراء المثيرة.

وعرضت صحيفة «سيجودنيا» الأوكرانية مجموعة صور لهذه الممرضة التي تُلازِم القذافي أينما ذهب. وكانت تسريبات موقع «ويكيليكس» تضمنت وثيقة دبلوماسية أمريكية سرية، تقول: إن الزعيم الليبي معمر القذافي لا يسافر أبدًا دون ممرضة حسناء.

أما حارسات القذافي وأبناؤه فيلفتون الانتباه في أي مكان يذهبون إليه. وعندما زار ابنه المعتصم مدينة الأقصر في جنوب مصر، أثار مشهد تجواله مع العديد من حارساته انتباه السائحين الأجانب والسكان المحليين. وتقول

تقارير: إنهن يتخرجن في كلية خاصة، وتُشترط فيهن العذرية. ويقول موقع beautifulatrocitie إن القذافي يختار بنفسه حارساته الشخصيات، وقبل أن ينخرطن بشكل رسمي في الخدمة يقسمن على تقديم حياتهن في سبيله، ولا يتركنه ليلًا ولا نهارًا، ويصر على أن يبقين عذراوات. ويضيف الموقع: ليس هناك نقص في المتطوعات، لذلك يبدو أنها وظيفة ذات «بريستيج»، أي توفِّر لصاحبتها مكانة ممتازة.

ويكشف الموقع أن هناك كلية خاصة للمتطوعات يمارسن خلالها برنامجًا قاسيًا، والفتيات اللواتي يكملنه يتخرجن مقاتلات محترفات، وخبيرات باستعمال الأسلحة وفنون القتال.

وبغض النظر عن الشائعات التي تحيط بهن، فإن أيًّا منهنَّ لم تهرب من عملها بعيدًا لتروي أسرار الحراسة النسائية للقذافي، خصوصًا أنهن يقمن بأدوار تخالف أدوارهن الطبيعية، على الرغم من أن الكتاب الأخضر اعتبر أن المرأة مكانها البيت. ونقلت تقارير إعلامية أن القذافي أطلق على كل حارسة من حارساته اسم «عائشة» تيمنًا بابنته التي قالت في مقابلة صحفيّة إنه يشعر بالأمان عندما يكنَّ حوله. فهناك عائشة-١ وعائشة-٢ وعائشة-٣ وهكذا[١].



(١) موقع. مأرب برس. ٢٤ فبراير-شباط ٢٠١١.
https://marebpress.net/articles.php?id=9237

الفصل الحادي عشر

القذافي والثقافة

عندما شرعتُ في كتابة هذا الفصل كنت أتحدث مع الكاتب الليبي محمد التهامي[1]، وسألته: لو لم يكن القذافي رئيسًا لليبيا، فأي مهنة كانت أنسب له؟

فقال على الفور: كاتب. لأنه نَشَرَ عدة كتب، وهذه الكتب جديرة بالدراسة والاهتمام. لسبب بسيط أنها توضِّح وتشرح نفسيته كونه زعيماً. وأعتقد أن تلك الكتب زادت من حدة مشكلته الدائمة، وهي التناقُض بين التراث القديم الذي أحبَّه، وفكرته عن الثورة والحداثة، لأنه نشأ وترعرع في الصحراء الليبية منقطعًا تقريبًا عن الناس.

يقال إنه كان يحب القراءة والشعر العباسي، وبخاصة أبو تمام والبحتري، وكان يهوى الاستماع إلى الشعر يلقيه عليه جُلساؤه. ويقال أيضًا إنه قرأ ماكيافيلي[2] وتأثر به وأنشأ ماكيافيلّيته الخاصة، القائمة على الحيلة والقهر

---

(١) كاتب ليبي وسيناريست، تخرج في كلية الآداب قسم الفلسفة، يقيم في بني غازي، ويدير مختبر القصة القصيرة الليبية.

(٢) نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلي بالإيطالية: Niccolò di Bernardo dei Machiavelli: وُلد في فلورنسا ٣ مايو ١٤٦٩ – وتُوفي في فلورنسا في ٢١ يونيو ١٥٢٧. كان مفكرًا وفيلسوفًا وسياسيًّا إيطاليًّا إبان عصر النهضة. أصبح مكيافيلي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. اشتُهر بمؤلَّفه «كتاب الأمير»، والذي هدف مكيافيلي بكتابته أن يبرز بعض التعليمات للحكام. الموسوعة الحرة.

والقمع والترهيب والتجهيل والقتل والإلغاء... ولم تكن دعوته الى «الجماهيرية» إلَّا ضربًا سياسيًّا احتياليًّا ولعبة سلطوية وتسلطية. ويشبه القذافي في قسوته ولا رحمته وإجرامه وجنونه طغاة مثل ستالين وكيم جونج إيل وفرانكو وتيتو وتشاوتشسكو (صديقه) وسواهم، وهو أقرب إلى النموذج الأفريقي الديكتاتوري، فكان دمويًّا مثل بوكاسا آكلِ لحوم البشر، أو مثل موبوتو آكلِ دماغ القرود... لكنّ القذافي القاتل كان يهوى غسل يديه وساعديه بدم الغزال الذي كان يذبحه بنفسه، وكان يهوى أيضًا ذبح الخرفان في خيمته الشهيرة، التي كان يحملها معه في حلِّه وترحاله، وكان يعدّها رمزًا إحيائيًّا للبداوة التي يحملها في دمه[1].

بالفعل حقَّق القذافي هدف عمره وصار مثل جمال عبد الناصر، الذي قلَّده القذافي في كل شيء، فقد كَتَبَ عبد الناصر في مطلع شبابه رواية» في سبيل الحرية»، وعندما صار حاكمًا، ألَّف ونَشَرَ كتاب الميثاق دليلَ عملٍ. وقلَّده القذافي في مؤلَّفاته التي سنشير إليها، وفي الكتاب الأخضر. الذي اعتبره دليلَ عملٍ لليبيا.

ومثل الرئيس صدام حسين العراقي الذي نَشَرَ أربع روايات هي: زبيبة والملك، القلعة الحصينة. رجال ومدينة واخرج منها يا ملعون. كما أنه نشر عدة قصائد.

---

(١) عبده وازن. صحيفة الحياة اللندنية، ١٢ ديسمبر ٢٠١٢.

كان لا بد أن يكون القذافي نسخة من عبد الناصر القائد والمؤلِّف والمفكِّر.
وأصبح القذافي أيضًا القائد والمؤلِّف والمفكِّر وله من الكتب:

- الكتاب الأخضر، وهو كتاب ألَّفه العقيد معمر القذافي عام ١٩٧٥، وفيه يعرض أفكاره حول أنظمة الحكم وتعليقاته حول التجارب الإنسانية كالاشتراكية والحرية والديمقراطية، حيث يعتبر هذا الكتاب كتابًا مقدسًا عند معمر .
- تحيا دولة الحقراء! كتاب ضد القانون، دوَّنه الرئيس معمر القذافي، وتوجَّه به للناس قائلًا: «الموت للعاجزين... حتى الثورة، علينا أن ننتظر انتصارنا حتى لو تأخر ٣٦٠ عامًا، الشيوعية لم تولد حتى يقال: إنها ماتت...
- كما كتب القرية. القرية الأرض، الأرض، وانتحار رائد الفضاء وقصص أخرى، وهي مجموعة قصص، تكشف هذه المجموعة عن موهبة كبيرة في الفن القصصي للقائد السياسي الجريء معمر القذافي، إذ إن هذه المجموعة من القصص تنمُّ عن خيال واسع، مصقول بثقافة رحبة، وبأسلوب أخَّاذ.

وكأن القذافي في تلك الكتب يريد أن يقول « ما أقسى المدينة وأتفهها على ساكنيها المساكين! فهي تجبرهم على قبول اللامعقول... وهضمه وابتلاعه غصةً على أنه مقبول ومعقول... وليس أدل على ذلك من تلك الاهتمامات التافهة التي تفرضها المدينة على أهلها. قد تجد الآلاف المؤلَّفة تتفرج على عراك ديكين!! فضلًا عن الملايين أحيانًا وهي تتابع اثنين وعشرين فردًا لا غير في حركات لا معنى لها وراء كيس صغير في حجم البطيخة مملوء بالهواء العادي...والحشود نفسها تقريبًا تحضر لمجرد الحضور تقليدًا مدينيًّا تافهًا

أمام شخص واحد فقد يُردِّدُ كالببغاء أمامهم بأسلوب تافه وغير مسموع أحيانًا استنطاقات متلوية ومصحوبة بضجيج آلي، أغلب الحاضرين لا يميزون منها شيئًا...»

ويحكي الروائي أحمد إبراهيم الفقيه[1] أنه كتب دراستين عن «أدب» القذافي ضّمنهما مجلدات ثلاثة، صدرت في ليبيا، تحتوي كل ما كتبه نقاد أكاديميون وأدباء وصحافيون عرب عن قصص القذافي وكتابه الشهير،

---

(١) ولد لأسرة متوسطة الحال في عام ١٩٤٢، غادر بلدته مزده إلى مدينة طرابلس، بعد أن أكمل دراسته الابتدائية ليبدأ مسارًا دراسيًّا طويلًا ومتقطعًا، انتهى به إلى نيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة أدنبره في عام ١٩٨٢. بدأ ينشر مقالاته وقصصه القصيرة في الصحف الليبية والعربية انطلاقًا من عام ١٩٥٩. عمل في مؤسسات صحافية وترأس تحرير مجلات عدة. أسهمَ في تأسيس عدد من الصروح الثقافية والأدبية في بلاده، وشغل منصب مدير للمعهد الوطني للتمثيل والموسيقا، وأنشأ صحيفة «الأسبوع الثقافي» في مطلع السبعينيات، وكان رئيسًا لتحريرها وقدَّم من خلالها كتّابًا صاروا في طليعة الحركة الأدبية والشعرية. وشارك في إنشاء مجلة «الثقافة العربية» في بيروت، وكان لفترة قريبة رئيسًا لتحريرها. وسعى إلى إنشاء اتحاد للأدباء في ليبيا وكان مقرر لجنته التأسيسية، وتولى منصب أمينه العام لفترة. ثم تفرّغ للعمل في المجلس القومي للثقافة العربية رئيسًا لشعبة الإبداع، وتولى لأكثر من ١٥ عامًا رئاسة المؤسسة العربية الخيرية للثقافة، التي أقامت ندوات ومعارض وأصدرت مجلة «الأفق» التي كانت رائدة في تقديم الأدب العربي إلى قراء اللغة الإنجليزية والتي كان يرأس تحريرها كعمل تطوّعي طوال سنوات صدورها في لندن خلال فترة إقامته في هذه المدينة التي استمرت عشرة أعوام. عمل أيضًا سفيرًا لليبيا في أثينا وبوخارست، وأستاذًا جامعيًّا محاضرًا في الأدب العربي الحديث في الجامعات الليبية، والمصرية، والمغربية. عبده وازن. صحيفة الإندبندنت العربية. ٤ مايو ٢٠١٩.

وبينهم أسماء محترمة. كان الفقيه يشعر بحال من الإحراج الشديد إزاء ماضي «القذافي» مثل سائر المتورطين قسرًا أو طمعًا بمال أو مركز. لكنه لم يتوانَ عن مهاجمة القذافي في تصريحات لاحقة ووصف أدبه بـ «الهراء» وقال: «لو لم أهادنه كنت سأموت».

تحدث الفقيه في كتابه «القذافي البداية والنهاية »:

- كان القذافي يكنُّ لمدينة طرابلس كراهية شديدة، بل هو مسؤول عمّا حدث من تشويهٍ لنفسية الليبيين. وعبارة كراهية القذافي لطرابلس أو أية مدينة أخرى، سمعناها من أهل بنغازي الذين قالوا: إن القذافي لم يكن يحب مدينتهم، وترك شوارعها كما كانت عليه منذ أربعين عامًا، بل إن أحد المعارضين الذين عادوا إليها بعد الثورة قال: إن الشارع أمام بيته لا يزال على حاله كما كان منذ ٣٠ عامًا، حيث ترك ليبيا مهاجرًا إلى بريطانيا لاجئًا سياسيًّا. ولعل الأثر الأكثر سوءًا الذي تركه القذافي على الشعب الليبي أنه لم يدمر المكان، ولم يصِّحر الشعب الليبي أو 'يُبَدْوِنَه' بل دمَّره نفسيًّا.

وتركت العقود الأربعة الأخيرة على الشعب الليبي آثارها العميقة فيه، فهذا الشعب الذي ارتبط ذكره بالزوايا الصوفية المجاهدة والمقاومة للاستعمار الإيطالي، والذي ارتبط تاريخه بالقوافل القادمة من قلب أفريقيا إلى البحر المتوسط، كونه حلقة وَصْلٍ بين المشرق العربي والمغرب العربي تحوَّل في العقود الأربعة إلى حُطام ومُختبر تجارب مارسَ من خلالها الزعيم الذي قدَّم نفسه على أنه سادِن القومية العربية، والمفكر العالمي وصاحب

النظرية الثالثة، والذي يملك الحل الاقتصادي لمشكلات البشرية، صاحب الطريق الثالث، وحكيم أفريقيا في آخر أيامه وملك ملوكها، كل التصرفات الغريبة التي أضرَّت بالشعب الليبي ودمَّرت هُويَّته، وأطاحت ممارساته المزاجية بصورته، حيث كان الليبي المفاخر بتاريخه يشعر بالخجل من نفسه عندما يُربط وطنه بهذا الشخص المتقلِّب النَّزعات. حتى من كانوا يمثِّلون هذا الوطن المتماهي مع البحر والصحراء والتاريخ الممتد إلى عصور سحيقة والذي أخرج أباطرة ملاحم التاريخ وأبطاله كانوا يرون كيف دمَّر العقيد ما تركته الإنسانية له باسم العودة للصحراء التي جاء منها حافيًا وعاد إليها حافيًا وخائفًا ومرعوبًا عندما وقع في أيدي الأجيال التي درست في مدارسه وتعلمت أغنية واحدة طوال عمرها «يا معمر يا الغالي».وفي حوار منشور في صحيفة البوابة المصرية أجراه الكاتب الروائي محمود الغيطاني[1] مع

(١) حاصل على ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. عمل محررًا ثقافيًّا وفنيًّا في جريدة (الولاء) المصرية الأسبوعية، وفي جريد (البوابة) المصرية، كما عمل محرر ديسك في موقع (البوابة نيوز). صدرت له أول رواية تحت عنوان «كائن العزل» في عام ٢٠٠٦. له العديد من الدراسات السينمائية والقصص المنشورة في عدد من المجلات والدوريات مثل (الفن السابع)، و(أوراق ثقافية)، و(الرافعي)، و(أدب ونقد)، و(أخبار الأدب)، و(الثقافة الجديدة)، و(الأهالي)، و(المحيط الثقافي). عضو اتحاد كتّاب مصر، وعضو نادي القلم الدولي، وعضو نادي القصة اليمنية، وعضو أتيليه القاهرة (جماعة الفنانين والأدباء). كان عضوًا بلجنة تحكيم في مسابقة الأفلام التسجيلية في مهرجان فاس الدولي للفيلم الرياضيعام ٢٠١٤، وعضوًا بلجنة اختيار الأفلام بمهرجان القاهرة الدولي السينمائي في دورته الـ٣٦ عام ٢٠١٤.

الكاتب الليبي أحمد إبراهيم الفقيه يوم ١٤ فبراير ٢٠١٥ سأله الغيطاني: مارسَ القذافي الكتابة، وكانت جميع الصحف الليبية تُهلِّل لما يكتبُه، بل معظم مثقفي الوطن العربي ومنهم الكثير من المصريين ناله في مديح ما يكتبه رغم أنه لم يكن يرقى إلى الكتابة التي لا يمكن الاعتداد بها. كيف ترى هذا الأمر الآن بعد رحيل العقيد وانقلاب من كانوا يُصفِّقون له وهجومهم الشرس عليه؟

أجاب الفقيه:

- هناك شيء مهم، لا بد من التفريق بين الليبي، وغير الليبي، وهذا ينطبق أيضًا على العراق أيام صدام، وعلى سوريا أيام حافظ الأسد، فأنت مثلًا باعتبارك الروائي محمود الغيطاني في مصر لا يقع عليك أي نوع من الضغط من القذافي، إذن فما الداعي الذي يجعلك تذهب إلى ليبيا من أجل تمجيده؟ وهنا يختلف الأمر، إذا كنت مواطنًا عراقيًّا وقلت كلمة في صدام، كيف تنجو بعمرك؟ هناك يكون هذا من حقك، فالضغط عليك يكون مستمرًّا، ولا بد أن تُحيي القائد، أما أن تجيء من الخارج لتحيته وهو لا يستحق فالأمر مُستهَجن، وأنا شخصيًّا جاءني القذافي بمجموعة من الأوراق وقال لي: «اكتب لي مقدمة لهذه الأوراق»، وكأن الأمر كان اعترافًا بمكانتي الأدبية من قِبل القذافي كي أُقدِّمه للقارئ، وهنا أنا لم أجرؤ على الرفض، ولكنني أيضًا والله تجرأتُ على قول نقدي، وقلتُ له

هذه: ليست قصصًا، صحيح أن فيها قصة تتوافر فيهما آليات القصص، ولكن الباقي مجرد مقالات عادية مثل ما نكتبه في أعمدة الرأي، فقال لي : هذا ما خرج من قريحتي. فقلت له: لِمَ لا تكتب مجموعة أخرى من القصص ونضمُّها إلى القصتين؟ فقال: لا. هذا ما كتبتُه الآن، وفي الحقيقة أني كتبت في المقدمة التي نشرها مع الكتاب «قراءة في قصتي» الفرار إلى جهنم ، والموت، كما أن هاتين القصتين – أُشهِد بالله – أنه يتوافر فيهما شيء من القيمة الأدبية، والأسلوب، فهو كان في حالة احتقان، فهذا الرجل لا يمتلك رفاهية الحديث في الأمور الحياتية العادية، فهو لن يستطيع أن يجيء إليك للحديث عن مشكلاته الخاصة مثلًا، لذلك كان لديه شحنة انفعالية قوية في أثناء كتابة هاتين القصتين، وهو كان يمتلك الأسلوب، فهو رجل قرأ القرآن صغيرًا، لذلك كانت أسلوبيته لا عوار فيها، وهذا ليس غريبًا على الطغاة الكبار، فما زلنا حتى الآن نرى كتاب « كفاحي» لهتلر، وجريدة «أفانتي» الإيطالية كان يكتب فيها موسوليني مقالات، وأنا أشهد أن القذافي كتبَ هاتين القصتين، وحتى مقالاته بأسلوب يرقى إلى مستوى الأدب، ولكن هذا مجرد عطاء بسيط، وإذا اعتبرنا أن هذه الكتابات ذرة في ميزان حسناته فهناك قناطير مما صنعه من كوارث في حياة الليبيين .

في فبراير ١٩٧٩ عُقد في طرابلس مؤتمر وزراء الثقافة العرب، وتوافَد وزراء الثقافة من مختلف الأقطار العربية، وفي يوم الافتتاح جاء القذافي

متأخرًا عن موعده نصف ساعة، وبعد أن اتخذ مجلسه في صدر القاعة، تقدَّم مرافقه ووضع أمامه خطاب الافتتاح، إلا أن القذافي دَفَع المرافق بكوعه دفعة قوية، ثم أزاح أوراق الخطاب جانبًا، وبادرَ إلى إلقاء خطاب ارتجالي، برزت من خلاله نقطتان رئيسيتان:

الأولى: أن الثقافة السائدة الآن في العالم العربي هي الثقافة الأوروبية، والتي نقلها بادئ ذي بدء الكتاب والأدباء المصريون. وهي ثقافة غريبة عن تقاليد العرب وتراثهم ولا تلائمهم، إنها ليست ثقافة، ولكن «سخافة»، ومن هنا يجب التخلي عنها وإهمالها، والتوجُّه نحو ثقافة عربية صميمة أصيلة.

الثانية: سينظر المؤتمر في برامج الاحتفال بنهاية القرن الرابع عشر للهجرة، وهو أمر حسن، ولكن الجماهيرية تعتقد أن الهجرة لم تكن الحدث الأهم في تاريخ الإسلام، الحدث الأهم هو وفاة النبي محمد، إذا بوفاته انقطع الاتصال بين الأرض والسماء، لأنه كان آخر الأنبياء وخاتم المرسلين.

وخلص العقيد القذافي إلى القول: إن الجماهيرية سوف تبدأ استعمال تاريخين هما، وفاة الرسول وميلاد المسيح، (وبالفعل ظهرت الصحف في اليوم التالي تحمل ذينك التاريخين).

واختتم المؤتمر أعماله بعد ثلاثة أيام، وبطبيعة الحال اتخذ عددًا من التوصيات، ولكن الأمر المهم هو لأنه لم يتخذ أي قرار ذي صفة عملية، فلم يُقر البدء بالموسوعة العربية، ولا الاتفاقية الخاصة بحقوق التأليف،

ولا الاتفاقية الخاصية برفع الحواجز عن تنقُّل الكتاب العربي بين الأقطار العربية، ولم يقرر رفع الرسوم الجمركية عن الكتب أو الورق[١].

يقول الكاتب والناقد الأدبي [٢] فخري صالح: إن المواهب الليبية ازدهرت في المنفى، على الضفة الأخرى، أي في المنافي العديدة المتباعدة، التي لجأ إليها المثقفون الليبيون للحفاظ على رؤوسهم والنجاة بإنسانيتهم، تفتحت مواهب كبيرة فرضت حضورها على المشهد الثقافي العربي، بل إن بعضها أصبح جزءًا من ميراث الثقافة الإنسانية المعاصر عَبْرَ الكتابة بلغات أخرى غير العربية، وخصوصًا باللغة الإنجليزية، ويمكن أن نمثِّل لذلك باسمَيْ: الروائي هشام مطر، والشاعر والمترجم البارز خالد مطاوع، الذي

(١) سليمان موسى. مشاهد وذكريات. جريدة الرأي. عمان. ١٩٩٦.

(٢) وُلد فخري صالح نواهضة في اليامون/ جنين عام ١٩٥٧، حصل على بكالوريوس الأدب الإنجليزي والفلسفة من الجامعة الأردنية عام ١٩٨٩، وكان قد درس أربع سنوات في كلية الطب في الجامعة نفسها ولم يكمل. يعمل مديرًا للدائرة الثقافية في جريدة الدستور الأردنية، ورئيسًا لجمعية النقاد الأردنيين، ونائبًا لرئيس رابطة الكتاب الأردنيين، وكان قد عمل مراسلًا في الصحافة الثقافية العربية، وسكرتيرًا للتحرير ومديرًا للتحرير، ومحررًا في عدد من المجلات والصحف، ويكتب بصورة منتظمة في صحيفة الحياة (لندن) وصحيفة الخليج (الشارقة) وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين، واتحاد الكتاب العرب، وحاصل على جائزة فلسطين للنقد الأدبي م ١٩٩٧، ومن أبرز الفعاليات العربية التي شارك بها: مؤتمر الرواية العربية الأول بالقاهرة عام ١٩٩٨، ومهرجان الرباط الدولي ١٩٩٩، ومهرجان أصيلة بالمغرب ١٩٩٤. موقع أبجد https://www.abjjad.com

نذر نفسه لترجمة الأدب العربي، الشعر منه خصوصًا، إلى اللغة الإنجليزية. وفي تلك المنافي أنجز إبراهيم الكوني، وهو يعيش في مُعتَزَله السويسري، أهم أعماله الروائية، سواء تلك التي تدور حول عالم الصحراء والندرة والعلاقة الوجودية البريئة التي تقوم بين الإنسان والحيوان والطبيعة، أو تلك التي تتحدث عن معضلة الوجود وعذاب الروح في عالم المادة الذي ينوء بكلكله على تلك الروح الشفافة التي تنتظر بصبر الانفلات من أَسْرِ هذا العالم.

اللافت أن إبراهيم الكوني، الكاتب المنشغل بتقديم تأويل لمعنى الوجود والعدم والشغوف بأعمال الروائي الروسي العظيم فيودور دوستويفسكي، يكتب في السنوات الأخيرة عملًا مختلفًا مهمومًا بتفسير معنى السُّلطة، كأنه في رواية «الورم» (٢٠٠٧) يستلهم شخصية القذافي حين يسعى إلى التعرف على ماهية السُّلطة وتشريح لا وعيها وبنياتها اللاشعورية. في «الورم» يصور الكوني التصاق السُّلطة بجسد صاحبها، حتى إذا حاول مانح السُّلطة انتزاعها اضطرَّ إلى خَلْع جلد المتسلط، لأنه صار هو والسُّلطة كينونتين لا تنفصلان؛ فانتزاع السُّلطة من صاحبها يعني موته موتًا بطيئًا مضنيًا مزلزلًا للفكر والوجدان. فهل هذه نبوءة بالفعل تلقي ضوءًا غامرًا على ما يحدث من تشبُّث العقيد بسلطة ينفي أنه يمتلكها؟ كأن الكوني تنبَّأ بهذه اللحظة فكتبها بتلك اللغة المجازية التي تقوم بتشريح بِنية السُّلطة والاستبداد في تاريخ السياسة العربية.

في منفًى آخر يكتب الروائي الشاب هشام مطر عملًا سرديًّا مدهشًا باللغة الإنجليزية عن رعب محاكمات العقيد لرجال الدولة الذين يتهمهم بالخيانة والرجعية، فيختفون دون أن يظهر لهم أثر. في روايته «في بلد الرجال»، الصادرة عن دار بنجوين البريطانية ٢٠٠٦ التي وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر في العام نفسه، وتُرجمت حتى الآن إلى ٢٢ لغة، يروي هشام مطر، من خلال ذاكرة طفل، رُعب انتظار العائلة مجيء مباحث العقيد للقبض على الأب المتهم بالرجعية والتآمر على الثورة! هكذا يسعى هشام مطر - الذي اختطفتْ والده من القاهرة مباحثُ نظام حسني مبارك عام ١٩٩٠، وسُلِّم إلى المخابرات الليبية لتختفي أخباره بعدها - إلى كتابة عمل يتجاوز السرد السير ذاتي إلى تصوير رعب الولادة في زمن الدكتاتوريات المتوحشة التي لا ترى في الكون سوى ذاتها، فهي «المجد» والعظمة، وما عداها من البشر «جرذان» و»صراصير» و»جراثيم»، كما جاء في خطب القذافي الأخيرة إلى «شعبه»!

ولعل رواية هشام مطر الأخيرة التي صدرت عن دار نشر فايكنج البريطانية في عنوان «تشريح اختفاء» Anatomy of A Disappearance تستوحي سيرة الكاتب الليبي الذاتية أيضًا. إنها تستلهم الأجواء نفسها، وتسرد - من خلال وعي الصبي ابن الاثني عشر عامًا - رعب اختفاء الأب رجل السياسة الذي يُختطف، ولا يظهر له أثر بعد ذلك. ليس من شك أن هشام مطر يعمل في روايته الثانية على تغريب الحدث باختياره مصر أرضًا

لأحداث روايته، فالأب الذي يختفي دبلوماسي مصري يعمل مع الملك الذي يتعرَّض للاغتيال. لكن تغريب الحدث الروائي في «تشريح اختفاء» لا يبتعد كثيرًا عن الألم العميق الذي ينوء بثقله على صدر الكاتب، الذي يتتبَّع الآن الأخبار ليعرف إن كان والده ما زال حيًّا أم لا. لقد صرَّح منذ أعوام لصحيفة «الجارديان» البريطانية أن والده أرسل للعائلة رسالة بخطِّ يده الدقيق عام ١٩٩٦ يخبرهم فيها أنه حيٌّ، كما أن هناك أنباء تعود إلى عام ٢٠٠٢ تُشير إلى أن الأب حيٌّ ولم يمت في مذبحة سجن أبو سالم الرهيب في وسط مدينة طرابلس، والتي راح ضحيتها ١٢٠٠ سجين حسب ما أفادت منظمات حقوق الإنسان الدولية. فهل هناك أقسى من هذه الحكاية التي تُشبهها حكايات كثيرة أخرى تسبَّب فيها نظام العقيد القذافي، الذي لا يتورَّع الآن عن ارتكاب مذابح بشعة جديدة؟[١] .

كان القذافي يحاول بشتى الطرق تقليد عظماء الدول الكبرى، ومَن أحدثوا نقلاتٍ حضارية لشعوبهم.

فقد حاولَ القذافي تقليد زعيم الماركسية الصينية في ما قام به، وهو يُعرف بأبي الثورة الثقافية الصينية [٢]، في خطاب ألقاه القذافي بمدينة زوارة

---

(١) فخري صالح. القناة الألمانية dw. أول مارس ٢٠١١.

(٢) أطلق ماو تسي تونج، رئيس للحزب الشيوعي الصيني في ١٨ آب/ أغسطس عام ١٩٦٦ الثورة الثقافية بهدف زيادة سلطة الحزب الشيوعي وفعاليته في قيادة البلاد وحماية تجربته في الوقت ذاته من الارتدادات التي قد تنتج عن تجربة النقد الذاتي =

= الروسيّة الكبيرة التي كان بدأها نيكيتا خروتشوف منذ عام ١٩٥٦. ركّز ماو تسي تونج، على تعبئة طلاب بكين وشانغهاي ضد التقليد والمهادنة، وطالَبهم بالثورة على آبائهم، وعلى سياسيي الحزب المتهمين بالتحريف والضلال العقائدي والبراجماتية بالإضافة للفساد. وكان من أبرز المتهمين ليو شاوتشي، الذي كان رئيسًا للجمهورية آنذاك، ودينج شياو بينج، أحد أبرز القياديين الصينيين الذين سيكون لهم دور بارز في إعادة توجيه الاقتصاد والسياسة في الجمهورية الشعبية في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. اتُّهم الاثنان بالتضحية بالأيديولوجية الشيوعية في سبيل ضرورات الانتعاش الاقتصادي، وخضع شياو بينج لإعادة تعليم وتوجيه إيديولوجي قسري، بينما توفي شاوتشي في السجن لاحقًا. اجتمعت الفرق الشبابية التي كلَّفها الزعيم بتصحيح الأوضاع داخل الحزب وفي الحياة العامة، وكوّنت ما سيعرف بـ»الحرس الأحمر». وشهيرة هي صور الشبيبة الحمراء الصينية في الستينيات وهي تجول شوارع بكين رافعة «الكتاب الأحمر الصغير» الذي يحتوي تعاليم ماو التي «لا بد لكل ثوري جيد أن يحفظها عن ظهر قلب ويكررها في كل مناسبة». اجتمعت هذه الفرق في كل مكان، وجرت ضمنها مناقشات كبيرة، كان الشباب الساخطون يعبِّرون خلالها عن آرائهم في كل شيء، وينتقدون المؤسسات القائمة التي تحتاج إلى تغيير وثورة ثقافية، ومن ثم كانوا يعمدون إلى نشرها في مجلات حائط عمومية تُسمى في الصين «Dazibao». خلال عامي ١٩٦٧ و١٩٦٨، تحولت تلك الفرق الشبابية إلى مجموعات شبه عسكرية انطلقت «تصطاد» أساتذة الجامعات والمدرسين المتهمين بتمثيل البرجوازية والتحريف، ونفذت عمليات إعدام لأعداد كبيرة منهم دون محاكمات كانت غالبًا ما تُسبق بحفلات من الإذلال البدني والنفسي ضد من كان الحراس الحمر يطلقون عليهم اسم «الأعشاب السامة». كما شنت الشبيبة الغاضبة حملة شعواء على المعابد والمراكز الدينية وحتى المحلات التجارية باعتبارها تعبيرًا عن «النظام القديم» بشقيه الإقطاع الريفي التقليدي والبرجوازية المدينية الحديثة. حتى الكتب القديمة والتراثية=

يوم ١٥ أبريل ١٩٧٣، أعلن عمَّا أسماها » الثورة الثقافية»، بمعنى الحرب على مقومات الدولة الكلاسيكية التي تم نعتها بالنمط الرجعي، حيث عطَّل القوانين، وطارَد ولاحَق من أسماهم المرضى سياسيًّا «أعداء الثورة»، وإعلان عصر الثورة الشعبية والثقافية والإدارية، وبعد عام من ذلك ألغى رسميًّا وظائف سياسية وإدارية، فيما أبقى على ألقاب رئيس الدولة ورئيس الأركان. في ١٩٧٤ أصدر القذافي النسخة الأولى من «الكتاب الأخضر» مُطلقًا عليه: «النظرية العالمية الثالثة».

اشتمل خطاب زوارة على خمس نقاط هي في حقيقتها إلغاء للدولة متمثلة في:

- تعطيل كل القوانين المعمول بها.
- القضاء على الحزبيين وأعداء الثورة.

= لم تسلم من حملة التطهير الثقافي تلك، وذلك إذا لم نتحدث عن الإنتاج الثقافي والفني الغربي الذي تم حظر أغلبه، ومُنع تداول جلّه بحجة برجوازيته. في نهاية عام ١٩٦٨، قرَّر ماو وضع حدٍّ للاضطراب الذي نتج عن الثورة الثقافية، فوجّه أوامره إلى قائد الجيش لإرسال سبعة عشر مليونًا من شباب «الحرس الأحمر» إلى الريف، وعَهدَ إليهم بمهمة رعاية الفقراء من الفلاحين. القسم الأكبر منهم لن يعود أبدًا إلاَ مع موت الزعيم عام ١٩٧٦ وبعضهم الآخر سيعود محملاً بالكراهية والضغينة تجاه النظام. لكن المشكلات استمرت حتى بعد وفاة ماو نتيجة صراعات بين أجنحة السلطة، وخاصة بين زوجته جيانج كينج، التي كانت ترغب في إعادة إحياء الثورة الثقافية، ورئيس الوزراء آنذاك تشو آن لاي. علاء خزام. مونت كارلو الدولية. MCD

- إعلان الثورة الثقافية.
- إعلان الثورة الإدارية والقضاء على البيروقراطية.
- إعلان الثورة الشعبية.

إثر ذلك الخطاب سُجن مئات من خريجي الجامعات والكتاب والمفكرين والإعلاميين والمثقفين، لمجرد مناهضتهم لأطروحات القذافي، والكثير منهم قضى العشرات من السنين في سجون القذافي.

ومع بداية العام الدراسي ٧٥-٧٦ كثَّف النظام جهوده لتجنيد طلبة الجامعات والمدارس الثانوية من خلال استدراجهم لحضور المعسكرات واللقاءات السياسية والعقائدية، وكان من نتيجة ذلك انضمام عدد من الطلاب لـ«قوى الثورة» و«هيئة أمن الجماهيرية»، حيث حصلوا على تدريبات أمنية وعسكرية خاصة، تضمنت استعمال السلاح وطرق الاعتقال والتحقيق والاستجواب والتعذيب، ولوحظ في تلك المرحلة أن معظم القيادات الطلابية وُضِعَت تحت المراقبة الأمنية المشددة.

في ٢١ ديسمبر ١٩٧٥، استكمل طلاب جامعة بنغازي انتخاب ممثليهم في رابطة جامعة بنغازي، وكانت تلك الانتخابات ضد رغبة القذافي الذي أعلن رفضه للمؤسسات الطلابية المستقلة بسبب صعوبة السيطرة عليها واحتوائها.

وفي ٢٥ ديسمبر أعلن الطلبة المنتخبون تكوين «رابطة جامعة بنغازي» المستقلة بالكامل عن اتحاد الطلبة الحكومي. وفي اليوم التالي اعتُقل أمين

إعلام الرابطة، وعدد من القيادات الطلابية، وقد تعرَّض الطلبة المعتقلون للتعذيب.

وفي اليوم التالي، أعلن أمين التنظيم في الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي آنذاك حلَّ الاتحاد العام لطلبة ليبيا ورابطة جامعة بنغازي، بناء على أوامر القذافي. وبعد يومين من صدور القرار نظّم طلبة الجامعات مسيرات سلمية نددوا فيها بقرار الحكومة، مطالبين برفع الوصاية عن الاتحاد العام لطلبة ليبيا.

ومع بداية السنة الميلادية الجديدة ١٩٧٦ اقتحم أكثر من سبعين مسلحًا من قوى النظام الحرم الجامعي في جامعة بنغازي، كانوا مدجَّجين بالسلاح والعصي والسكاكين والسلاسل، وانهالوا خلال الهجوم على الطلبة والطالبات العُزل بالضرب، كما حرق بعضهم بعض سيارات الطلاب، وهدَّدوا قيادة الاتحاد بالتصفية إذا لم يعلنوا تخليهم عن فكرة الاتحاد العام لطلبة ليبيا. وانتهت المواجهة بتدخُّل الشرطة لفكِّ الاشتباكات بين الطلاب وبين العناصر المؤيدة للنظام.

وبعد يومين افتتح وزير التعليم والتربية المؤتمر التأسيسي للاتحاد الحكومي الذي قاطعته كل الروابط الطلابية في الكليات، وفي اليوم التالي قام طلبة جامعة بنغازي بالاعتصام في الحرم الجامعي مُندِّدين بالجرائم التي ارتكبتها عناصر النظام، فسيطر الطلاب على الأوضاع في الجامعة. ثم تظاهَر الطلاب

في اليوم التالي وسط مدينة بنغازي، ولكن بعد ساعات من السير في الشوارع، حاصرت قوات الحرس الجمهوري الطلبة المتظاهرين من كل جانب، وأطلقوا النار عليهم؛ مما أدى إلى سقوط طالب ووفاة آخر في المستشفى في ما بعد. ما إن انتشرت الأخبار حول الصِّدام الذي وقع بين طلبة جامعة بنغازي وقوى النظام وعناصر الأمن، حتى عمَّت مظاهرات التنديد كليات طرابلس وبعض المدارس والمعاهد، وذلك يوم ٦ يناير ١٩٧٦، فأخرجت الحكومة مسيرات تأييد من القوى الموالية لها التي بيَّنت أنها على استعداد للمواجهة المسلحة، كما اعتقلت المباحث العامة قيادات الحركة الطلابية، وأعدمت اثنين منهم شنقًا في السابع من أبريل ١٩٧٧.

قرَّر طلبة جامعة طرابلس الاعتصام أمام مكتب المدعي العام مطالبين بتنفيذ القانون ومحاكمة قوى النظام، خاصة الذين أطلقوا النار على المتظاهرين. كما قرَّر الطلاب في مدينة بنغازي الخروج إلى شوارع المدينة في مظاهرة غاضبة، وعندما اعترضتهم قوات الحرس الجمهوري واجهوها بالحجارة وقنابل المولوتوف، حتى تغيَّر الموقف تمامًا، وسيطر الطلاب على وسط مدينة بنغازي ، ثم فجَّر بعض المواطنين الذين انضموا للمظاهرة عبوات الجيلاتين في مبنى الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي، فأطلقت قوات الحرس الجمهوري النار على المتظاهرين؛ مما أدى إلى سقوط العديد من الجرحى، واعتقلت قوات الحرس الجمهوري المئات. وعندما تبيَّن أن المئات من الموظفين والتجار

والعمال والمدرسين والحرفيين انضموا إلى صفوف الطلاب، أصدر القذافي أوامره بضرورة السيطرة الكاملة على الموقف، والقضاء على الانتفاضة بأي ثمن، ولو أدى ذلك إلى احتلال مدينة بنغازي بالأسلحة الثقيلة. في مساء السابع من يناير عقد عضو من النظام الحاكم اجتماعًا مع عدد من القيادات الطلابية لمناقشة مطالبهم مقابل التوقُّف عن التظاهر في المدينة. وفي اليوم التالي حاول وفدٌ من قيادات الطلاب في جامعة طرابلس السفر إلى جامعة بنغازي للاطلاع على مُجريات الأحداث، والاتصال بإخوانهم، فيها فمنعتهم قوات الأمن من السفر، فاحتلَّ عدد منهم مكاتب الاتحاد الحكومي.

وفي اليوم نفسه أعلن طلبة جامعة طرابلس أنهم ينوون التجمع أمام مسجد مولاي محمد بعد صلاة الجمعة، والتحرُّك من هناك نحو وسط المدينة في مسيرة احتجاج على تصرُّفات قوى النظام حيال الحركة الطلابية. فتدخَّل الرائد الخويلدي الحميدي في الليلة نفسها، وسعى إلى عقد اجتماع مع قيادات الحركة الطلابية في طرابلس، وطلب منهم التراجُع عن المسيرة بعد أن استلم مطالبهم، وأبدى تعاطُفه معهم، واعدًا إياهم بالتحقيق في الموضوع، واتخاذ الإجراءات الضرورية لوقف المواجهة ومعاقبة الجناة.

احتلَّ الطلبة الليبيون الدارسون بالخارج بعض السفارات الليبية احتجاجًا على أساليب الحكومة في التعامل مع مطالب الحركة الطلابية، وقد احتلت

عناصر الحركة الطلابية سفارات ليبيا في القاهرة، ولندن، وواشنطن، وكانت مطالب الطلبة تتلخص في إطلاق سراح المعتقلين، ومحاكمة عناصر النظام، ورفع الوصاية عن الاتحاد العام لطلبة ليبيا. شنَّ القذافي حملة على الحركة الطلابية في أكثر من خطاب، ولمدة ٣ أيام متتالية، مُتهمًا الطلاب بالعمالة للمخابرات الأجنبية، ومعلنًا أنه لن يسمح بتكوين اتحاد طلابي يتدخل في الشؤون السياسية للبلاد، وأنه لن يتردد في أن يُصفِّي الحركة الطلابية بالحديد والنار.

ردَّ الطلاب على حملة القذافي ببيان أصدرته رابطة جامعة بنغازي في السادس عشر من يناير ٧٦، رفض الطلاب الأحرار فيه الاعتراف بالهيئة التنفيذية للاتحاد الطلابي الحكومي، كما أيَّد البيان كل ما قام به الطلاب في الداخل والخارج، وطالب بضرورة تشكيل لجان للإسراع في مُتابَعة التحقيق في الأحداث حسب ما تمَّ الاتفاق عليه مع الجهات المختصة.

جوائز القذافي

أولًا- جائزة القذافي الدولية لحقوق الإنسان

أُسِّست عام ١٩٨٨. اتَّسمت الجائزة بالتزامها الشامل في مجال حقوق الإنسان والشعوب.. متميزة بخطاب ناقد ومتناقِض مع مفاهيم الفكر الأحادي.

ولأن الجائزة تحمل اسم أحد أبرز رموز الفكر الإنساني في عالمنا المعاصر والمدافعين عن قضايا الإنسان وحقوقه، وهو اسم المفكر والقائد الأممي العقيد معمر القذافي، كان لابد للجائزة أن تكون مُنظَّمة حقوقية تُعنى بالقضايا الإنسانية، وما يتعلق بذلك من قضايا ثقافية وفكرية واجتماعية واقتصادية تهمُّ الإنسان في كل مكان من العالم، والتي يجري فرض رؤية أحادية من قِبل أدوات العولمة المستبدَّة المتوحِّشة عليه.

جائزة القذافي الدولية لحقوق الإنسان، منظمة شعبية دولية غير حكومية تُعنى بحقوق الإنسان والشعوب، دون تفرقة ما بين الأعراق والأجناس أو اللون أو الدين، ومَقرُّها في طرابلس بالجماهيرية العظمى.

تُمنح الجائزة سنويًّا لإحدى الشخصيات أو الهيئات أو المنظمات العالمية التي أسهمت إسهامًا ممتازًا في أداء خدمة إنسانية متميزة، وقامت بأعمال مجيدة للدفاع عن حقوق الإنسان، أونُصرة قضايا الحرية، ودعم السلام في أي مكان من العالم.

وهي لا تتلقى أموالاً أو معونات أو مِنحًا مالية مشروطة،كما لا تخضع لأي اشتراطات أو معايير سياسية.

وتؤمن الجائزة إيمانًا قاطعًا أن الحرية حقٌّ طبيعي للإنسان لا تتجزأ، وليست مِنَّة أو عطاء من أحد، وأن الدفاع عنها مسؤولية إنسانية عامة.

أهدافهـــــا:

١- دعم النضال السلمي في سبيل تحقيق حرية الإنسان والتمتُّع بكامل حقوقه.

٢- الكفاح ضد التمييز العنصري.

٣- الإسهام في نشر الوعي الفردي والجماعي بأهمية حقوق الإنسان ومضمونه وضماناته، بغض النظر عن الاختلافات في الدين أو العرق أو اللون أو الثقافة.

٤- الإسهام في خلق تيار عالمي مناضِل في سبيل تأكيد حقوق الإنسان والشعوب واحترامهاواستلهامها مما ورد في الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في عصر الجماهير(٢مارس١٩٧٧م)، وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق الدولية المعنية كافة.

تتكون جائزة القذافي الدولية لحقوق الإنسان من الأجهزة التالية:

-اللجنة الشعبية الدولية لجائزة القذافي لحقوق الإنسان.

- المكتب التنفيذي.

- هيئة الدعم الدولية للجائزة، وهي ذات صفة استشارية.

- منظمة شمال جنوب للحوار الثقافي.

- معهد شمال جنوب الدولي للحوار الثقافي.

المُكرَّمون الذين مُنحوا جائزةَ القذافي الدولية لحقوق الإنسان في عصر الجماهيرية:

- المناضل الأفريقي الكبير الرئيس. نيلسون مانديلا (١٩٨٩).
-أطفال الحجارة بفلسطين المحتلة (١٩٩٠).
- الهنود الحمر (لنضال أمة الهنود) (١٩٩١).
- المركز الأفريقي لمكافحة نقص المناعة (الإيدز) (١٩٩٢).
-الضحايا من أطفال البوسنة والهرسك (١٩٩٣).
-اتحاد جمعيات حقوق الإنسان والشعوب بأفريقيا (١٩٩٤).
- المناضل الرئيس/ أحمد بن بلة، والرئيس البرتغالي السابق/ كوستا قوميز (١٩٩٥).
- المناضل الأمريكي المسلم / لويس فرقان(١٩٩٦).
- خمسة رموز لكفاح المرأة من أجل الحرية والمساواة في القارات الخمس (١٩٩٧).
- الرئيس المناضل، فيدل كاسترو (١٩٩٨).
-أطفال العراق ضحايا الهيمنة والحصار (١٩٩٩).
-خمسة رموز للكفاح الوطني والنضال من أجل الحرية والمساواة وهم: سهى بشارة ـ جوزيف كي زيربو ـ إيفو موراليس إيبا حركة ١٢ ديسمبر ـ المركز الأوروبي للعالم (٢٠٠٠).

- مجموعة من الأدباء والكتاب والمبدعين والمتميزين محليًّا وعربيًّا وعالميًّا٢٠٠١- ٢٠٠٢،الأستاذ مامادوديا. ٢- الأستاذ روجيه جارودي. ٣- الأستاذ إبراهيم الكوني ٤-الأستاذ جون زيجلر. ٥- الأستاذ نديم البيطار. ٦- الأستاذ علي مصطفى المصراتي -٧الأستاذ خليفة محمد التليسي ٨- الأستاذ محمد أحمد الشريف.٩- الأستاذ علي فهمي خشيم. ١٠- الأستاذ رجب مفتاح بو دبوس.١١- الأستاذ محمد مفتاح الفيتوري.١٢- الأستاذعلي صدقي عبد القادر.١٣-الأستاذ أحمد إبراهيم الفقيه.
- قداسة البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (٢٠٠٣).
-الرئيس هوجو تشافيز ، رئيس جمهورية فنزويلا البوليفارية (٢٠٠٤).
- للمفكر الإسلامي مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الأسبق(٢٠٠٦) .
- معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، ومكتبات تمبكتو للمخطوطات وإنشاء مركز القذافي لصيانة المخطوطات والوثائق التاريخية في تمبكتو بجمهورية مالي (٢٠٠٧).
-رئيس الوزراء المالطي الأسبق دوم منتوف (٢٠٠٨).
- رئيس نيكاراجوا المناضل دانيال أورتيجا (٢٠٠٩).
- رئيس وزراء تركيا، رجب طيب أردوغان [١].

---

(١) صفحة الجائزة على الفيس بوك.

ثانيًا- جائزة القذافي العالمية للآداب

أعلنت ليبيا الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠٧عن إنشاء جائزة للأدب العالمي تصل قيمتها إلى ٢٠٠ ألف دولار، تحمل اسم الزعيم الليبي معمر القذافي، وتُمنح للأدباء والعلماء الذين يُسهمون بكتاباتهم في الدفاع عن حقوق الإنسان والدفاع عن القيم الإنسانية.

وقال مصدر رسمي في مجلس الثقافة العام الليبي: «إن المجلس قرر إنشاء جائزة أدبية عالمية جديدة هي جائزة القذافي العالمية للآداب تُمنح للأدباء والعلماء الذين يسهمون بإبداعاتهم الأدبية في الدفاع عن حقوق الإنسان وحُريته دون التحيُّز لجنسية أو دين أو لون».

وجائزة القذافي العالمية للآداب هي الجائزة العالمية الثانية من نوعها بعد جائزة القذافي لحقوق الإنسان، التي فاز بها عدد كبير من الشخصيات العالمية، والهيئات الاعتبارية التي أسهمتْ بشكل فاعل في قضايا حقوق الإنسان.

وأعلن نوري الحميدي أمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام (وزير الثقافة والإعلام) والأمين العام لجائزة القذافي لحقوق الإنسان عن منح جائزة القذافي لحقوق الإنسان لعام ٢٠٠٧ وبقيمة مضاعفة لمكتبات تمبكتو.

وقال الحميدي في كلمته بالجلسة الختامية لندوة القارة السمراء من منظمة الوحدة الإفريقية إلى الاتحاد الإفريقي بمدينة سرت: إن جائزة القذافي لحقوق الإنسان التي يرأسها الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بلة «تُقرر أن تمنح هذا العام بقيمة مضاعفة لمكتبات تمبكتو؛ وذلك من أجل الحفاظ على التراث الثقافي والفكري الذي يمثِّل التداخل والتواصُل العربي الإفريقي.»

في عام ٢٠٠٩ مُنح الجائزةَ الكاتبُ الإسباني المقيم في مراكش خوان غويتيسولو، صديق القضية الفلسطينية، وعاشق مراكش، ولكنه رفضها،وبعث رسالة إلى رئيس لجنة تحكيم جائزة القذافي العالمية للآداب الأديب الليبي إبراهيم الكوني، أعلن فيها رفضه الحصول عليها، علماً أن قيمتها تبلغ ١٥٠ ألف يورو،أي ما يعادل ٢٠٠ ألف دولار، ورد عليه عضو لجنة تحكيم الجائزة الناقد المصري صلاح فضل بقوله: إن غويتسلو لم يفز بالجائزة أصلًا حتى يرفضها. [١]

في عام ٢٠١٠. مُنح الجائزةَالناقدُ المصري الدكتور جابر عصفور. وكان وقتها مديرًا للمركز القومي للترجمة.

وقد أعرب (وقتها) مدير المركز القومي المصري للترجمة الناقد الدكتور جابر عصفور عن سعادته بالحصول على جائزة القذافي العالمية للآداب في

(١) صحيفة الحياة اللندنية في ٧ يناير ٢٠١٠.

دورتها الأولى، وهو الخبر الذي تضمَّنه بيان أصدرته لجنة الجائزة من مَقرِّها في العاصمة الليبية طرابلس. وعلّق عصفور في تصريحات صحفية على حيثيات مَنْحِه الجائزة قائلًا: «أنا سعيد بهذه الحيثيات وأظنها في محلها». وقال عصفور لـ «الحياة»: إن وزير الثقافة الليبي نوري الحميدي زاره في مكتبه وأبلغه بالخبر، الذي كانت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية انفردت به، وسلّمه بيانًا بحيثيات الفوز. وأضاف أن موعد تسليم الجائزة لم يتحدد بعد.وجاء في بيان لجنة الجائزة أن منحها جابر عصفور «جاء لجهده الخلَّاق في تنمية الفكر الأدبي ومساهمته في حركة التنوير لإعلاء قيم الحرية والتقدُّم، ودراساته المعمَّقة في قضايا الأدب والنقد عن الصورة الفنية، ومفهوم الشعر وعصر الرواية، وإضافته المعرفية لنظريات الأدب والنقد المعاصرة».وأضاف البيان نفسه:»إن عصفور استحق الجائزة لدوره البارز في تنشيط الحياة الثقافية على المستوى العربي، وإثرائها في إطار الفكر الإنساني بالمتابعة والترجمة، ومدّ الجسور بين الثقافة العربية والثقافات العالمية».وجاء حصول عصفور على هذه الجائزة غداة صدور حكم محكمة استئناف مصرية بتغريمه مبلغ ٥٠ ألف جنيه مصري،ما يُعادل ٨ آلاف دولار لمصلحة الداعية يوسف البدري الذي اتهمه بنشر مقال يسيء إليه في صحيفة «الأهرام» تحت عنوان «أيها المثقفون اتَّحِدوا»في ١٣ أغسطس عام ٢٠٠٧ [١] .

(١) صحيفة الحياة اللندنية في ٧ يناير ٢٠١٠.

الغريب أنه في عام ٢٠١٠ نفسه، فاز الروائي الليبي «إبراهيم الكوني» بجائزة الرواية العربية، وقيمتها مائة ألف جنيه، وأعلن الكوني تبرعُّه بالجائزة لصالح أطفال الطوارق في مالي والنيجر الذين لا يجدون حتى الماء. وتسلَّم «الكوني»، الجائزة من فاروق حسني، وزير الثقافة في حفل ختام ملتقى الرواية العربية الخامس، الأربعاء، بالمسرح الصغير بدار الأوبرا. وحصل «الكوني» على الجائزة بعد منافسة مع ٢٣ روائيًّا وأديبًا من مصر والدول العربية، فَحَصَتْهُم لجنة التحكيم على مدار خمسة أيام. ووصف وزير الثقافة المصري، فوز «الكوني» بأنه اختيار موفَّق له معنى سياسي، مُعرِبًا عن أمله في أن تعود الرواية إلى السينما.

فهل هي مصادفة أن يفوز كاتب ليبي في مصر بجائزة مرموقة، ويفوز في العام نفسه ناقد مصري مرموق بجائزة القذافي؟



الفصل الثاني عشر

القذافي والقنبلة النووية

قنبلة نووية عربية، أو قنبلة إسلامية، صفتان للقنبلة النووية التي كانت حلمًا دفع ثمنه مغامرون، ورؤساء دول عرب، أرادوا الخروج من صدمة هزيمة ١٩٦٧، ودفعهم الانتصار في عام ١٩٧٣، وارتفاع عوائد النفط العربي في ميزانيات دول الخليج وليبيا والعراق إلى السعي لامتلاك تلك القوة المدهشة.

ورغم غياب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، كانت هناك إرادة سياسية بامتلاك القنبلة النووية التقت مع دعم مالي من ليبيا، واستعانة بخبرة باكستانية امتلكها العالمُ عبد القدير خان، والذي أطلقوا عليه وقتها «أبو القنبلة الباكستانية»، والَذي زار مصر، بحسب رواية الصحافي محمد حسنين هيكل، وتحمَّس لصُنع قنبلة مصرية، وتشكَّل بالفعل مجلس ليبي ـ مصري، مثَّل ليبيا فيه عبد السلام جلود، الرجل الثاني في ليبيا وقتها.

إلا أن الخلاف بين الرئيس الراحل أنور السادات والزعيم الليبي معمر القذافي دمَّر فكرة المشروع قبل أن يبدأ.

ولكن الحقيقة أن الحلم الليبي أو حلم القذافي بامتلاك القنبلة النووية كان مبكرًا.

بعد أقل من عام على قيام ثورة الفاتح من سبتمبر، وفي عام ١٩٧٠ زار الرائد عبد السلام جلود بكين عاصمة الصين، والتقى هناك شو إن لاي رئيس الوزراء، ولم يطلب شراء قنبلة نووية، كما زعم محمد حسنين هيكل، ولكنه طلب التعاون في مجال الطاقة النووية. وأخبره رئيس وزراء الصين أن هذا الأمر يتطلب قاعدة صناعية وتكنولوجية، وهذا لا يتوافر في ليبيا.

وقتها كان القادة الليبيون الجُدد شبانًا متحمسين، وكانت رائحة نكسة يونيو ١٩٦٧ ما زالت تلقي بسحابها وغُبارها وتخيِّم على الأجواء العربية، وتزكم أنوفهم، وتقلق نومهم، وكان في تفكيرهم أنه يمكن تحويل الهزيمة إلى نصر، وحَسْم الأمر تمامًا بامتلاك قنبلة نووية تقضي على إسرائيل مرة واحدة وينتهي الأمر.

ومما زاد في إصرارهم على امتلاك القنبلة أن إسرائيل تمتلكها.

في نهاية ١٩٨٤، وتحديدًا بعد امتلاك باكستان القدرة الفعلية على التفجير النووي، طلبت الحكومة الباكستانية من «أبي قنبلتها» العالم عبد القدير خان، الانفتاح بشكل أكبر على المطالب الليبية. لكنها شدَّدت في الوقت نفسه على استخدام أسلوب «القطَّارة» في إعطاء المعلومات التي يجب أن تبقى على الدوام مجتزأة بانتظار اختبار نيات الطرف الليبي، وخبرته لناحية التزامه الحفاظ على السِّر. مع الطلب، في المقابل، دفع ثمن هذا التعاون ماديًّا وتموينيًّا من مادة اليورانيوم، كما سبق ووعد الوسطاء، والذي تم تأكيده من بعد

للجنرال ضياء الحق في أثناء زيارته لليبيا. وبالنسبة إلى الشق الأول، نفَّذت ليبيا الجزء الأكبر مما طُلب منها، لكن فيما يتعلق بالشق الثاني فقد وجدت صعوبات في احترام التزاماتها، إذ إنها لم تتمكَّن خلال أربعة أشهر سوى من تقديم شحنةٍ بسيطة من النوع الأوسط من اليورانيوم الأفريقي، الذي حصلت عليه في السوق السوداء. وتذرَّعت بالضغوطات والتهديدات التي مارستها الولايات المتحدة على رؤساء الدول الأفريقية الصديقة لليبيا. كذلك، قيام وكالة الاستخبارات المركزية «سي آي إيه» بالتخلُّص تباعًا من جميع المتعاملين مع ليبيا في مجال اليورانيوم في القارة السوداء. لكنها وعدت مجددًا ببذل المزيد من الجهود، خصوصًا بعد سيطرتها على شريط أوزو – الذي استعادته من تشاد – والغني باليورانيوم. ومن أجل تأكيد مصداقيتها طلبت طرابلس من الحكومة الباكستانية بواسطة عبد القدير خان إيفاد خبراء للمشاركة في البحث عن اليورانيوم واستخراجه، ومن ثم نقل الكميات المطلوبة للمختبرات الموجودة في كاهوتا قرب إسلام أباد[1].

وفي تصريح لموقع ميديل إيست أون لاين، صرح الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي أن ليبيا كانت «على وشك صناعة» قنبلة ذرية لكنها تخلَّت عن ذلك في ٢٠٠٣ لحماية وحدة أفريقيا واستقرارها. وقال الزعيم الليبي في تصريحات بثَّتها وقتها وكالة الأنباء الليبية في ٧ أبريل ٢٠٠٧أن «ليبيا

(١) سمير صبح. الحياة اللندنية. منذ ٩ فبراير ٢٠٠٤.

كانت على وشك صناعة القنبلة الذرية». وأضاف العقيد القذافي أن ليبيا «تخلَّصت طوعًا من برنامج صُنع القنبلة الذرية؛ لأنها لا تريد أن تتسبَّب في خَلْق مشكلة لأفريقيا، ولا أن تتسبب في إزعاج لوحدة أفريقيا».

وكان القذافي قد تعهَّد في ٢٠٠٣ بعدم تطوير قنبلة ذرية وأسلحة دمار شامل، ما أدَّى إلى تطبيع علاقات ليبيا مع الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا.

وشدَّد القذافي في تصريحاته على أهمية «الولايات المتحدة الأفريقية». وقال: إن ليبيا «التي كانت على وشك صناعة قنبلة نووية، والغنية بالنفط والغاز، لا تستطيع بدون الولايات المتحدة الأفريقية أن تقف الند للند أمام حلف (شمال) الأطلسي ولا أمام أوروبا أو الولايات المتحدة أو الصين أو اليابان أو الهند».وأضاف أن «العالم لا يعترف بأي قيمة لأي دولة إفريقية إذا ظلَّ وضع الدول الأفريقية قصاصات من ورق في غياب الوحدة الأفريقية»، داعيًا إلى توجيه «الضغوط وحتى الإنذارات لأي دولة أفريقية تعمل على تعطيل مسيرة أفريقيا».

وقالت وكالة الأنباء الليبية:إن القذافي كان يتحدث خلال لقاء مع المثقفين وأمناء الأحزاب السنغالية في دكار[١] .

إذا كان الجنرال ضياء الحق قد سمح بفتح ثغرة ضيقة للتعاون المشروط مع ليبيا بالتفاهم مع المؤسسة العسكرية الباكستانية، فإن الجانب الرئيسي من

---

(١) ميديل إيست أون لاين، يوم ٧ أبريل ٢٠٠٧.

المعلومات التي زوَّد بها ليبيا، بغض النظر عن أهميتها أو جدواها، جاءت في فترة حكم بنازير بوتو، أي بعد وفاة ضياء الحق في حادث طائرة. ومن المعلومات التي حصلت عليها ليبيا في حينه، برنامج مصغَّر لتطوير بعض الصواريخ التي حصلت عليها من فرنسا والاتحاد السوفييتي. وفي هذا السياق تولَّى بعض الخبراء العسكريين اليوغوسلاف، ممن تربطهم علاقات وثيقة بقيادة الجيش الليبي، هذه المهمة التي لم تؤدِ في نهاية المطاف إلى نتائج ملموسة بسبب النقص في المعلومات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى اعترافات العالم عبد القدير خان ببيع أسرار نووية للجماهيرية، يؤكِّد المصدر الليبي الذَي تمَّت الإشارة إليه سابقًا والذي كان أحد المتعاطين مع الملف الباكستاني، أن العالم الباكستاني لم يكن قادرًا على تسريب أي معلومات؛ لأن جميع العلماء الباكستانيين، على غرار الإسرائيليين والهنود، كانوا خاضعين على الدوام لمراقبة مباشرة ودقيقة من قبل فرقة خاصة تابعة لاستخبارات الجيش. ومن ثم فإن تسريب أي معلومة لا يمكن أن يحدث إلا بموافقة هذه المؤسسة. في الوقت نفسه يستبعد المصدر أن تكون الحكومة الليبية قد دفعت له أي مبالغ كونها تدرك جيدًا مخاطر هذه التجاوزات. لكن المصدر نفسه لم يؤكد أو ينفِإذا كانت بنازير بوتو وبعض الجنرالات الموالين لها قد حصلوا على أموال من ليبيا، مضيفًا أنه منذ إزاحة بنازير توقفت الاتصالات، وبقيت النتائج في حدودها الهزيلة.

إن كل ما يتردد عن برنامج نووي اضطلعت به ليبيا أو نجحت في تطوير أسلحة الدمار الشامل بعيد عن الواقع. وخير مثال على ذلك،أن ما سُمي بـ»العلماء الليبيين« لم يتمكنوا من إجراء الصيانة المطلوبة لصواريخ «كروتال» الفرنسية التي ربما أصبحت خُردة، حسب مصدر في الشركة المصنِّعة. وهذا الواقع ينطبق أيضًا على ٢٥ طائرة «ميراج» لا يطير من أصلها اليوم سوى خمس طائرات للسبب نفسه. وترى مراجِع ليبية مسؤولة تخشى من أبعاد اللعبة الدائرة حاليًا حول أسلحة الدمار الشامل، واعتراف السلطات في طرابلس بامتلاك أجزاء منها ووجود برنامج لتطويرها، من أن يكون هذا «الإخراج المتأخر» مطلبًا أمريكيًّا لتعزيز سلطات الرئيس الباكستاني الأسبق برويز مشرف، المهتزة من خلال عزل جميع القوى داخل الجيش، وفي مركز الأبحاث النووية التي تُعارِض هذا الأخير في تنفيذ السياسة الأمريكية بالحرف.

إن المبادرة الليبية بكشف امتلاكها أسرارًا نووية حصلت عليها من باكستان وتقديم لائحة بأسماء بعض الخبراء وفي طليعتهم عبد القدير خان، ورد الفعل السريع من قبل الرئيس مشرف بدفع الأول للاعتراف بـ»هزيمته«، لا تبدو مُقنِعة لأحد، لا في إسلام أباد ولا في طرابلس. ومن نتائج هذا السيناريو المباشرة إيحاءات واشنطن بأنها تتجه نحو تخفيف الحظر على الجماهيرية، والسماح بعودة الشركات الأمريكية النفطية. فتجاوُب ليبيا من دون حدود مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وكشْفها أسماء الذين

يهرّبون أسرارًا للدول التي لم تتراجع عن برامجها النووية، مثل إيران وكوريا الجنوبية، يستحق «المكافأة» برفع الحظر النهائي عنها[1].

كما أظهرت وثائق مُسرَّبة من السفارة الأمريكية، نشرها موقع ويكيليكس أن الزعيم الليبي معمر القذافي أثار ذعرًا نوويًّا لمدة شهر في عام ٢٠٠٩، عندما أجلَّ عودة مواد نووية مشعة إلى روسيا. وتقول الوثيقة: إن القذافي كان يستعد لترك يورانيوم عالي التخصيب بدون حماية إثر خلاف مع الأمم المتحدة. وذكرت الوثيقةأن الدبلوماسيين الأمريكيين أبقوا هذا الحادث طي الكتمان بسبب الخوف من سرقة ٢,٥ كيلوجرام من اليورانيوم عالي التخصيب نتيجة إجراءات الأمن «السيئة» عند منشأة تاجوراء النووية الليبية قُرب طرابلس.

وكتبت صحيفة نيويورك تايمز، وقتها أن سفارة الولايات المتحدة في طرابلس طلبت»سحب اليورانيوم المخصَّب من الحاويات خلال ثلاثة أشهرمُحذِّرة من أن «ارتفاع الحرارة قد يؤدي إلى تشقُّق الحاويات، مما قد يُسبِّب تسرُّبًا لإشعاعات نووية».

وكان من المُقرَّر نقْل سبع حاويات من الوقود النووي المستنفد إلى روسيا للتخلُّص منها في طائرة نقْل متخصصة في نوفمبر ٢٠٠٩ في إطار تعهُّد القذافي بالتخلي عن برنامج أسلحة الدمار الشامل الليبي. ولكن بدلًا من

(١) ميديل إيست أون لاين، يوم ٧ أبريل ٢٠٠٧.

ذلك رفضت ليبيا إعطاء إذن، وأقلعت الطائرة الروسية بدون شحنتها تاركة البراميل في مدرج المطار في تاجوراء تحت حراسة حارس واحد.

وجاء هذا الموقف المفاجئ بعد أن شعر القذافي بالإهانة لأسلوب معاملته في أثناء زيارته لنيويورك لإلقاء كلمة أمام الأمم المتحدة قبل شهرين، بعد أن رفضت بلدية نيويورك طلبه بنصب خيمةٍ أمام مبنى الأمم المتحدة في نيويورك، وكذلك رفْض طلبه زيارة موقع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

ونشرت تفصيلات الوثيقة صحيفة الجارديان البريطانية وهي واحدة من الصحف التي قدَّر موقع ويكيليكس إمكانية اطِّلاعها بشكل مسبق على أكثر من ٢٥٠ ألف وثيقة مُسرَّبة.

وكشفت الوثائق تزايُد قلق المسؤولين الأمريكيين والروس بشأن مصير الوقود النووي الذي تمّت تعبئته في حاويات من أجل النقل فقط وليس التخزين، وأنه إذا لم يتم نقل الحاويات بسرعة، فإنه سيزداد سخونة، وستحدث تشققات في البراميل المخزَّن فيها.

وأظهرت إحدى الوثائق أن دبلوماسيًّا أمريكيًّا أبلغ مسؤولًا ليبيًّا أنه قد تحدث «كارثة بيئية» إذا لم يتم نقل البراميل إلى روسيا للتخلُّص منها خلال شهر.

وكتب كريتز في ٢٥ نوفمبر في بداية الأزمة أن من المهم الإبقاء على هذه الواقعة طي الكتمان. وأضاف أنه نظرًا للطبيعة الخاصة لنقل اليورانيوم العالي التخصيب» والأمن السيئ عند تاجوراء فإن أي إشارة لهذه القضية في الصحف يمكن أن يشكِّل مخاوف أمنية خطيرة».

وحُلت الأزمة بعد أن أرسلت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون رسالة شخصية للقذافي، تؤكد له التزام الولايات المتحدة بتطبيع علاقة بلادها مع ليبيا.

واستُقبلت هذه الرسالة بشكل إيجابي، وجرى تشديد إجراءات الأمن حول المواد النووية قبل أن تُقلع طائرة روسيا من طرابلس حاملة البراميل في ٢١ ديسمبر/ كانون الأول[١].



(١) موقع BBC عربي. ديسمبر ٢٠١٠.



الفصل الثالث عشر

سُلوك القذافي في مؤتمرات القمة

تراوَحَ سُلوك الرئيس معمر القذافي خلال مؤتمرات القمة العربية التي حضرها، ما بين الظَّرافة، وجِديَّته المبالَغ فيها. فكان يُبدي غيرة طبيعية على الإنسان العربي والمسائل الأخلاقية، كان يحاول أن يجتذب الأضواء وأجهزة الإعلام بأفكاره الغريبة، وحِدَّته مع الملوك. فضلًا عن بعض المواقف العَنترية التي حاول فيها أن يكسر قواعد البروتوكول، وأن يتصرف كصاحب نظرية. وأحيانًا يبدو كوميديًّا وساخرًا. وهو ما سنراه خلال استعراض مواقفه وسلوكه في تلك المؤتمرات.

قمة الرباط ١٩٦٩

عُقدت من ٢٠ إلى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٩كانت القمة العربية الخامسة، في العاصمة المغربية الرباط، وشاركت فيها أربع عشرة دولة عربية، بهدف وضع استراتيجية عربية لمواجهة إسرائيل.

وشهدت تلك القمة المشاركة الأولى للرئيس الليبي معمر القذافي الذي كان وقتها شابًّا صغير السن لا يعرف الكثير عن الكياسة ولا حُسن التصرف، ولا كيفية التعامل الراقي. يبدو أن البعثة التي أرسلها له جمال عبدالناصر فور

قيامه بالثورة لم تكن تشمل مندوبًا من الرئاسة، ليُلقِّنه قواعد البروتوكول، والأصول والقواعد والنُّظم المتبعة في القِمم العربية.

ووفقًا لما ذكره الكاتب الكبير الراحل محمد حسنين هيكل، وكان شاهد عيان على الواقعة: قبل بدء أعمال القمة، جاء رئيس الديوان الملكي المغربي، يبلغ الملك الحسن أن القاعة جاهزة، أخذ يد الملك الممدودة إليه فقبَّلها، وفوجئ معمر بما رأى، وإذا هو يصيح بأعلى صوته: «ما هذا؟ تقبيل أيادٍ؟ عُدنا إلى عصر العبودية... لا... لا... هذا شيء مرفوض... مرفوض تمامًا...»

وبعد ساعة تقريبًا دخل في شِجار مع الملك فيصل آل سعود، ووضَعَ مسدسه على الطاولة، مما دفعَ الملك السعودي إلى أن يغادر محتجًّا على «لغة المسدسات»، قبل أن يتدخَّل كلٌّ من الملك الراحل الحسن الثاني، رئيس المؤتمر، والرئيس جمال عبد الناصر لإثنائه عن المغادرة.

لم تكتمل أعمال القمة، ولم يصدر عنها بيان ختامي؛ نتيجة للصراع الذي أشعله رئيس دولة عربي شاب، لم يكن سوى العقيد الراحل معمر القذافي.

قمة القاهرة في سبتمبر ١٩٧٠

كان هناك قتال بين الفلسطينيين والملك حسين ملك الأردن، عُقدت تلك القمة بناء على طلبٍ من الرئيس جمال عبد الناصر لمحاولة رأب الصدع بينهما.

وكانت القمة الثانية التي يحضرها الرئيس القذافي.

كانت مناقشات الرؤساء في بداية جلسات القمة من فصولها المثيرة، وينقل محمد حسنين هيكل جانبًا منها في كتابه «الطريق إلى رمضان».

تبادَلَ الملوك والرؤساء الكلمات.

قال الملك فيصل مخاطبًا عبد الناصر: «متفق مع فخامتكم أن ذلك كله يبدو كأنه خطة لتصفية المقاومة».

ردَّ القذافي: «أنا غير متفق معكم في الجهود التي تبذلونها، وأعتقد أنه لابد من إرسال قواتٍ مسلحة إلى عمان من العراق وسوريا».

رد عليه فيصل: «تريد أن تُرسل قواتنا المسلحة للقتال في الأردن؟ هذا ليس عمليًّا».

وهنا تدخَّل الرئيس جمال عبد الناصر قائلًا: «علينا أن نتحلى بالصبر».

وهنا نظر فيصل إلى القذافي: «إذا كان علينا أن نرسل جيوشنا إلى أي مكان، فلابد أن نرسلها لتقاتل اليهود».

ردَّ القذافي: «ما يفعله حسين أبشع مما يفعله اليهود، والمسألة كلها اختلافات في الأسماء».

تدخل عبد الناصر بين الملك فيصل، والرئيس معمر القذافي للمرة الثانية، ولاشك أنه كان يخشى أن يندفع العقيد القذافي في كلامٍ يُسبِّب أجواء توتر

في المؤتمر، وقال: «إذا أرسلنا جنودًا إلى الأردن، فإن ذلك سيؤدي إلى تصفية الفلسطينيين، وأريد منكم أن تستمعوا إلى رسالةٍ تلقيتُها هذا الصباح من الاتحاد السوفييتي، إنهم يطلبون منا التمسك بأقصى قدر من ضبط النفس، لأن الموقف الدولي أصبح دقيقًا للغاية، وأي خطأ في التقدير يمكن أن يؤدي إلى أن يفقد العرب كل السمعة التي اكتسبوها خلال السنوات الثلاث الماضية».

أجاب القذافي: «ما زلتُ معترضًا، فإننا إذا كنا نواجه مجنونًا كحسين، يريد أن يقتل شعبه، فلابد أن نرسل له من يقبض عليه، ويضع الأغلال في يديه، ويمنعه من أن يفعل ما يفعل، ويحيله إلى مستشفى المجانين».

رد فيصل: «لا أظن أن من اللائق أن تصف ملكًا عربيًّا بأنه مجنون، يجب أن يوضع في مستشفى المجانين».

كان هذا التراشُق بين الملك فيصل ومعمر القذافي نتيجة كراهية دفينة يُكنُّها القذافي للملوك بصفة عامة، وملوك السعودية بصفة خاصة.

غير أنه تخلَّى عن أي كياسة أو حتى قواعد للياقة، وردَّ قائلًا: «أسرته كلها مجانين، والمسألة مسألة سِجل».

كان القذافي يقصد الملك حسين، ويشير إلى جَدِّه، الملك عبد الله الذي ورث منه الملك حسين العرش الهاشمي.

وهنا، تحلَّى الملك فيصل بالأدب، قال فيصل: «حسنًا، ربما كنا كلنا مجانين».

قال عبد الناصر موجِّهًا كلامه للملك فيصل متحاشيًا القذافي: «في بعض الأحيان حينما ترون جلالتكم ما يجري في العالم العربي، إن ذلك ربما يصبح صحيحًا، وأقترح أن نعين طبيبًا يكشف علينا بصورة منتظمة ليتبيَّن من هم المجانين من بيننا».

ردَّ فيصل: «أريد أن يبدأ طبيبك بي، لأني أشكُّ- بالنظر إلى ما أراه – أني أستطيع الاحتفاظ بتعقلي».

تدخَّل عبد الناصر ليعيد القمة إلى هدفها الأصلي قائلًا: «على أية حال، دعونا نَعُدْ إلى موضوعنا الأصلي، أقترح أن يصدر على الفور بيان باسم الرئيس نميري يقول: إن الملك حسين قطعَ للوفد عهدًا بإنهاء القتال».

فعلَّق القذافي: «الملك حسين لن يتراجع ما لم يحس بخنجر فوق عنقه».

كان هذا سلوك القذافي وحديثه، وحواره مع الملوك والرؤساء، في وقت تتعرض فيه منظمة التحرير الفلسطينية للإبادة في الأردن على يد جيش الملك حسين.

في المقابل كانت دماء العرب ضحايا العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧، لم تجف، وكانت الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل تُعادِل أربعة أضعاف مساحةالأرض التي أعلنت عليها قيام دولتها.

وكانت القمة التي غادر بعدها الرئيس جمال عبد الناصر الحياة، فما إن ودَّع أمير الكويت حتى عاد إلى بيته، ولَفظَ أنفاسه الأخيرة.

ربما قهرًا مما رأى.

قمة الرباط عام ١٩٨٣

وفي أثناء وجود الملك الحسن الثاني ملك المغرب، في مطار محمد الخامس لاستقبال الملوك والرؤساء العرب، هبطت طائرة الرئيس الليبي، فتقدَّم الملك الحسن الثاني نحو سُلم الطائرة ليستقبل العقيد..

وكما تقتضي ذلك مراسيم البروتوكول، صَعدَ مدير التشريفات والأوسمة الملكية لكي يصحب معمر القذافي في أثناء نزوله من الطائرة، وإذا بالعقيد القذافي يُبلِغ مدير التشريفات الملكية، أنه سيغادر الطائرة الليبية وحده، وعندما تقدَّم الجنرال مولاي حفيظ من العقيد القذافي ليبلغه بأنه سيتفقَّد حرس الشرف المصفوف في المطار، تحيةً للضيف. أعلن العقيد أنه لا يرى ضرورة للمرور أمام الفِرقة العسكرية لاستعراضها.

وتم إبلاغ الملك الموجود على أرضية المطار بما قاله العقيد القذافي.

وهنا أدار الحسن الثاني ظهره للطائرة الليبية، الموجود فيها العقيد الليبي،وطلب من مدير التشريفات الملكية، أن يطلب من العقيد أن يعود بطائرته إلى بلاده، لأن العَلَم المغربي الذي أُخرج من غِلافه لا يعود إليه إلا

بعد أن يحني الضيف رأسه تحية واحترامًا للشعب المغربي، ويستعرض حرس الشرف، ويُحييَ العَلَم، وقفلَ راجعًا إلى صالون المطار، واستقبل ضيوفًا آخرين من الزعماء والرؤساء العرب، وتركَ معمر القذافي في طائرته حتى وقت متأخِّر، حيث اضطرَّ إلى النزول،واستعرضَ الفرقة العسكرية، وأدَّى تحية العلم، وقدَّم اعتذاره للحسن الثاني بأنه لم يكن يريد أن يُتعِب جلالته، وبأنه لا يعرف أصول البروتوكول بالمملكة.(١)

قمة الجزائر في يونيو ١٩٨٨

كتبَ مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية المكلَّف بتغطية فعاليات لقاء القمة العربية في الجزائر بحضور العقيد الليبي معمر القذافي بعد غياب دام عقدًا من الزمن، وجاء في المراسلة المترجمة من أرشيف الصحيفة الأوسع انتشارًا في الولايات المتحدة الأمريكية: «كان الزعيم الليبي معمر القذافي طوال أيام المؤتمر يرتدي قفازًا أبيض في يده اليمنى لتفادي تلويث يده عند مصافحة من أسماهم بــ «الخونة العرب» من ملوك الدول العربية ورؤسائها.. وكان يقصد الملوك العرب خاصة الملك فيصل والملك حسين والملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية، وقد سحب في أثناء إحدى الجلسات وشاحًا أبيض غطى به وجهه عندما أخذ العاهل الأردني الملك حسين الكلمة، في تظاهُر

---

(١) موقع الأيام في ٢٩ مارس ٢٠١٧ .

,https://www.alayam24.com/articles-20902.htm

بعدم الاكتراث، وأدار ظَهْرَه للملك الحسن الثاني، في خرقٍ بروتوكولي غير معتاد، ممتنعًا عن مصافحته قائلًا: «لن أُصافِح يد مَن استقبل شيمون بيريز في بلده»، وكان ملك المغرب قد استقبل في يوليو ١٩٨٦ السيد بيريز، رئيس الوزراء الإسرائيلي، في مبادرة من الملك لإيجاد حلٍّ وتسوية للأزمة في الشرق الأوسط، في خطوة انتقدها بشدة العقيد الليبي الذي صرخَ عاليًا في القاعة: «أبدًا لن تُصافِح يدي يدًا صافحت اليد الدامية لبيريز»، وأضاف القذافي أمام ١٧ شخصية ممثلة في ملوك الدول العربية وأمرائها ورؤسائها في القمة، بصوت غاضب: «فليذهب الكل إلى الجحيم».

كان العقيد القذافي يعتبر مؤتمرات القمة العربية والإسلامية مضيعة للوقت، وقال:إنه حضر فقط بعد أن ارتفعت حصيلة ضحايا الفلسطينيين أمام السياسة الإسرائيلية، لأن غزة عزيزة على قلبه، وقال أمام الملأ:إن لقاءات القمة العربية لقاءات فارغة للخداع والنفاق... وتأكد فعلًا أن معمر القذافي لم يغيِّر قط من لهجته وتهكُّمه، وعدم احترامه واستصغاره للزعماء العرب خاصة الملوك... حتى إنه في بعض الجلسات المغلقة، قال مسؤول فلسطيني: إن العقيد الليبي لم يكن لبقًا، بدأ يدخن وينفث الدخان في اتجاه وجه الملك فهد بن عبد العزيز، ملك السعودية، الذي كان يجلس بجانبه، وكان ينظر نظرات حادة للحسن الثاني ملك المغرب، وهو ينفث الدخان بشكل متقطِّع ... وكان القذافي الذي لا يُدخِّن عادة يدخن بشراهة غير مكترثٍبالحديث الذي يدور في القاعة، وقد أبدى العاهل السعودي، المعروف

برزانته، تضايقًا كبيرًا... وكان القذافي كلما أخذ أحد الملوك الكلمة يغطي وجهه كاملًا بمنديل أبيض، في إشارة إلى عدم رغبته في سماع الخطاب، بل الأكثر من ذلك كان ينسحب إلى الخارج، ويعود والمناقشات في أوجها، كما فعل في أثناء أَخْذِ الملك الحسن الثاني الكلمة.

قمة المغرب ١٩٨٩

نترك السيد أحمد قذاف الدم ليحكي لنا ما حصل بين مبارك والقذافي في تلك القمة. ليقول:

« .... جاء أول لقاء مباشر بين القذافي ومبارك، على هامش مؤتمر القمة العربية في المغرب سنة ١٩٨٩. ويقول قذاف الدم عن الترتيبات الخاصة بهذا اللقاء: «طبعًا كان بيني وبين الرئيس مبارك لقاءات كثيرة في مصر أو خارج مصر وعبر الهاتف أيضًا.. كنا نتواصل معه، وكنا نمتص كل المشكلات التي تحدث والفِتن والدسائس. وفي الحقيقة عندما كنا ذاهبين، كوفد ليبي رسمي برئاسة القذافي، للقمة في المغرب، رتَّب الملك الحسن الثاني، رحمه الله، اللقاء مع الرئيس المصري، بعد أن كنتُ قد تناقشتُ مع الملك حول تجنُّب أي مشكلات قد تقع بين الأخ معمر والرئيس مبارك داخل اجتماع القمة.. واقترحتُ على جلالة الملك أن يلتقي مبارك والقذافي قبل الاجتماع، وذلك في غرفة مغلقة.. وبالفعل، وصل الأخ معمر، وبعده دخل الرئيس مبارك.. تصافحا، وهنا دخل جلالة الملك بهما داخل الغرفة، ثم تركهما وخرج، وأغلق الباب عليهما.. ووقفنا ننتظر ونترقَّب وننصت.

وفي الغرفة بدأ صوت كل من مبارك والقذافي يصل عبر الباب، وينقل كل طرف منهما للآخر كلمات فيها نوع من العتاب واللوم والمواجهة.. ويقول قذاف الدم: «طبعًا أنا كنت قد أبلغتُ الأخ معمر بشخصية الرئيس مبارك وطريقته في التعامل وبساطته ووضوحه، ونحن كنا نعتبر أن الرئيس مبارك ورث وضعًا يمكن تصنيفه كوضع يقع ما بين حالة عبد الناصر وحالة السادات، بالإضافة إلى ما ورثه من تداعيات الحروب والقطيعة مع العرب والوضع الاقتصادي في مصر.. وأشرتُ للأخ معمر أن مصر تحتاج إلى الوقوف معها ودَعْمها، وأن مصر القوية هي التي يجب أن تنهض، ويجب دعم الرئيس مبارك والوقوف معه في هذه المرحلة. كما أن الأخ معمر جاء بهذه الروح.. ولذلك، بعد قليل، ونحن وقوف أمام باب تلك الغرفة التي فيها مبارك والقذافي، بدأنا نستمع إلى ضحكات تنبعث من داخلها. وهنا عاد الملك الحسن الثاني فاصطحبهما إلى القاعة التي فيها الرؤساء، وانطلقت الاجتماعات.

وبعدها - كما يقول قذاف الدم - «وفي الليلة نفسها، استدعاني الرئيس مبارك.. ذهبت إليه لآخذ انطباعه عن هذا اللقاء، وكان انطباعًا إيجابيًّا، وقال لي: لقد اتفقتُ مع الأخ معمر على كل الأشياء، وفي اليوم التالي دعانا الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، على الغداء؛ الرئيس مبارك والأخ معمر.. وجلسا مُطوَّلًا في نقاش للوصول إلى بعض التفاهمات، ثم عُدنا من المغرب. وفي اليوم الذي يليه رتَّبنا قمتين بين مصر وليبيا على جانبي الحدود، عُقدت الأولى في مدينة مرسى مطروح، والثانية في مدينة طُبرق. وبعد ذلك بأيام قليلة

جئتُ للقاهرة، وحملتُ رسالة من الأخ معمر، وأعْلنَّا عودة العلاقات رسميًّا، وفتح سفارة لكل دولةٍ لدى الأخرى، واستمرت العلاقات منذ ذلك الوقت بزخم كبير. لكن الأساس في نجاحها هو أننا اتفقنا على الفصل بين العلاقات الثنائية وبين خلافاتنا فيما يتعلق بالعدو الصهيوني أو بعض الأمور التي تخصُّ مصر في علاقاتها مع الدول، وفيما يخصُّنا نحن أيضًا.. وشَهِدَت العلاقة في عهد حسني مبارك ازدهارًا كبيرًا وتعاونًا في المجالات كافة» (1).

قمة القاهرة ١٩٩٠

وهي القمة التي أعقبت احتلال العراق للكويت، ورفض الرئيس صدام حسين الانسحاب منها، حدثت مشادة كلامية بين الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك والرئيس الليبي الراحل معمر القذافي، وهي القمة التي أدانت العدوان العراقي على دولة الكويت، وأكدت سيادة الكويت، وشجب التهديدات العراقية للدول الخليجية.

وطالب الرئيس الليبي، عَقْدَ جلسة مغلقة. ويبدو أن الرئيس مبارك قد أدركَ نيات الرئيس القذافي، والذي ربما أفسد الموقف بكلامه غير المدروس. لذا طلب الرئيس مبارك التصويت على سرية الجلسة، وهو ما رفضه الحضور بعد التصويت عليه، وانفعل مبارك على القذافي في الجلسة نظرًا لرفضة إجراء تصويت على قرار يقضي بالتنديد بالعدوان العراقي على الكويت، وطلبت السعودية قواتٍ عربية لحمايتها من العراق.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط،٢٢سبتمبر ٢٠١٤ مـ العدد [١٣٠٨٢].

وفيها هاجَمَ عزت الدوري ممثل العراق في القمة، دولة الكويت، قائلًا: «كل يوم يخسر العراق بسبب تآمر الكويت مع الخونة والصهيونية»، واصفًا الوفد الكويتي «بالقردة»، مما تسبَّب في اعتراض الوفد الكويتي عليه.
وتعدُّ قمة عام ١٩٩٠، هي الأولى التي تُعقد في القاهرة بعد نَقْل مقرِّ الجامعة منها إثر توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل.

قمة عمان ٢٠٠١

قفشات ومستملحات القذافي في القمم العربية لا تنتهي، ففي القمة الثالثة والعشرين التي عُقدت في عمان سنة ٢٠٠١، فاجأ معمر القذافي جميع ملوك الدول الحاضرة ورؤسائها بطرح فكرة «إسراطين» لحل النزاع التاريخي بين إسرائيل وفلسطين، من خلال إنشاء دولة ثنائية القومية للعرب واليهود معًا، وهو الأمر الذي أثار جدلًا واسعًا في الصحف العربية فيحينه.. وشَهِدَت القمة أيضًا سُخرية الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي من الوزن الزائد لأمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، حيث قال في كلمة له في افتتاح القمة: «إن الشيخ حمد أقدر واحد فينا على ملء الفراغ»، ساخرًا من «سمنة» الشيخ حمد، الذي تجاهَلَ الموقف المحرج بمحاولته سؤال من حوله عن خللٍ في الصوت لم يُتِحْ له سماع الكلام الكامل للعقيد المزعج.

قمة شرم الشيخ ٢٠٠٣

في القمة العربية التي عُقدت في مصر، شرم الشيخ عام ٢٠٠٣، اتفق القادة العرب على «الرفض المطلق» لضرب العراق وضرورة حَلِّ الأزمة

العراقية بالطُّرق السلمية و«تجنُّب الحرب» واستكمال تنفيد العراق قرار الأمم المتحدة رقم ١٤٤١ (٢٠٠٢).

وقد شَهِدَت قمة شرم الشيخ مشادة كلامية حادة بين الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي وولي العهد السعودي النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني الأمير عبدالله بن عبد العزيز آل سعود، أدَّت إلى تعليق الجلسة العلنية قرابة ربع ساعة. حدثت المشادة عندما تبادَلَ العقيد القذافي خلال إلقاء كلمات الاتهامات مع الأمير عبد الله في شأن علاقة كل منهما بالولايات المتحدة، همّ على إثرها رئيس الوفد السعودي بمغادرة قاعة المؤتمر، لكن الرئيس المصري حسني مبارك والرئيس السوري بشار الأسد والرئيس اللبناني إميل لحود والعاهل البحريني الملك حمد بن عيسى آل خليفة وأمين اللجنة الشعبية العامة للوحدة الأفريقية علي عبد السلام التريكي نجحوا في إقناعه بالعدول عن ذلك.

وعندها باشَرَ التلفزيون المصري بثَّ وقائع معاوَدة الجلسة، وأمكن رؤية الأمير عبد الله يتناول كوبًا من العصير، فيما كان العقيد القذافي يجلس في مقعده مبتسمًا.

وتفجَّرت المشادة في الجزء الثاني من الجلسة العلنية عندما وجَّه القذافي، في كلمة بثَّها التلفزيون مباشرة النقد إلى السعودية لسماحها بوجود قوات أمريكية على أراضيها. وقال: «الأزمة خطيرة. كيف نخرج منها؟ أمريكا

ملتزمة بحماية حدود عدد من الدول العربية (...) هناك حقائق، هناك قواعد عسكرية أمريكية في الجزيرة. أتيتم بالأمريكيين». وأضاف إنه سأل الملك فهد بن عبد العزيز بعد الغزو العراقي للكويت عام١٩٩٠: «لماذا يتدفق الأمريكيون على السعودية؟» ونَقل عن العاهل السعودي قوله: «بعد الكويت سيجتاح العراق السعودية، ونحن نرى مدافع دباباتهم متجهة نحونا». وقال القذافي إنه كرر السؤال على الملك: «كيف تَدَعُونَهم يدخلون المملكة؟» فردَّ عليه الملك فهد إن «أمريكا دولة عظمى تدخل ساعة تشاء وتخرج ساعة تريد، ووضعنا خَطِر»، وإن المملكة ستلجأ إلى الولايات المتحدة للدفاع عن نفسها في مواجهة الخطر العراقي، وهي على استعداد «للتحالف مع الشيطان» من أجل درء التهديد العراقي.

غير أن الأمير عبد الله قاطعه على الفور: «كلامك مردود عليه. المملكة العربية السعودية ليست عميلة للاستعمار مثلك ومثل غيرك. أنت، مَن جاء بك إلى الحكم؟ لا تتكلم ولا تتورط في أشياء ليس لك فيها حظ ولا نصيب، الكذب أمامك والقبر قدامك».

وقطع التلفزيون المصري فورًا بثَّه المباشر للجلسة العلنية.

ولكن، وفقًا لتسجيلات تلفزيونات عربية جرى الاستماع إليها، استمر القذافي في توجيه الاتهامات إلى المسؤول السعودي حول وجود قواعد

أمريكية في شبه الجزيرة العربية، فيما ترك الأمير عبد الله مقعده في القاعة، وكذلك فعل القذافي الذي رفض في البداية طلب الرئيس اليمني علي عبد الله صالح تحويل الجلسة لجلسةٍ سرية، فقال له صالح: «يجب ألَّا ننشر غسيلنا الوسخ على الملأ». فرد القذافي: «لو لم يطلب العرب من الأمريكيين المجيء إلى المنطقة، لما أتوا. طلبوهم لحمايتهم. أمريكا تُهدد العراق وتسعى لتدمير العرب». وغادر القذافي القاعة أيضًا قائلًا للرئيس اليمني: «كان لي عرض تاريخي. أنا لا أريد المشاركة في القمة. طلبتَ مني ذلك فجئتُ. لكن هذه آخر مرة أشارك في قمة». وهنا تدخَّل مبارك والأسد ولحود والتريكي وأقنعوا الأمير عبد الله والقذافي بالعدول عن قرار ترك قاعة القمة.

إلى ذلك، فقد اتَّهمت وكالة الأنباء الليبية الدول العربية الخليجية بأنها «تطلب من أمريكا تدمير العراق». وأكَّدت الوكالة أن «عرب الخليج هم الذين يطلبون من أمريكا تدمير العراق؛ لأن أمريكا ملتزمة بحمايتهم».

وأضافت أن «التحليلات واضحة. فأمريكا ليس لديها النِّية لحلِّ الأزمة العراقية». (١)

قمة الجزائر ٢٠٠٥

وفي قمة الجزائر سنة ٢٠٠٥ رفض القذافي المشاركة في القمة، إلا إذا تعهَّد الجزائريون بالسماح له بإدراج فقرة في المؤتمر للحديث عن أطروحته

---

(١) موقع البوابة نيوز في مارس ٢٠٠٣. https://www.albawaba.com .

«إسراطين»، التي يقترح فيها إنشاء دولة مشتركة بين فلسطين وإسرائيل، وأن يلقي محاضرة في جامعة الجزائر العريقة حول «الكتاب الأخضر»، ومن دهاء المسؤولين الجزائريين حينها أنهم وعدوه بتخصيص قمة طارئة في السنة المقبلة في مصر لمناقشة أطروحته «إسراطين»، وهي القمة التي لم تعقد قط.

قمة دمشق ٢٠٠٨

وفي القمة العربية العشرين التي انعقدت في العاصمة السورية دمشق في سنة ٢٠٠٨، ألقى القذافي خطابًا حماسيًّا حذَّر فيه القادة العرب من تكرار تجربة إعدام صدام حسين عليهم، وتصفيتهم واحدًا تلو الآخر، وذلك على الرغم من صداقتهم للولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن القادة العرب استقبلوا كلمته بالضحك، وهو ما وقع بالفعل عقب الربيع العربي، إذ غاب أغلب الزعماء الكلاسيكيين العرب عن ساحة القِمم العربية عقب ثورات الربيع العربي التي اختلفت حِدَّتها من بلد لآخر. كما ظهر وزير الخارجية العراقي السابق هوشيار زيباري خلال الاجتماعات التحضيرية للقمة، وهو يقرأ مطبوعة بالمقلوب، لتشتعل التعليقات بعدها، حيث قال أحد الصحافيين حينها: إن «زيباري يملك قدرات خارقة».[١]

قمة الدوحة ٢٠٠٩

وخلال قمة الدوحة سنة ٢٠٠٩ نشبت مشادة كلامية بين القذافي والملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز، واعتبر الوفد الدبلوماسي السعودي

(١) موقع البوابة نيوز في مارس ٢٠٠٣. https://www.albawaba.com/ .

المصاحب للملك كلام القذافي إهانة لرئيس الوفد ملك السعودية، الذي سارع بمغادرة قاعة الاجتماع.

وكانت تقارير صحافية قد تحدثت عن أن القذافي قال لعبد الله على مرأى ومسمع من بقية الزعماء العرب بقاعة الاجتماعات: «انتظرت ستة أعوام كي أخبرك أنك كذاب، صنعتك إنجلترا، وحمتك الولايات المتحدة الأمريكية».

وصف القذافي ملك السعودية الراحل الملك عبد الله بن عبد العزيز بـ«الهارب والخائف من المواجهة» مُدَّعيًا أنه صنيعة بريطانيا وتحميه أمريكا. وتابَعَ القذافي: «أنت ست سنوات خائف من المواجهة.. لماذا تخاف بعد ست سنوات، فواجهني. أنت من صنعتك بريطانيا وتحميك أمريكا». قال القذافي في كلمته: «أنا ملك ملوك أفريقيا، وإمام المسلمين، ولا يجب عليَّ أن أقدِّم تنازلات أكثر.. إنني مستعد لزيارتك وأنت تأتي تزورني».
وقاطَع القذافي أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة، الذي يترأس الجلسة، ليتهجم على العاهل السعودي قبل أن يدعو إلى المصالحة وإنهاء الخلاف حيث قال: «أهنئ الأخ حمد على رئاسة القمة، وأقول لأخي عبد الله بقاله ٦ سنوات هارب وخائف من المواجهة ما تخاف .. وعشان مصلحة الأمة أعتبر المشكلة الشخصية التي بيني وبينك انتهت، ومستعد لزيارتك أو أن تأتي لزيارتي، وأنا عميد الحكام العرب، وملك ملوك أفريقيا، وأقول للمسلمين: مكانتي العالمية ما تسمح لي أنزل لأي مستوى آخر.. وشكرًا».

وفي نهاية القمة عقد الطرفان اجتماعَ مصالحة برعاية قطريَّة.

قمة ليبيا ٢٠١٠

تعدُّ من أبرز الصور الشاهدة على «مضحكات» القذافي في القمم العربية تلك الصورة التاريخية التي جمعته بعدد من الرؤساء العرب، حيث وقف القذافي «مُتَّكئًا» بشكل غير لائق على كتفي الرئيس المصري المخلوع محمد حسني مبارك، والرئيس علي عبد الله صالح، خلال القمة العربية لسنة ٢٠١٠ فيليبيا.. وفي تلك القمة كان القذافي يأتي متأخرًا إلى قاعة القمة في قصدٍ مهين لجعل كل الزعماء ينتظرون قدومه، وكان أول من يغادر القاعة، حتى إن بعض الزعماء العرب عبَّروا عن انزعاجهم من تصرفات العقيد التي لا تراعي الطقوس البروتوكولية للزعماء، وخاصة الملوك.

وكان هذا المؤتمر هو آخر مؤتمر قمة يحضره الرئيس الليبي معمر القذافي.



الفصل الرابع عشر

أفكار متنوِّعة للقذافي

لا شك أن تغيير اسم ليبيا إلياالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، يُعَدُّ واحدًامن شطحات القذافي التي لم تكن مناسبة.

والجماهيرية تعني نوعًا من الحكم ابتكره القذافي وطبَّقه في ليبيا، يخالف الأعراف السياسية والأسس التي تُدار بها الدول.

والمعروف أن هناك أنظمة للحكم تحكم بها الدول،صنَّفها الفقهاء السياسيون في خمسة أنظمة متعارَف عليها، وتشمل كل أنظمة الحكم المعروفة، وهي:

١-النظام الجمهوري.

٢-النظام الملكي.

٣-النظام الإمبراطوري.

٤-النظام البابوي.

٥-النظام الاتحادي.

اختار القذافي النظام الجمهوري.

وعلى ذلك غيَّر اسم ليبيا إلى الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى،تمامًا كما غيَّر جمال عبد الناصر اسم مصر إلى الجمهورية العربية المتحدة.

وتقوم فكرة الجماهيرية على النظام الذي يحكم فيه الناس أنفسهم؛ من دون وصاية، عن طريق المؤتمرات الشعبية الأساسية؛ أي على المستوى الأساسي للمكان، سواء كان المدينة أو القرية أو الحي السكني (الكومونة الجماهيرية).

ويُقَسّم الناس في كل منطقة إلى مؤتمرات شعبية أساسية (تختار أمانتها لتسيير المؤتمر الشعبي ولجنتها الشعبية لتنفيذ ما يصدره المؤتمر من قرارات).

وتجتمع المؤتمرات الشعبية سنويًّا في دورة لوضع جدول الأعمال، ودورة لمناقشته، ودورة لمناقشة القضايا المحلية في إطار المؤتمر الشعبي الأساسي. وفى الدورة الأولى (دورة وضع جدول الأعمال) يتم اقتراح كل القضايا المطلوب مناقشتها على المستوى العام، ويُعقد مؤتمر الشعب العام الذي يضم أُمناء هذه المؤتمرات لتجميع جدول موحَّد للقضايا وصياغته، تلك القضايا التي تهم جميع المؤتمرات الشعبية، ويُعاد عرضها على المؤتمرات الشعبية (الدورة الثانية لمناقشة جدول الأعمال) لمناقشتها وإصدار القرارات بشأنها. ثم يجتمع مؤتمر الشعب العام مرة أخرى لصياغة القرارات الواردة من المؤتمرات الشعبية لتصبح ملُزِمة للتنفيذ من خلال اللجان الشعبية النوعية التي يختارها. ويتم

في كل جلسة تقديم تقرير من اللجان النوعية المختصة للاطلاع على ما نُفذ من قرارات، وأسباب التأخير والمخصصات المالية المطلوبة للتنفيذ.[1]

تعتبر ليبيا أول جماهيرية في التاريخ لتطبيقها هذا النظام منذ إعلان قيام معمر القذافي التخلي عن السلطة، وإعلان قيام سلطة الشعب» في ٢ مارس ١٩٧٧.

بدأت ملامح «ظاهرة القذافي» بالتبلور في أبريل ١٩٧٣ عندما أعلن في خطابه المشهور بمدينة «زوارة»، ما أسماه بالثورة الشعبية. وتشكل هذه «الثورة الشعبية» الإطار العام لنقاطه الخمس، وهي :

١- تعطيل كل القوانين المعمول بها حتى الساعة وإلغاؤها (ساعة إلقاء الخطبة) .

٢- تطهير البلاد من «المرضى سياسيًّا»، الذين يتآمرون على القضية الثورية، وعلى الشعب، وعلى التحول الثوري .

٣- إعلان الثورة الثقافية.

٤- إعلان الثورة الإدارية.

٥-تسليح الشعب، الحرية للشعب، لا حرية لأعداء الشعب.

---

(١) موقع المعرفة.

https//:www.marefa.org%/D8%AC%D985%%D8%A7%D987%%D98%A%D8%B1%D98%A%D8%A9

بعد هذا الخطاب أمرَ العقيد القذافي بحرق الكُتب الأجنبية، والآلات الموسيقية في ساحات المدن الليبية. كما أمر بإلغاء مهنة المحاماة، وطالَبَ «بالزحف الثوري» على المؤسسات والبيوت، تطبيقًا لمقولته الشهيرة «البيت لساكنه».

ومنذ ذلك التاريخ بدأ القذافي باعتماد الفوضى الشاملة كأساس للحكم، وكأسلوب للإدارة.وتجسَّدت أهم أدوات تنفيذ فكر «العقيد الأخضر» في جهاز سياسي يقوم بدور الحزب الحاكم، وتتفرع عنه أذرع تحريضية واستخبارية وعسكرية وأمنية،وأجهزة قضائية وتعليمية.وفقًا لهذه التوجُّهات، أُسِّست «اللجان الشعبية» و«اللجان الثورية»، وأسبغت هذه اللجان لقبين جديدين على القذافي، فأسمته «صانع عصر الجماهير، وقائد مسيرة الإنسانية في رحلة الانعتاق النهائي». و«نبي العصر»[1].».

وقد صاغ القذافي نظريته عن نظام الحكم الليبي الذي اختاره، فيما يُعرف بالكتاب الأخضر، وهو أشبه بكتاب الميثاق الوطني الذي طرحه الرئيس جمال عبد الناصر.

والكتاب الأخضر يدور حول الأفكار والمنهج المستخلَص للرئيس معمر القذافي من الحضارات اليونانية والإسلامية والأوروبية الحديثة.

---

(١) عماد عبد اللطيف سالم، مقال. الحوار المتمدن. العدد: ٣٢٨٨ - ٢٠١١ / ٢ / ٢٥ - ١٦:١٨.

يتكوَّن الكتاب الأخضر من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الركن السياسي، ويتناول فيه مشكلات السياسة والسلطة في المجتمع.

الفصل الثاني: الركن الاقتصادي فيه حلول المشكلات الاقتصادية التاريخية بين العامل وربِّ العمل.

الفصل الثالث: الركن الاجتماعي وفيه طروحات عن الأسرة والأم والطفل والمرأة والثقافة والفنون.

ويعتبر الكتاب الأخضر كتابًا مقدسًا حسب وصف القذافي «سنجعل لنا دينًا، لأن الناس محتاجة إلى دين، إلى كتاب يُوحِّدها».. « أقدم لكم كتابي الأخضر – الذي يُشبه بشارة عيسى، أو ألواح موسى – الذي كتبتُه داخل خيمتي التي يعرفها العالم، بعد أن هجمت عليها ١٧٠ طائرة، وقصفتها، بقصد حرق مسوَّدة كتابي، التي هي بخطِّ يدي ..» (١).

ويعتبر الكتاب الأخضر تقليدًا لكتاب الميثاق الوطني الذي قدَّمه الرئيس الراحل جمال عبدالناصر إلى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في٢١ مايو١٩٦٢، والذي قُرِّرت دراستُه على المدارس الثانوية والجامعات وقتها، كونه دليل عمل لمرحلة جديدة شملت إعداد تنظيم سياسي جديد(الاتحاد الاشتراكي العربي)، وأعقبه إجراء انتخابات عامة، ووضع دستور

(١) عماد عبد اللطيف سالم، مقال. الحوار المتمدن. العدد: ٣٢٨٨ – ٢٠١١ / ٢ / ٢٥ – ١٦:١٨.

دائم(عام١٩٦٤) والميثاق الوطني، طبقًا للبيان السياسي الصادر عن عبد الناصر في٤ نوفمبر١٩٦١ الذي أوضح مختلف الخطوات، وطبقًا للإيضاحات التي أعلنها الرئيس أمام اللجنة التحضيرية برسم صورة للمجتمع الجديد، وتحديد الطريق مفصلًا للوصول إليه، وتوضيح القيم والمفاهيم التي يجري العمل على أساسها من أجل بلوغ الهدف، ووَضْع المعايير الدقيقة للقضايا الأساسية، وإرساء أحكامها وفي مقدمتها قضايا الحرية والاشتراكية والوحدة، كما يحدد أدوار القوى الشعبية في خدمة تلك القضايا.

لا شك أن هناك فرقًا شاسعًا بين الأفكار والمعتقدات التي تتكوّن منها أفكار الرئيس الليبي معمّر القذافي من جهة ومحاولات تطبيقها من جهة أخرى.

ومما لا شك فيه أيضًا أن القذافي، والذي كان يعتبر نفسه مُفكِّرًا غير مسبوق، قد أرهق الموالين له، ومستشاريه في محاولاتهم التوفيق بين مفاهيم نظرية لا أساس قانوني لها وخيالية، ومحاولة تحويلها إلى حقيقة فعلية وقانونية واقعية.

على سبيل المثال، عندما تحوّل النظام الاقتصادي نحو اقتصاد سوق أكثر انفتاحًا، أوجد الناطقون باسمه منطقًا لتبرير الخصخصة التي يَحْظُرُها «الكتاب الأخضر» بكل وضوح، واصفًا إياها أنها «توسيع لملكية الشعب». جاء اقتراح القذافي الأخير بحلِّ الجزء الأكبر من الحكومة الليبية ليمطّ أكثر فأكثر الخيط الرفيع بين النظرية والحقيقة، إلى درجة الانقطاع التام، وأطلق نقاشًا داخل البلاد قد يشير إلى أسلوب جديد في صُنع القرارات.

أفكار القذافي كانت مغايِرَة تمامًا لأفكار الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي تأثر به القذافي وسار على نهجه.

فقد حاول عبد الناصر إحلال الأفكار اليسارية والشيوعية محل الأفكار الرأسمالية لتي كانت سائدة في مصر منذ أن بدأ مؤسسها محمد علي باشا[1] إنشاء مصر الحديثة.

---

(١) مؤسس الأسرة العلوية، وحاكم مصر ما بين عامي ١٨٠٥ إلى ١٨٤٨، ويشيع وصفه بأنه «مؤسس مصر الحديثة»، وهي مقولة كان هو نفسه أول من روّج لها، واستمرت بعده بشكل لافت.استطاع محمد علي أن يعتلي عرش مصر عام ١٨٠٥ بعد أن بايَعه أعيان البلاد، ليكون واليًا عليها، بعد أن ثار الشعب على سلفه، خورشيد باشا، ومكّنه ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة به من أن يستمر في حُكم مصر كل تلك الفترة، ليكسر بذلك العادة العثمانية التي كانت لا تترك واليًا على مصر لأكثر من عامين.

خلال فترة حُكمه، استطاع أن ينهض بمصر عسكريًّا وتعليميًّا وصناعيًّا وزراعيًّا وتجاريًّا؛ مما جعل مصر دولة ذات ثقل في تلك الفترة، إلا أن حالتها تلك لم تستمر بسبب ضعف خلفائه وتفريطهم فيما حقَّقه من مكاسب بالتدريج، إلى أن سقطت دولته في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣م بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في مصر.

وُلد محمد علي في مدينة قولة التابعة لمحافظة مقدونيا شمال اليونان عام ١٧٦٩، لأسرة ألبانية كان أبوه «إبراهيم آغا» رئيس الحرس المنوط بخفارة الطريق ببلده، وقيل إن أباه كان تاجر تبغ، كان لوالده سبعة عشر ولدًا لم يعش منهم سواه، وقد مات عنه أبوه وهو صغير السن، ثم لم تلبث أمه أن ماتت فصار يتيم الأبوين وهو في الرابعة عشرة من عمره.

وقد أنشأ في عام ١٨٢٠م المدرسة الحربية في أسوان، ومنها تم تخريج أول مجموعة من الجنود النظاميين في الجيش المصري، واهتم بإنشاء أسطول مصري قوي كانت بدايته من ترسانة بولاق وبناء السفن في أوروبا، وكانت مقتصرة في هذا الوقت على الإمداد والتموين، وبعد ذلك قام بإنشاء ترسانة الإسكندرية التي أنشأ فيها السفن الضخمة حتى توقف عن بناء السفن في أوروبا.

أما عن التعليم، فقد اهتمَّ محمد علي بهذا الجانب، فأرسل البعثات العلمية إلى الخارج، وكانت أول بعثة عام ١٨١٣م إلى إيطاليا، وأنشأ المدارس العليا «الكليات» منها مدرسة=

=الهندسة والطب والصيدلة والألسن والطب البيطري والفنون والصنائع، وفي عام ١٨٣٧م أمر بإنشاء ديوان التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية. اهتم محمد علي بالنواحي الاقتصادية، فأنشأ عددًا من المصانع مثل مصانع النسيج والحرير والصابون والزيوت وسبك الحديد والنحاس، وفي مجال الزراعة أنشأ العديد من القناطر والسدود، وجلب محاصيل وبذور النباتات من الخارج، وكذلك اهتمَّ بزراعة القطن والأشجار. كذلك اهتمَّ محمد علي بالصناعة فقد بنى قاعدة صناعية لمصر، وكانت دوافعه للقيام بذلك في المقام الأول توفير احتياجات الجيش، فأنشأ مصانع للغزل والنسيج ومصنعًا للجوخ في بولاق، ومصنعًا للحبال اللازمة للسفن الحربية والتجارية، ومصنعًا للأقمشة الحريرية، وآخر للصوف، ومصنعًا لنسج الكتان، ومصنعًالصناعة الطرابيش بفوه، ومعمل سبك الحديد ببولاق، ومصنع ألواح النحاس التي كانت تُبطَّن بها السفن، ومعامل لإنتاج السكر، ومصانع النيلة والصابون، ودباغة الجلود برشيد، ومصنعًا للزجاج والصيني، ومصنعًا للشمع، ومعاصر للزيوت، كما كان لإنشاء الترسانة البحرية دور كبير في صناعة السفن التجارية.

وفي عام ١٨٠٧، تلقّى محمد على أمرًا سلطانيًّا بشن حملة لمحاربة الوهابيين الذين سيطروا على الحجاز، لذا قرَّر أن يُرسل حملة بقيادة ابنه أحمد طوسون، لقتال الوهابيين، إلا أن رحيل جزء كبير من قوات محمد علي، كان خطرًا كبيرًا على استقرار أوضاعه في مصر، فوجود المماليك بالقرب من القاهرة، قد يُشجِّعُهم على استغلال الفرصة لينقضُّوا عليه ويستولوا على الحُكم.

وأمام ذلك، لم يجد مؤسس مصر الحديثة إلا الحيلة، حيث دعا الأعيان والعلماء والمماليك لحضور احتفال في القلعة بمناسبة قيادة ابنه طوسون الحملة على الوهابيين، وما إن انتهى الاحتفال حتى دعاهم «الباشا» إلى السير في موكب ابنه، وما إن وصلوا إلى طريق صخري منحدر يؤدي إلى باب العزب المقرَّر أن تخرج منه الحملة، حتى أغلق الباب، فتكدست خيولهم بفعل الانحدار، ثم فوجئوا بسيل من الرصاص انطلق من الصخور على جانبي الطريق.في عام ١٨٤٤م بدا محمد علي مُشوَّش الذهن بسبب الأمور التي حدثت في نهاية فترة حُكمه، وكذلك مرض ابنه إبراهيم باشا، ويقال إنه أُصيب في أواخر أيامه بمرض الزهايمروبعد وفاة ابنه إبراهيم، تُوفي محمد علي بقصر التين بالإسكندرية في ٢ أغسطس ١٨٤٩م، ونُقل جثمانه إلى القاهرة، ودُفن في الضريح الموجود داخل جامعه، بقلعة صلاح الدين.موقع البوابة نيوز.

١٩٥٢الأفكار الاشتراكية العلمية، والأفكار الماركسية، وتأميم وسائل الإنتاج، وإعادة توزيع الأرض الزراعية، وجعلَ من مصر حقل تجارب سياسيًّا كبيرًا.

وتقليدًا له أطلقَ القذافي ثورته عام ١٩٦٩، وحملَ أفكارًا سياسية ثورية، عبّر عنها أولًا من خلال «النظرية العالمية الثالثة». ولاحقًا في المجلّدات الثلاثة من «الكتاب الأخضر».

كان القذافي يعتبر أن تلك الأفكار تعدُّ محفِّزًا وأداة في الوقت نفسه. كانت محفّزًا لأنها سيطرت على تفكير الزعيم الليبي وممارساته وأنصاره الأكثر تفانيًا. كانت أداة لأنه استعملها هو وأتباعه للحصول على الطاعة والدعم في صفوف الرأي العام على مَرِّ العقود، غير أن الرئيس الليبي يعبّر عن نظريات الكتاب الأخضر التي تنتمي إلى زمن آخر ويُدافع عنها. لكنّه فقدَ عمليًّا قُدرته على تسخير الأيديولوجيا للحصول على الدعم الشعبي للسياسات الثورية.

الغريب أن تلك الأفكار التي جلبها عبد الناصر لمصر، أو جلبها القذافي لليبيا، لم تصمد في وجه حركة المجتمع، نحو الرُّقي والتطلُّع لحياة أفضل، وبمجرد وفاة صاحبي تلك الأفكار تلاشت من تلقاء نفسها، أو تحت ضغط الجماهير التي تتطلَّع إلى نظرية سياسية في الحكم تُحقِّق لهم نوعًا من الحرية والعيش الكريم، وأن يشعر كل فرد بشخصيته، وأن يجني ثمار عمله.

في نوفمبر ٢٠٠٨، قال القذافي في تصريح أدلى به من خيمته في كييف خلال زيارة رسمية إلى أوكرانيا: إن المساعيَ الغربية لمعالجة الأزمة المالية العالمية الحالية ليست سوى محاولة «تحت الطاولة» لسرقة الأفكار التي عبّر عنها قبل ثلاثة عقود في الفصل الثاني من الكتاب الأخضر بعنوان «حل المشكلة الاقتصادية - الاشتراكية» (١٩٧٨). وقد ظَهَرَ القذافي خلال الزيارة نفسها، في بذلة سفاري بيضاء مزيّنة بخريطة لأفريقيا، وقال: إنه تنبّأ بالأحداث الأخيرة، ولا سيما انتخاب باراك أوباما، قبل نحو ثلاثة عقود في الفصل الثالث من الكتاب الأخضر بعنوان «الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة» (١٩٧٩). يقول في المقطع الموجز الذي قصده في الكتاب الأخضر: إن الأفارقة سوف يحكمون العالم ذات يوم[١].

ومع ذلك فلم يكن القذافي راضيًا عن الإصلاحات التي طُبِّقت في السنوات الثماني السابقة على انهيار حُكمه.

في خطاب ألقاه في الأول من سبتمبر ٢٠٠٨ بمناسبة ذكرى ثورة الفاتح من سبتمبر التي أوصلته إلى السُّلطة عام ١٩٦٩، أوصى بتطبيق إصلاحات اقتصادية وسياسية جديدة واسعة النطاق، من شأنها أن تؤدّي إلى حَلِّ معظم الوزارات الحكومية بحلول مطلع سنة ٢٠٠٩.

---

(١) موقع صدى sada تحاليل عن الشرق الأوسط.

https:carnegieendowment.org/sada/22488

وفي هذا الخطاب اتّهم الوزارات بأنها بؤر للفساد والابتزاز وسوء الإدارة، ووعد أيضًا بتوزيع الأموال النفطية التي كانت في عُهدتها مباشرةً على الشعب الليبي.

يُمثِّل هذا الخطاب خير تجسيد أسلوب القذافي الذي غالبًا ما يحاوِل الهروب من النقد العام للسياسات غير الناجحة، مثل وتيرة الإصلاحاَت البطيئة والمتقلقلة، عبر إجراء تغييرات في الوجوه القيادية في البلاد، وتحميلها مسؤولية إخفاق سياسته، وإلقاء اللوم على تلك القيادات باعتبارها تسبَّبت في فشل المنظومة.

وعندما استمرّ القذافي في الضغط لإجراء إعادة تنظيم شاملة للحكومة، تعرّضت خُطته لإعادة توزيع الموارد العامة للانتقادات العلنية، وكان هذا النقد هو الأول من نوعه،على خلاف ما هو معتاد في الجماهيرية الليبية، حيث يؤدي انتقاد القائد إلى السجن على جناح السرعة، أو إلى مصير أسوأ من ذلك،تمامًا مثل معارضي عبد الناصر.

كان مشاهدو التلفزيون في ليبيا على موعد مع حدث نادر، تمثّل في النقاش العام الذي دار بين القذافي ومسؤولين كبارًا في الحكومة، اعترضوا على اقتراحات الزعيم الليبي.

قال حاكم المصرف المركزي، فرحات عمر بن قدارة: إنه من شأن توزيع مبالغ طائلة على المواطنين مباشرةً أن يسبّب تضخّمًا وتراجُعًا في قيمة الدينار الليبي، وعجزًا في ميزان المدفوعات، وهو مُحِقٌّ في ذلك. وبدوره نادى البغدادي علي المحمودي، أمين اللجنة الشعبية العامة (يعدُّ رئيس الوزراء

في ليبيا)، بمقاربة بديلة يحصل بموجبها المواطنون على أسهم في المصارف والمصانع وشركات الاتصالات السلكية واللاسلكية، من خلال حافظات أوراق مالية تُديرها مؤسساتٌ مالية. إذا طُبِّقت خطة القذافي، فسوف تقود حتماً إلى الفوضى الاقتصادية، الأمر الذي أقرّ به هو نفسُه عندما نبّه إلى أن الفوضى سوف تسود في السنوات الأولى من تطبيق الخطة، بانتظار أن يتعلّم المجتمع كيف يدير شؤونه بنفسه. وعلى الرغم من أنه لم يُظهر بوادر تَنازُل في النقاش المتلفز، معتبرًا أن المسؤولين الحكوميين يعارضون خُطته من أجل حماية امتيازاتهم، فإن هذا النوع من المقاربات أَلِفْناه أيضًا لدى القذافي، فغالبًا ما تراجَعَ الزعيم الليبي في السابق عن اقتراحات غير سليمة أو غير شعبية، واضعًا مسافة بينه وبينها، وملمّحًا إلى أن إعادة النظر تعكس قوّة نظام الديمقراطية المباشرة في ليبيا. هكذا نجح في معظم الأحيان في تحويل انتكاسة محتمَلة إلى مكسب سياسي.وقد بدا أن النقاش المتلفز يهيّئ الساحة لتبدّل مماثِل في موقف القذافي[١].

تحدَّث معمّر القذّافي في أكثر من خطابٍ في عام ١٩٧٨م عن القرآن والعقوبات وقضايا الحُكم والحياة، فقال:(...القرآن يتحدث عن يوم القيامة، والإيمان بالله، والإيمان بالحسابِ، والإيمان بالعذابِ، والإيمان بالملائكةِ والرسلِ، إلى آخره.. ولا نجده يتحدَّث عن المشكلات التي

(١) موقع صدى sada تحاليل عن الشرق الأوسط.

https:carnegieendowment.org/sada/22488

نحكمُ بها المجتمع، نحن البشر نحكم أنفسنا.. القرآن لم يتحدث عن قضايا المجتمع والحياة... وحتى العقوبات في القرآن محدودة، هي ثلاث أو أربع.. جريمة قطع اليد، وجريمة الجلد... الشّعب مثل الله، الله في السماء ليس معه شريك، والشّعب في الأرض.. .

ومقصد معمّر القذّافي من وراء قول العبارات المُشار إليها في السطور السابقة – والعياذ بالله – هو:(.. الله في السماء لا شريك معه والقذّافي في الأرض..). والقذّافي الذي أكد أنّ الله ترك للإنسان مسألة تدبير شؤون حياته اختزلَ حقَّ البشر في شخصه، وصادرَ بالمطلق حق الآخرين في مسألة تدبير شؤون الحياة. ورَفْض معمّر القذّافي لأيّ رأي آخر غير رأيه وإصراره على أنّ كلامه هو الحلّ النهائيّ، والطريق الأوحد والوحيد هو قمة الاستبداد أو الاستبداد بشحمه ولحمه كما يقولون. وجَعْلُ الكتابِ الأخضر منهاجًا للحكم، ثمّ إجبارُ النّاس على قبوله واتّباعه يعني مُصادرة حقوق النّاس الطبيعيّة: كحق التفكير.. وحق المشاركة.. وحق الاختيار.

إنّ المقربين من معمر القذّافي يقولون:إنه مستعد للتنازل عن أيّ شيء ما عدا النظريّة التي تجسّد أفكاره، أو الفكرة التي ابتدعها ليمارس مُطلَق السّلطة دون أن يكون مسؤولًا عن الأخطاء الفادحة التي يقترفها..[1] .

---

(١) الصادق شكري. هدرزة في السياسة والتاريخ. موقع ليبا وطننا.
http//:www.libya-watanona.com/adab/shukri/ss25056a.htm

وإلى جانب أفكاره السياسية كانت هناك أفكار أخرى، هي:

- البيت في ليبيا حقٌّ من حقوق الإنسان الطبيعية. وهو بهذا يحاكي الأفكار العالمية لحقوق الإنسان، ولكنه يُعرِّج على هذا الجانب فقط، وأهدرَ باقي الحقوق المتعلقة بالمساواة والحريات والعدالة. جاء هذا في الكتاب الأخضر للقذافي، الذي ينصُّ على أن «المنزل هو حاجة أساسية لكل من الفرد والأسرة، ومن ثم لا ينبغي أن يملكها الآخرون».
- الكتاب الأخضر للقذافي هو الفلسفة السياسية للزعيم الرسمي، وقد نُشر لأول مرة في عام ١٩٧٥، وكان القذافي يسعى أن يقرأه جميع الليبيين، حتى يتم تضمينه في المناهج الدراسية الوطنية.
- إن التعليم والعلاج الطبي مجانيان، في ظل حكم الرئيس القذافي، حيث تمتَّع الليبيون بأحد أفضل خدمات الرعاية الصحية، في الشرق الأوسط وأفريقيا. أيضًا إذا لم يتمكن مواطن ليبي من الوصول إلى المسار التعليمي المطلوب، أو العلاج الطبي الصحيح في ليبيا يجري تمويله للذهاب إلى الخارج.
- نفَّذ القذافي أكبر مشروع ري في العالم. وهو ما يعرف بالنهر العظيم، وقد جرى تصميم أكبر نظام ريٍّ في العالم مصنوع يدويًّا، وكان سيجلب له مياهًا من تركيا. لجعل المياه متاحة بسهولة لجميع الليبيين في جميع أنحاء البلاد. وقد تم تمويله من قِبل حكومة القذافي، الذي بدأت قصته عام ١٩٥٣ حين اكتشفت شركات التنقيب الغربية في مناطق الجنوب الشرقي

والجنوب الغربي مخزونًا هائلًا من المياه الجوفية النقية، تم وصفه بمخزون نقي منذ العصر الهولوسيني، ويصل إلى معدل استهلاك سنوي ملياري متر مكعب من المياه، ومن ثم يمكن استغلال ذلك المخزون (حسب رأي متخصصين) في تنمية الجنوب والوسط بليبيا، بينما يتم تغذية الشمال الليبي عبر تحلية مياه البحر، وكان هذا هو الإطار الاتفاقي الذي تم بعد الاكتشاف، ومع عام ١٩٦٠ تم طرح الفكرة الخاصة بمدِّ المياه إلى الشمال عبر خطوط أنابيب، لكن لم يلتفت أحد إلى المشروع لتكلفته وأضراره البيئية.وقد وَصَفَه القذافي نفسه بأنه «العجيبة الثامنة من العالم»، بعد عجائب الدنيا السبع المعروفة. ولكن المشروع تعرَّض للتخريب في أعقاب الثورة على القذافي، وحُدوث انفلات أمني.

- مساعدة الليبيين في إنشاء المشروعات. وإذا أراد أيٌّ من الليبيين البدء في مزرعة، فقد أعطى كلًّا منهم منزلًا وأرضًا زراعية وأرصدةً حية وبذورًا مجانية. كما قدَّم منحة إلى الأمهات اللواتي لديهن أطفال حديثو الولادة. وعندما تنجب امرأة ليبية تُرصد لها ولطفلها مكافأة قدرُها ٥٠٠ (دولارأمريكي).
- مجانية الكهرباء، كانت الكهرباء مجانية في ليبيا،حيث لا يتحمل المواطن الليبي على الإطلاق أي تكاليف لفواتير الكهرباء!
- تدني أسعار الوقود خلال عهد القذافي، وكان هذا نتيجة حتمية لأن ليبيا لا تستورد الوقود.

- حاول القذافي إدخال عُملةٍ أفريقية واحدة مُرتبطة بالذهب. كما أراد أن يعرض التجارة بالدينار الأفريقي فقط، بديلًا عن العملات الأوربية والأمريكية، وهي خطوة كان من شأنها أن تؤثِّر في الاقتصاد العالمي. وكان يرى أن الأمم الأفريقية ستكون في نهاية المطاف قادرة على إخراج نفسها من الديون والفقر،إذا سيطرت على تجارةالسلع الثمينة. وكان بإمكانهم أن يقولوا أخيرًا: «لا» للاستغلال الخارجي، وأن يستغلوا كل ما لديهممن موارد ثمينة. وقد قيل إن الدينار الذهبي هو السبب الحقيقي لحركة التمرُّد التي يقودها الناتو في محاولة للإطاحة بالزعيم الصريح.



الفصل الخامس عشر

نبذة عن خيمة القذافي

المعروف أن القذافي عاش في مراحل نشأته الأولى حياة بدوية بصورة عادية في النجع المكوَّن من عدة خيام متناثرة،وكان أهله من الكادحين بحثًا عن قوت يومهم، وقد كان والده محمد عبد السلام أحميد أبو منيار القذافي كبقية أهل البادية يرعى الماشية، ويزرع الحبوب الموسمية، وينتقل إلى الأراضي الرعوية الخصبة، وأما والدته عائشة أبو النيران هي من عرب بادية سرت، وبالتحديد من قبيلة القذاذفة نفسها التي ينتسب إليها والده، وكان الأصغر في العائلة، والذَّكر الوحيد بين أخواته، حيث إن الذكر في البادية يُعوَّل عليه كثيرًا في الصحراء.

وللروابط الاجتماعية والظروف الطبيعيَّة في ليبيا – وخاصة عند البدو – دورها في نشأة الشخص، حيث كانت لكل قبيلة أرضها المحددة، وكانت لكل أسرة أرضها الخاصة بها، وكان هناك تعاون بين أهل القبيلة الواحدة، فالقَبِيلة يجب أن توجد في مكان واحد لتحقق الترابُط والتضامُن بين أفرادها، والفرد في القبيلة يشعر بالحاجة إلى هذا الترابط، فبدونه تزداد صعوبة العيش في الصحراء، وبدونه يفتقد ما يُورِثه التكافل مع الآخرين .

وكان لهذه الظروف أثرها في نشأة شخصية معمر القذافي منذ نعومة أظفاره، فكانت الجديَّة الطابع الغالب في حياته، ويرجع ذلك لأن أهل البادية لهم الطابع الجدي والعملي في الحياة، حيث إن الطفل عندما يبلغ سن السادسة يمارِسُ نوعًا من المسئولية ـ كرعاية الأغنام أوسقايتها كالإنسان البالغ، وقد كان معمر من هؤلاء الأطفال الذين اعتمد عليهم أهلهم منذ صِغرهم، والسبب الآخر هو أنه ليس لديه إخوة ذكور يعينونه، وعاش بين ثلاث أخوات هو أصغرهن، ولهذا السبب اهتمَّ به والده منذ الصِّغر، وحرص على تعليمه، حيث اتفق مع الفقيه الذي كان يتنقل بين النجوع ليعلم الصبيان كي يأتي إلى نجعهم، ويمكث معهم فترة ليتعلم على يديه(١).

خلافًا لملوك العرب ورؤسائهم، وشيوخ دول الخليج وأمرائهم الذين يعتبرون القصور جزءًا لا يتجزأ من عاداتهم في أثناء استقبال رؤساء الدول والحكومات، يكره الزعيم القذافي حياة البذخ والترف.

كانت خيمة القذافي البدوية على النظام الحديث، بمعنى أنها تحمل مواصفات الخيمة المعروفة لدى البدو الرُّحل الذين يتتبعون مناطق الرعي. ولكنها تحتوي على مواصفات حديثة وتكنولوجيا اتصالات وأجهزة تكييف. ولكنها بالطبع خالية من الأسرة، ومُعدَّة للجلوس على الأرض، ولها أعمدة معدنية تحملها وتدعمها. كما أنها مُلوَّنة بألوان مبهجة قاتمة.

---

(١) تاريخ ليبيا، صفحة على الفيس بوك. في ٣ يناير ٢٠١٤

خيمة القذافي من «نوعية نادرة لا يملكها إلا معمر القذافي، إذ تتميَّز بقدرتها على مقاومة المياه، وبتصميم مميز وفريد للغاية، حيث تتزين من الداخل بزخرفة هندسية رائعة، وإبداعات من النقوش الجميلة، وترتكز على أعمدة صُلبة». وكان القذافي يحرص على استقبال كبار زواره وضيوفه في ليبيا داخل خيمة بدوية، وعلى نَصْبِها في الدول التي يسافر إليها في زيارات رسمية، على غرار ما كان يفعل في إيطاليا وفرنسا وروسيا.

ذكرى ترامب مع الخيمة

وقد تحدث ترامب في وقت سابق عن واقعة غريبة في ٢٠٠٩، عندما كان القذافي يبحث باستماتة عن مكان ليَنْصبَ فيه خيمته البدوية خلال زيارته نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة. وبعد فشل محاولات تأمين مكان في متنزه سنترال بارك في مانهاتن، في الجانب الشرقي العلوي وفي إنجليوود بنيوجيرسي، تحوَّلت الحكومة الليبية نحو مزرعة سفن سبرينجس التي تبلغ مساحتها ٢١٣ فدانًا في ضاحية بدفورد في نيويورك،والتي يملكها ترامب، وحسبما ذَكَرَ فإنه ربح «ثروة» من ورائها. ولم يُقِم القذافي في الخيمة، لكن، مع ذلك ،كانالمشهدُ لافتًا.فالصحافيّون تدفقوا على البلدة لمتابعة أطقم الإنشاء وهم ينصبون الخيمة ذات القمة البيضاء التي زُيِّنت برسوم منسوجة للجِمال والنخيل، وزُوِّدت بأرائك جلدية وطاولات القهوة. وفي إحدى المراحل، جرى تفكيك الخيمة بعدما هدَّدت بلدة بدفورد بمقاضاة ترامب شخصيًّا، ثم أُعيد نَصْبُها بعد ذلك، مما أثار الاستياء في البلدة.

وفي كتاب «في خيمة القذافي – رفاق العقيد»، ذكر رئيس تحرير جريدة «الحياة» اللندنية غسان شربل، أن «القذافي كان يهرب إلى الصحراء مع خيمته، وعندما كان يُعرض عليه توقيع الأوراق يرفض، وكان يُصِرُّ أن تكون الأوامر بالهاتف أو شفوية، سواء كانت لإنفاق الملايين أو للقتل».
وقد حاولنا تتبُّع خيمة القذافي في تجوالها في بعض عواصم العالم.

في روسيا

بعيدًا عن السياسة وبرد موسكو القارس، وَجَدَالرئيس الروسي فلاديمير بوتين والمغنية الفرنسية الشهيرة ميراي ماتيو، الوقت والدفء في خيمة الزعيم الليبي معمر القذافي التي نُصبت في حديقة تاينيتسكي بالكرملين بالقُرب من الساحة الحمراء.

وأشار فلاديمير بوتين إلى أنّها المرة الأولى في التاريخ التي تُنصب فيها خيمة في الكرملين. كما تناولت ماتيو الشاي مع القذافي وبوتين في الخيمة. وعلَّق بوتين قائلًا: «لم أتخيل ميراي في خيمة بدوية قبل ذلك». وردت ماتيو على ذلك قائلة:«إن الفرد لابد أن يتمنى أمنية عندما يأتي إلى مكان للمرة الأولى».

وقال بوتين للقذافي: «إن اختيارك إقامة خيمتك بجانب الكرملين يوضِّح أننا (ليبيا وروسيا) الآن أقرب». بينما أشار القذافي إلى أنه خلال زيارته لروسيا يأمل في تعاون أوثق في أنشطة قطاعَي النفط والغاز. كانت المرة الأولى التي يُجري فيها فلاديمير بوتين محادثات مع زعيم دولة آخر في خيمة بدوية. ولم يكن أمام الرئيس بوتين أي خيار آخر؛ لأن كل لقاءات القمة التي يُجريها العقيد القذافي تقريبًا تُعقد في هذه الخيمة التي مقرُّها الدائم العزيزية قُرب طرابلس. وكان هذا المكان قد تعرَّض لقصف أمريكي في عام ١٩٨٦ أودى بحياة ابنة القذافي بالتبني. وتركت السُّلطات الليبية آثار القصف على هذا المبنى لكي تكون شاهدةً على ما جرى في ذلك الوقت. ونُصبت الخيمة الشهيرة قُرب ذلك المكان لتستضيف لقاءات القمة التي يعقدها القذافي مع ضيوفه. ولا تُعَدُّ هذه الخيمة مقرًّا دائمًا للقذافي بل مكانًا لاستراحته فقط.

وقال صحافي عراقي قبل أيام من التدخل العسكري للناتو في ليبيا، في مارس ٢٠١١، والذي ساهم في مقتل القذافي أخيرًا: إن لقاء جرى في الخيمة التي رأيتُ فيها، وفي أثاثها المغبر، نموذجًا صارخًا لنظام الحكم البدوي القائم على فكرة أن الشعب قطيع، والسلطة هِبةٌ من السماء لمن اختاره الربُّ راعيًا لقطيع، إذا تمرَّد بعض خِرافه، فإن عملية تأديبية صغيرة تكفي لإعادتهم إلى الطريق المستقيم»، بحسب قوله.

ورغم ما يبدو أنه انتقاد من مسافر لـ «حكم القذافي البدوي»، في مقاله على «روسيا اليوم»، ظهرت حفاوته البالغة باستقبال القذافي له ولطاقم «روسيا اليوم» في أثناء المقابلة، واصفًا إياه بـ»القائد النادر»، معبِّرًا عن «سروره باستقبال الطاقم، وأنه قد خصَّه بهذه المقابلة».. .

الخيمة في باريس

أكتوبر سنة ٢٠٠٥، الذي وافق شهر رمضان، حطّت طائرة وزير الخارجيّة الفرنسيّ – آنذاك – نيكولا ساركوزي في العاصمة الليبيّة طرابلس، ليستقبله في خيمته الشهيرة العقيد معمّر القذّافي. يذكر مفتاح ميسوري، مترجم القذّافي الشخصي تفاصيل اللقاء بين الرجلين، ويقول: إنّ الحوار بينهما في البداية كان رسميًا، ثم طلبا اللقاء على انفراد بعيدًا عن وسائل الإعلام، والمثير للاهتمام، أن اللقاء كان بدون مترجمين أيضًا.

تحدّث ساركوزي والقذّافي على انفراد بالإنجليزية التي كان العقيد يتقن أساسيّاتها، وبعد أن انتهى اللّقاء المنفرد، تم استدعاء المترجم الشخصيّ للقذافي من أجل تفريغ الحوار الذي جرى بين الرجلين كتابةً؛ إذ إنّ كل الحوارات التي تجري في خيمة القذّافي كانت تُسجَّل وتُحفَظ في أقراص مرنة.

يقول مترجم القذّافي:إنّ ساركوزي في هذا اللقاء المنفرد أخبر القذافي بأنّه ينوي الترشّح للانتخابات الرئاسيّة، وهي المعلومة التي لم يصرّح بها لوسائل الإعلام بعد في ذلك الوقت، وطلب منه دعمًا ماديًّا لحملته، وقد

وافق القذّافي على ذلك. لكن القذّافي لم يكن ليدعم ساركوزي بالأموال بدون مقابل، فقد كانت له عدّة مطالب مقابل هذا الدّعم، كان أبرزها قضيّة عبد الله السنوسي.

وتنقل التايمز عن الصحافة الفرنسية أن المسؤولين عن البروتوكول في قصر الإليزيه لا يريدون إغضاب الزعيم الليبي، وفي الوقت نفسه هم في حيرة من الموافقة على سابقةٍ قد يطلب زعماءُ آخرون تَكرارها.

ولن يقيم القذافي في الخيمة، أو ينام فيها، لكنه سيستخدمها لاستقبال ضيوفه وممارسة نشاطاته الرسمية.

وكان العقيد القذافي حمل خيمته معه إلى بلجيكا عام ٢٠٠٤، ووفَّر له المسؤولون في بروكسيل منتزهًا قُرب بحيرة في قلعة على أطراف العاصمة لنَصْبِ الخيمة.

وفي إحدى افتتاحياتها، كتبت التايمز - وإن كان بطريقة لا تخلو من السُّخرية المُرَّة-ـ مطالبة الفرنسيين بالسماح للقذافي بنصب خيمته في باريس.

وعدَّدت الصحيفة المناسبات التي أفادت فيها الخيام، وغيرها من أشكال اللقاءات غير التقليدية بين زعماء الدول، في تحسين العلاقات وحل المشكلات.

في إيطاليا

اعتبر القيادي في تحالف الخضر الإيطالي أنجيلو بونيلّي أن نَصْبَ خيمة الزعيم الليبي معمر القذافي في أحد منتزهات روما، ليس سخيفًا فحسب بل لا معنى له.

وقال بونيلي إن منتزه فيلا بامفيلي واحد من أجمل منتزهات العاصمة التي يجهد سكان روما كثيرًا للمحافظة عليها، مضيفًا أنه لا يعلم سببًا لعزم القذافي نَصْب هذه الخيمة، ومَن مَنَحَه هذا الترخيص بيئيًّا.

وأعرب عن استعداده لتقديم اعتراض للجهات المسؤولة أو حتى للقضاء، مضيفًا: إن أي مواطن سيخضع للعقوبة إذا أَقْدَمَ على أمرٍ كهذا.

وتابَعَ قائلًا: «إن هناك فضاءات أخرى يمكن استغلالها كحدائق السفارات، فليلجؤوا إليها».

وقال «صحيح أن الأمر يتعلق برئيس دولة، لكن لو حاول شخصٌ آخر نَصْبَ خيمة فستتدخل قوات الأمن في الحال»، مشيرًا إلى أن «الأسوأ هو أن الخيمة هائلة».

يُشار إلى أن الزعيم معمر القذافي وصل إلى روما يوم ١٠ يونيو ٢٠٠٩. وهذه هي المرة الأولى في تاريخ المنتزه العريق التي يستضيف فيها خيمة بدوية كبيرة.

في أمريكا

خيمةٌ تُثير الجدل في إحدى ضواحي «نيويورك»، هكذا نَشَرت الصحف خبرًا عن الأزمة التي أثارتها «خيمة» القذافي التي استأجرها، عام ٢٠٠٩، من رجُل الأعمال الأمريكي الشهير، الرئيس الأمريكي الحالي ترامب، بالتزامن مع إلقائه كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك.

وحدثت الأزمة عندما عَلِمَت السلطات المحلية في بلدة «بيدفورد»، إحدى ضواحي نيويورك، نية الرئيس الليبي، معمر القذافي، في نَصْبِ خيمة على أرض مملوكة لرجل العقارات، دونالد ترامب، وهو الأمر الذي استهجنه المسؤولون، مُعتبرين تلك التصرفات «عادات قبلية».

وعلى الفور، أصدر مفتش مباني البلدة أمرًا بـ«إيقاف العمل»، عن طريق متعهِّد عقاري بعدما لم يتمكن من إيصاله للعمال في موقع نَصْب الخيمة؛ لأنهم لا يتحدثون الإنجليزية، وأضاف أنه لم يتضح: هل توقف العمل بالفعل أم لا؟ مضيفًا أن السلطات في بيدفورد -التي تقع على بُعد نحو ٤٨ كيلومترًا إلى الشمال من مدينة نيويورك- علمت بخطط نصب الخيمة من الشرطة السرية الأمريكية، حسبَ صحيفة «جورنال نيوز».

واعتاد القذافي نَصْبَ خيمته التي يتنقل بها في ضواحي ولاية نيوجيرسي، حيث تملك السفارة الليبية قطعة أرض، ولكن الحكومة الأمريكية قالت في تلك الأزمة: إنه لا يمكنه استخدام الأرض لهذا الغرض، كما قُوبل طلب إقامة خيمته في حديقة سنترال بارك في نيويورك بالرفض أيضًا.

وحينذاك، أصدر ترامب مالك القطعة التي ستُنصبُ عليها الخيمة بيانًا قال فيه: إن الأرض استأجرها لمدة قصيرة شركاء من الشرق الأوسط «ربما تربطهم علاقة بالقذافي وربما لا»، وقال: إنه سيبحث المسألة.

ورغم إنكار ترامب في البداية، فإنه قد اعترف بتأجير الأرض لصالح القذافي، وتفاخَرَ بذلك، في مقابلةٍ أجراها مع قناة «CBS» الأمريكية، قائلًا: «لا تنسوا. أنا الوحيد فقط الذي جنيتُ مالًا كثيرًا من القذافي، إذا كنتم تتذكرون، فإنه جاء إلى البلاد (أمريكا) وكان عليه إبرام صفقة معي، لأنه كان بحاجة إلى مكان للإقامة».

وأضاف: «القذافي دفع لي ثروة، ولم يُقِم هناك بتاتًا، وأصبح الأمر مُزحةً كبيرة»، في إشارة إلى استئجار السلطات الليبية أرضًا تابعة لترامب في مدينة «بيدفورد» بضواحي نيويورك، بُغية نَصْب خيمة القذافي الشهيرة، في أثناء زيارته للولايات المتحدة[١] .

كان ترامب يتحدث عن واقعة غريبة في ٢٠٠٩، عندما كان القذافي يبحث باستماتة عن مكان ليَنْصِب فيه خيمته البدوية خلال زيارة إلى نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وبعد وقت قصير، جرى تفكيك الخيمة بعدما هدَّدت بلدة بدفورد بمقاضاة ترامب شخصيًّا، ثم أُعيد نَصْبُها بعد ذلك، مما أثار الاستياء في البلدة.

---

(١)موقع النيلين السوداني. في ٢١ سبتمبر ٢٠١٧.

alnilin.com.12812102/htm

خاتمة

لا أعرفُ لماذا تشدُّني نهايات الطغاة، وتدفعني دفعًا للكتابة عنهم، وعن لحظاتهم الأخيرة، وعما أحدثوه في شعوبهم، وعما حفظته لهم شعوبُهم بعد موتهم.

معظم الطغاة قفزوا على كرسي الحكم، من مقعد في دبابةٍ أو مدرعةٍ أو حتى عربة مدفع، أو سرية مشاة.

كلهم أساؤوا فَهْمَ الجماهير التي كانت تهتف لهم وهم في الحكم، لم يحسنوا التفريق بين صيحات الخوف، وصيحات الإعجاب الكاذب.

لم يتمكَّنوا – لفرط حرصهم على الحكم – من تناول قسطٍ كافٍ من الثقافة والتعليم، والاحتكاك المباشر بالجماهير العريضة التي حكموها، ليعلموا كيف تُحكَم الشعوب، كانوا يغيرون من المثقفين ويعتقلونهم، ويُنكِّلون بهم، وفي الوقت نفسه حاولوا تقليدهم، وبعضهم ألَّف روايات وقصصًا قصيرة.

بعد أن انتهيتُ من كتاب « القذافي.. الواقع والأسطورة » تأكَّد لي صِدْقُ مقولةٍ كنتُ قد كتبتُها يومًا ما على صفحتي على الفيس بوك، وهي «أن كل شعبٍ جدير بحكامه»، وأن الشعوب هي التي تفسد وتُشيطن حُكامها، وترفعهم إلى مصافِّ الآلهة. ولعلَّني أُعيدُ التذكير بأننا أبناء ثقافة كانت ترى

في التصدي للحُكم الظالم والخروج عليه نوعًا من الإثم والذنب، كنا نتقبَّل حكامنا كأنهم قادمون من عند الربِّ، وأن مشيئة الرب هي التي ساقتهم ليحكمونا، فتمادى الحكام في الظلم دون أن يجدوا مَنْ يردعهم.

لأجل هذا تحمَّلت الشعوب عندنا فاتورة ظُلم الحكام كلها.

فلولا الدَّعم الذي كان يلقاهُ القذافي من شعبه، لما استمرَّ حاكمًا له لمدة اثنين وأربعين عامًا كاملة.

الغريب أنه بمجرد ظهور موجات الربيع العربي في تونس ومصر وسوريا واليمن تحرَّك الشعب الليبي، كأن الثورة كانت عدوى انتقلت إليه من الدول المجاورة.

وإن كنتُ لا أميل إلى هذا التحليل، ولكنني أظنُّ أنها العدوى نفسها التي انتقلت من مصر مع ظهور ثورة ١٩٥٢ إلى العراق وسوريا، ثم حاول جمال عبد الناصر تصديرها للدول الأفريقية للثورة على الاستعمار، وهي في الحقيقة ثورة على الحكام، وبدأت حملة لنَشْرِ الشيوعية في أفريقية بمعاونة ما كان يُعرف بالاتحاد السوفييتي.

وهو نفس ما فعلته إيران عندما سعى الخميني قائد الثورة بها عام ١٩٧٩، إلى فكرة تصدير الثورة الإسلامية إلى البلاد المجاورة، وسائر البلاد الإسلامية، وبعدها داهمتنا الحركات الإسلامية المتطرفة، وما زالت، ولاحظنا نُمو المد الشيعي، وهو ما أحدث حراكًا سلبيًّا في المنطقة ما زلنا نُعانيه.

وأقول: إنه ليس ربيعًا عربيًّا، بقدر ما كان موجات تاريخية، تحاول بها الشعوب تصحيح مسيرتها، ومن الممكن أن يكون هذا التصحيح سلبيًّا.

كان القذافي يتخيَّل أنه يُشكِّل مصدر قلقٍ وتهديدًا جديًّا للجهات الإمبريالية، أمريكا ودول الغرب، أو المعسكر الرأسمالي، مع أنه موقن أنه لن يكون كذلك في أي حال من الأحوال. كان ما يقوم به مجرد لعب أطفال، كألعاب الكمبيوتر، وأنه لن تنهار الحضارة الغربية بتخلُّفه، كيف سمح له ضميره أن يُسقط طائرة بها ركاب مدنيُّون لا يعرفهم؟

كان يرى أن ثورة الفاتح من سبتمبر هي الأمل الطالع في ليل البشرية القاتم أو الأسود، فأخذ يُبشِّر العالم والليبيين بعصر جديد يقوم على نظريته التي اخترعها لتسويق أوهامه التي تخيَّلها وعاش مع شعبه في سُباتٍ طويل، وليلٍ امتد اثنين وأربعين عامًا، كان ليلًا طويلًا ظلامه كثيف.

حتى عندما بدأ الصباح. كانت الغيوم لا تزال تسيطرعلى ليبيا بعد وفاته بأكثر من ثماني سنوات. ولا تزال السماء مُكفهرَّة في الأجواء الليبية، وكتائب الموت والتخلُّف التي شكَّلها لا تزال رابضة في طرابلس وبعض المدن الليبية.

حاضرُ ليبيا الآن يشيب الكثير مما حدث خلال حكم الرئيس القذافي، لقد غيَّب شعبه، عندما مَنَعَ التعليم، وعندما مَنَعَ الأحزاب، وعندما خاصَم الديموقراطية، واخترع ديموقراطية من صُنعه الخاص، يوم أن أدار بلاده

بنظرية اللجان الثورية التي جعلت المُمرض مديرًا لمؤسسة طبية حافلة بالأطباء، والفرَّاش، ومديرًا لبنك ، وغير ذلك من الممارسات التي داعب بها خيال البسطاء. معتمدًا على الولاء ونقل الأخطاء، والتجسُّس على الإدارات.

هو نفس ما صَنَعَه جمال عبد الناصر والسادات ومبارك ومرسي. تغليب فكرة الولاء على فكرة الكفاءة. إننا في منطقتنا لا نعرف حكومات التكنوقراط التي تُدير البلاد طبقًا لخُطط مُمنهَجة لا علاقة لها بالسياسة.

أظنُّ أن الليبيين سيسبحون طويلًا في بحورٍ من الفوضى، بتشجيع من دول أوروبا التي كان القذافي يبيع لها البترول بثمنٍ بخس، ويُوزِّع عوائده نقودًا على مشايخ العائلات ليضمن ولاءهم.

أتمنى أن أكون قد نقلتُ صورةً عن الرجل الذي حكمَ بلاده مدة طويلة، كنموذج لحاكم عربي خرج من الصحراء القاحلة بلا تعليمٍ أو كفاءة.

